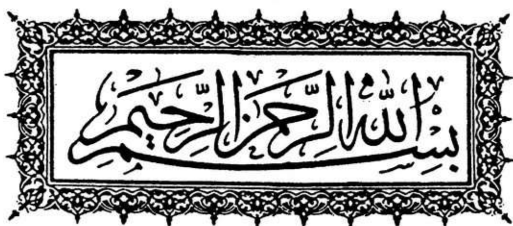
أبطال من الصحراء



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السديري ، محمد بن أحمد
أبطال من الصحراء - جدة.
٢٥٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٤ - ٧٩٩ - ٣١ - ٩٩٦٠
١- الشعر الشعبي - السعودية ٢- السعودية - الشعراء العرب
أ- العنوان
ديوي ٨١١,٠٩٥٣١ ١٧/٢٥١١

رقم الإيداع: ١٧/٢٥١١
ردمـك: ٤ - ٧٩٩ - ٣١ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء



لك يافيصل ، يا من تحرص على إحياء مآثر العرب ومفاخرهم . .
يامن قُلْتُ فِيكَ ما هُوَ من بَعضِ خُلُقِك : -

أنت العديم إلى بعاد معاديك
في هَدتك تشبع طيورٍ ترجّاك
وانت الذي تنهز عدوّك مسارنك
وانت الذي تتعب بدربك سباياك
حاضرك يشهد لك بما قال ماضيك
وماضِيك تاريخٍ يُصوّر سجاياك
عزّ الله إنا عارفينٍ مرامِيك
حِمرٍ بِعُدوانِك مضارِيب بِمناك
على الفضِيلَة سامِكَ العرشِ هاديك
وعن الرذيلة مِغفيات مِطاياك
إضرِب على الكايِد ولا يِنِب نَاهِيك
وسجّل عظِيمات العظايِم بِدنياك

لَكَ أُهدِي هذا الكتاب . . .

المؤلف

مقدمة

بقلم : عبد الله بن خميس

من الخصائص التي عرف بها العرب، ان تجتمع الفروسية، والشاعرية في شخص واحد، وربما بلغا به درجة النبوغ في كليهما . . فامرؤ القيس بن حُجر، وعنترة بن شداد، والمهلهل، وعبد الله بن رواحة، وابن الاطنابة، وخالد بن جعفر، والبارودي. . وغيرهم كثيرون. . عدوا في صميم شعراء العرب، وفي الرعيل الأول من فرسانهم. . وابو زيد الهلالي وذياب بن غانم، وتركي بن سعود، وعبيد بن رشيد، وتركي بن حميد، وراكان بن حثلين، وشليويح العطاوي . . وغيرهم ممن أتى عدوان الهربيد في قصيدة له على ذكر اربعين منهم، لقصة طريفة، عدد فيها الشعراء الشعبيين الفرسان. . هؤلاء وأولئك وغيرهم، ممن هم على شاكلتهم. . تركوا للأدب العربي ثروة من الشعر الجزل، والبيان الأصيل . . كما تركوا في تاريخ الفروسية العربية، مكانة لا تنسى، ومجدًا لا يداني . .

وهذا الجانب من تاريخنا وأدبنا، لا يزال قفراً لله من الرواد، متأبداً من الأنيس. . واذا طرقه الشاعر مجمد السديري في هذا المؤلف. . فانما طرقه طبّ به، خبير بدروبه، عالم بمجاهله. .

فهو من صميم البيئة التي يكتب عنها، وليس بمتكلف معرفة ما يكتب، ولا باحث عن عادة، ولا مستشكل تقليد، ولا متردد في فهم لهجة . . جل ما يكتب يتناوله على رؤوس الثمام، ويستقيه عفو الخاطر، ومؤاتاة التلقي . . وكم رأينا شادياً افلح في تصوير بيئته، ونجح في دراستها، وأعطى الصورة المثلى عنها . . بينما اخفق عملاق، درج الى غير عشه، وطار في غير مطاره . . وقديماً قيل : قتل أرْضًا عالمها، وقتلت ارض جاهلها . . ويكفي هذا مرشحًا لتناول هذا الموضوع . . كيف والمؤلف قد تواشجت في طبعه جوانب اهلته ليكون راوية فكان . . عشق مجالس السمر، ومنادمة الرجال، وقصص البطولات، ومغامرات الشباب . . منذ عهد الطفولة، فكانت هجيّراه وهوايته . . كونها في طبعه تأثير البيئة، وتوجيه النشأة، وعامل الزمن . . فوجدت مكاناً للنمو، طبعاً أصيلا، وخاطراً سريعًا ، وحافظة قوية، وبيانًا مؤدياً . . وضمن لها النمو والنضج، ظروف واكبتها في ظل ولاية أو قيادة، تؤلف سمط الرجال، وتستجمع المنتديات، وتستهوي الرواد والقصاد، ليجدوا في رحاب ابي زيد، كفا نديا، ومطعما شهيا، وسوقًا يروج فيها جزل البيان، وناضج الرواية . .

فاستجمعت رواية المؤلف عناصر النضج، وعوامل الابداع . . ولا اقول ان الاسلوب الذي كتب به المؤلف كتابه هذا، هو الاسلوب الذي يستهويك به، حينما يتحدث اليك . . رغم انني اشعر انه كتبه بلغة سهلة، سلسلة، قريبة الى الذهن، طيعة للفهم . .

ولكن للمؤلف اسلوبًا في الحديث، ينتزع الاعجاب ويشد السامع اليه بكل جوارحه، ويحمله على المتابعة مهما امتدت الرواية . . وطال الحديث

ولقد ادركنا رجالا من هذا الطراز ، وبخل الزمن ان يأتي بمثلهم، كانوا زينة المجالس، وانس السمار، ومتعة النفوس. . فطواهم البلى، وطوى معهم أدبًا وتاريخًا وحكمًا. . اذكر من بينهم محمد بن ماضي، ومحمد بن بليهد، وعساف العساف، وسليمان العبيد الرشيد. . وغيرهم.

ولا ننس ان المؤلف شاعر شعبي مجيد، اكثر منه راوية، فالشعر ابرز جانب في شخصيته، واليق وصف يمكن ان يطلق عليه . . ولعل الرواية منبثقة عن شاعريته الأصيلة ، وفنه الرفيع. .

بشعره جاذبية خاصة، تلامس مكامن الاعجاب، وتداعب خلجات النفس، وتحرك سواكن العاطفة. . وتحس نحوه بتأثر يعييك ادراك مصدره . . . يصف فيبدع ويمدح فيجيد، ويطلق الحكمة فتصبح مثلا . . ولكن اذا تغزل انساك غزله سائر شعره، وقلت انه شاعر غزل وكفى. . ودعني اقتطف معك طاقة من ورده، لنتحسس فيها مكامن الجمال، ونتحرى مواطن الابداع.

يقول متغزلا :

عَيْنــي لهــا عــنْ لــذةِ النــوم سَــامُــوْح
تِسْهــر وعنْهــا النُّــوْم تبعِــدْ شبُــوْحــه
كِنّــه يــداوِيْهــا المــداوِيْ بِــذِرْنُــوخْ
وِدْمُــوعْ نــونَ العيْــن دايِــمْ يفــوُحِــه
علــى عَشِيــرٍ شــوْفتــه تِنْعِــشَ الــروْح
تَعلقــتْ بِــالحُــبّ رُوْحــي بِــروْحــه

تشْهَـد دُمُـوْعَ العيْـنْ مِنـي على النّـوْح

وتشْهـدْ عَلـى ونَـاتْ قَلْبـي جُـرْوحِـه

أَصْبِـرْ وانـا مَـالي مِـنْ الصَّبْـر مصْلـوْح

والْعِيْ مـلاعي الْـوُرْق ، وانـوح نـوْحِـه

ومن قصيدة أخرى يقول :

أنـا تَـايِـه في حُـبْ مَلْهُـوْفَـةَ الْحَشَـا

غَـدَا الجِسْمْ مِنْ فـرْقَـى الجمِيْـل نحيـلْ

مـا صَـابْ قيْـس بحِـبْ ليْلـى أصـابنـي

عَلـى مِشْـرَفٍ مَـا بـيْ جِـذَاهْ بـديْـل

أخيلـه مخـايلـة العَـرَبْ بـارِقِ الحَيـا

وأنَـا لَـه علَـى عشـرِ السِّنِيْـنْ عَمِيْـل

هَمَّـهْ يِـدَاعِبنـي بِنُـوْمـي ويقْظتـي

وَارْجـي متَـى غِصْنِـه عَلـيّ يِميـل

ويمضي معتزا بنفسه :

قلْـبٍ عَلَـى الشّـدّاتْ مَـا ارْتَـجْ خـافقـه

إلَـى صَـابْ مَـرْعُـوْب الفُـواد جِفِيْـل

أَحِـبْ مـنْ يَصْبِـرْ علـيِ كـلْ شِـدَّة

إلى شـافْ مِـنْ خَطْب الأُمُـوْرْ جليْـلْ

كِـريـم وَلا يـرخِـي مِـن البُخْـل حـاجبـه

جُـوْدِهِ إلـى شَـحَّ البِخِيْـل يخيْـل

ومن قصيدة أخرى في شكوى الزمان والحال:

بـالهُـوْنْ يـا عَـذَّالْ قَلْبِـي وَلا بِمـه
دغ الهَـم بِفُـؤَادي يصـالـيْ هَضَـايِمـه
أَسْهَـرْ وَعيْنـي مـا يَهْملـغْ نِظِيْـرَهـا
وَقَلْبُـك خَلِّـي الهَـمْ والعَيْـن نـايْمـه
إنْ هَـاجـت أَفْكـاري علـيّ وَتَـزَايَـدَت
تصَـوَّرْ بعيْنـي سـاعـة الحشـر قـايمـة
هَـمٌّ يفـارِقنـي وهَـمٌّ يـزورنـي
وهَـمٌّ يُـزَايمنـي وهَـمٌّ أَزايمِـه
أَسلِّـي فـؤادي بِـالهُمُـوْمْ وغـايَتـي
إلـى مَـرْقَـبٍ قَلْبـي بِحِبِّـه ورايمِـه
الـذُّلْ يُـوْرِثـكَ الهُـوان وَتَنْتَمـي
إلـى أُمَّـةٍ فـي مـرتَـعِ الـذُّلْ هـايْمـه
وبُعْـدِكْ عـنَ الأَنْـذَالْ فيـه المَعـزَّه
فـيْ مَهْمـهٍ صيْـد المَهَـا فـي خَـرايمْـهِ

هذه الجوانب رشحت محمد السديري، لاخراج مؤلفه هذا. عن هؤلاء الفرسان، الشعراء الخمسة، فجاء هذا المؤلف ، لا دراسة تتناول تحليلا لحياة هؤلاء الفرسان، فحسب، وانما هو تاريخ حافل، لمجموعة من قبائل الجزيرة، في حقبة عفى عليها الزمن، واصبحت عرضه للنسيان . . فهو يتحدث عن قبيلة عنزة، بطونها وافخاذها، ومشائخها وفرسانها، ومرابعها

ومناهلها . . ويتحدث عن علاقات بطونها بعضها ببعض، سلماً وحربًا، وصداقة وعداوة، ويتحدث عن علاقتها بالقبائل الأخرى المجاورة لها، شمَّر، وحرب، ومُطير، وبني صخر. . وما بينهم من حروب وثارات، لهذه تارة، ولتلك أخرى. . وعن نظامهم القبلي ومعاملاتهم في السلم والحرب . . ويتحدث عن قبيلة قحطان وبالذات عن الخنافر، فخذ شالح بن هدلان، وعن حروبها مع عُتَيبة وعن شجاعة الفديع بن هدلان، وابن اخيه ذيب، وعن مهاجمة الملك عبد العزيز لظعينة شالح، واستطاعة ذيب ان يقاوم المهاجمين بمفرده، ويخلص ظعينه والده . . نستطيع من خلال هذه المعلومات، والأحداث . . ان نكون عناصر دسمة، لتاريخ مفصل، عن هذه القبائل. .

وكما أن هذا المؤلف تاريخ، فهو أيضاً أدب، يتلاقى فيه وجد العاشق وهيامه، بلوعة المحزون وذوب عبرته، في رثاء باك، وتأوه مر . . بحماسة الفارس، تنطق بصهيل الخيل، وقعقعة السلاح، وسواد النقع. . بالفخر، بالوصف، بالحنين إلى الأهل والوطن، بالمدح، بالقدح . . تنقلك مسيرة الكتاب وقصصه الى الوان من الشعر، وافانين من الأدب، وضروب من الأغراض. .

ويزيد ضروب شعره استقراء، واستهواء، أن الكثير منها ظل محصورًا في نطاق ضيق، لا يتجاوز محيط القبيلة، ولم تتناقله الرواة، وتستقبله المسامع. . رغم جودته ونضجه ليكون هذا الكتاب الاداة الأولى في سيرورتها وانتشارها . .

ولكن مع نماذج خفيفة منها تدلنا على ما يحويه الكتاب من اشعار طريفة . .

يتغزل عقاب العواجي في محبوبته (نوت) فيقول :

يـا وَنتـي بـاقْصَـى الضّمـايـر سنَـدْهـا
لازقبْـتْ مشـذوْب المـراقيْـبْ تـزْدَادْ
علـى الـذْيْ مثْـاةْ قلْبـي عَقـدْهـا
حِبّـهْ بمكْتُـونَ الحَشـا يُسْنِـدْ اسْنـاد
الّـيْ كِمـا الفِنْجـالِ غـرّةْ نهْـدهـا
وَالثّـوْب عـنْ رُوسَ الثّمَـر عـادٍ أبْجـادْ
رِيمِيّـة مـا تـرْتـعِ إلاّ وَحْـدَهـا
تقطِـفْ زِمـالِيْـقَ الخِـزامَـي بـالأجْـرَاد

وفي محبوبته يقول :

وَاكبْـدِى اللّـيْ كنّهـا حمُـوْ لالِـي
بـالقيْـظ والأ حـامِـيِ الجَمْـرِ نـالـه
مِـنْ واحْـدٍ يتْعَـبْ عَلـى شـدةْ بـالِي
لَـوْ مـا عَنـتْ رجْلـي فقلْبـي عَنـا لَـه
عيْنــهِ تشـادى قلْتـةٍ بـالظّـلالِـي
فِـيْ صفْـحِ لَـوْحٍ مَـا تنُـوْلـه حِبـالـه
وقـذِيلتِـه يلْعَـبْ بِهـا الهَمّـلاَلِـي
بـدَتَ الظّلِيْـم ويثْـب إلّـى حبـالـه

الـــي بِمَيْــدَانِ الَمــودّة مشـــي لـــيِ
بِــزخِــص كــلامِــهْ ويغـالــى حــلالــه

وفي الفخر - وهو اكثر اشعار الكتاب - يقول شاعر شمر (رشيد بن طوعان)، مفتخرًا بقبيلة شمَّر، بعد انتصارهم على قبيلة عنزة في وقعة (ظفرة) :

يَـا مِـزْنـةٍ غـرًا نشــتْ لَـهْ رِفـارِيـف
هلّـتْ علـى (ظفْـرَه) مِطَـرْهـا انْهشـامِـي
زُبيْــدِيُّهــا رُوْسَ الَمَهــارَ الَمــزاهَيْــف
وعِشْبَــهْ قُــرُوْن مِسّيحيْــنَ الــوادمِــي
تِضْـرِعْ بِهـا جِذب السُّيُوْفَ الَمهـادِيف
وتفْتــخ بهــا بِقْــع النُّسُــورَ الاثــامِــي

الى ان قال :

أَنـا اشْهـد إِنَّ قُلُـوْبهـمْ صِمْـعْ يـا خُلِيْف
وردوْا حِيـاضَ الَمـوْتِ وِردْ الظُّـوامِـي
وْدَيَــارِنَــا حِنَّــالِنَــا بَــهْ تِصَــارِيْــف
سَلْمــىَ وُرمَّـــانِ وَاجَـــا وَالغمَـــام

ويفتخر ابن فرهود، احد شيوخ حرب، ويتوعد قبيلة عنزة، لأنهم اغاروا على ابل لحرب، واخذوها وابن فرهود لم يك حاضرًا . . فيقول :

يـا مِجْـوَلَ الغنيَـاتْ يقْضـى بهِـنْ دِيْـن
غِنِيَــةْ جنبَهــا يــوْم جــاهــا الــزّوالِــي

يَـا عْقَـابْ لا تقْفـي بشـارَ الشعـالِيْـن
إِنْكِـسْ لِـدارِكْ يَـا كـريـمَ السَّبـالِـي
نِجِـيْ علـى قِـبْ سُـوَاةَ الشِّبَـاهِيْـنْ
سُـوٍّ علَـى اللّـي ينْـزِلُـوْن الجِبَـالِـي
نِبـيْ نطـارِدْ شـارِبِيْـن الغَـلاَوِيْـن
ونَـاخِـذْ عَـوضْ (شَمْـلاَ) بكـارٍ جِـلاَلِـي

ومن رثاء لشالح بن هدلان في ابنه ذيب:

يَـا رَبْعَنَـا يَـاللّـي عَلَـى الفِطّـر الشّيْـب
حـزٍّ الله إِنَّـهْ ضَـاغ مِنكُـم ودَاعَـه
رِحْتُوا عَلَى الطّوْعَات مِثلَ العَيَاسِيْب
وجِيْتُـوا وخلّيْتُـوا لقلْبـي بضـاعـه
تِكَـدرنْ لـي صـافِيَـاتَ الْمِشَـارِيـبْ
وبِالْعُوْنْ شِفْتَ الـذُلْ عِقْبَ الشّجاعة
يا ذيْبْ أَنَا بُوْصِيْك لاَ تأْكلِ الذّيْب
كِـمْ لِيْلـةٍ عشـاكْ عِقْـبَ المِجـاعـه
كَـمْ لَيلـةٍ عَشّـاكْ حِـزِشَ الْعـرَاقِيْـب
وكَـمْ شِيْـخِ قُـوْمٍ كـزتـهِ لَـكْ ذِرَاعِـه
يضْحـكْ لِيَـا صكّـت عَلْيـه المَغَـالِيْـب
ويَلكِـدْ عَلَـى جمْـعِ العـدُو بِـانـدفَـاعـه
وبِيْتِـه لِجِيْـرانِـهْ بِشَيّـدْ عَلـي الطّيْـب
ولِلضّيْـفْ يبْنـى فـي طِـوِيْـل الـرّفـاعـه

مِنْ عِقْب ذِيْب، الخيْلِ عزجْ مَهَالِيْب
يـاهْلَ الـرِّمَـكْ مـا عَـاد فِيْهِـنْ طِمـاعَـه

ومن مراثي سعدون العواجي لابنيه عقاب وحجاب:

يـــاوَنَّـــةٍ وَنَّيْتهـــا تِسِـــعْ ونَّـــاتْ
مِعْ تِسْعَ مَعْ تِسْعِيْن معْ عَشْـر الـوُفِي
علَـى سيُـوفٍ بِـالْمَـلاقَـي مهِمَّـاتْ
سِيْفِيْـن أغْلَـى مَـا غـدا مِـنْ سيُـوفـي
أَخْشـمْ بحِشْمَتهِـنْ ولَـوْ هِـنْ بِعَيـدَاتْ
وأنـــامْ لَـــو انَّ الضَّـــواري تِحُـــوفِـــي
خَلَّيْتِنِـي يَـا عْقَـابْ مـا بـهْ مـراواتْ
عِيـالِـكْ صِغـارٍ والـدَّهـرْ بـه جِنُـوْف
مِـنْ عِقْبِكُـمْ مـا نبكـيَ الْحـيْ لَـوْ مَـاتْ
ولأنـي عَلـى الـدُّنيَـا كِثيْـرَ الحِسُـوف
يـا طُـوْلْ مَـا جـرَّيْـتْ بـالصَّـدرْ وَنَّـات
علـــى فِـــراقْ مَعَطَّـــريْـــنَ السَّيُـــوف
مـــزحُـــومْ يَـــا نطـــاحْ وجْـــهَ المِغِيْـــرات
إنْ جَـنْ كـرادِيْـسْ السَّبـايـا صفُـوْف
فـالخيْـل تِقْفـي مِـنْ فِعُـولـهِ مِعِيْفـات
تَـاطَـا شَخـانِيْـبَ الـرَّضَـم مـا تشُـوف

وفي الشكوى يقول محدا الهبداني :

يـاالله يـاالْمَعْبُـودْ يـا خيْـرْ معْبُـودْ
يَـا مظْهـر ذَا النُّـوْنْ مـنْ بَطِـنْ حُـوتـه
تـرْحَـمْ غَـرِيْـب دُوْنَـه البَـابْ مـرْدُوْد
تُـوَازنَـتْ عِنْـده حيـاتـهِ ومَـوْتـه
أَطْلِبْـكْ تَـرْزقْنَـا بِيِسْـرِكْ عـنْ الكُـودْ
هـذَا زَمَـانٍ شَيَّبْنـي وقُـوْتـه
أَشُـوْف أنَـا بِـالنَّـاس حـاسِـدْ وَمحْسُـودْ
وَلقِيْـت لـي نَـاسٍ تِضيِّـعْ سِمُـوتـه

في الكتاب اشعار جمة من هذا الطراز، تتناول اغراضا شتى، في عرض شيق، وبيان مؤثر..

وكما يحفل هذا الكتاب بالتاريخ والأدب .. فهو ايضاً غني بمفاخر العرب، وآثارهم، بالشجاعة بالكرم، بحماية الجار، بالذب عن الديار، باجارة الخائف، بالاسجابة لنداء المستصرخ، باطلاق كلمة الحق، بالصدق، بالشيم .. بكل معاني الرجولة والشمم ..

وبالجملة فبه يتجسد الخلق العربي، ويعود بذاكرة القارىء الى ما كان يفعله العرب الاقدمون، مما حفظته لنا الكتب، ودونه لنا الرواة..

وانني لعلي ثقة ان هذه التجربة، سوف تلاقي من القارىء العربي، ما تستحقه من اقبال واحتفال، ليكونا دافعاً للمؤلف إلى المضي في متابعة بحثه، واكمال سلسلته ..

ولا شك أنه ببحثه هذا، وقد اضاف الى المكتبة العربية سفراً نفيساً ، هي في اشد الحاجة الى مثله.. فله منا عاطر الشكر ووافر التقدير.

الرياض في ٢٥ - ٦- ١٣٩٨هـ   عبد الله بن خميس

مقـــــدمـــة المـؤلف



بالّلي جرى وضَّحتْ وأبْلَغتْ وأفضَيْت ... بالمقدِمِيْنَ أهْلِ النّضَا والسّلايْلِ

عزَّ الله إنيْ لِلْحَقِيْقهْ تحرَّيْتْ ... عنْ قُوْلْ بعضِ النّاسْ عذْلٍ ومايِل

على نعايِلْ مِنْ ذَكَرتِهِ تَقَصّيْت ... ويشْهَدْ على ماقُلْتْ زِيْن المِثايِل

قُوْلٍ بِلاَ فِعْلٍ صَدّى عِقْب تصْويْت ... وَقُوْلٍ بِفِعْلٍ هُوْ خِيَارَ الدَّلاَيِل

تاريخ بلادنا الأدبي، كتاريخها السياسي، والاجتماعي، والقبلي، والروحي،، لم تكتب بعد الكتابة الصحيحة، المستوعبة، وما قرأنا عن ذاتنا، ولم تقرأ الامم عنا، الا المامات، لا تعطي صورة متكاملة، ولا تكون فكرة صحيحة .. فكثير من الأثار، والأخبار، والأشعار، والوقائع .. لا تزال رهن صدور الرجال، يتصيدها الباحث من هنا وهنالك، ويلاقي ما يلاقي من جمع متفرقاتها، والربط بين احداثها، ومواءمة ازمانها، والمقارنة بين اقوال الرواة عنها.. وكثيراً ما يعتورها الخطأ، ويضيع معالمها النسيان.. واذا انقرض الجيل الذي صدوره اوعية لها، ولم يبق الا جيلنا الذي عاش حياة هانئة هادئة، يسودها الأمن، ويحوطها خفض العيش، وتقعد بأهلها قصر الهمم عن استيعاب تاريخهم .. فمعناه فقدان جوانب أثيرة من تاريخنا، وفصم حلقات من سلسلة ماضينا، يطلبه الآخرون فلا يجدونه، ويتصيدون بعض معالمه فتدون ملفقة مهزوزة..

وليت شعري اهي القدرة الثقافية لم يتكامل بعد نضجها، ولم تؤت أكلها لتعنى بما يعنيها؟! او أنها ثقافة ينقصها التجميع، والتنظيم، والتهذيب .. لتتلاقي في شكل جمعيات، وروابط، ومنتديات.. يعنى كل جانب منها بجوانب، ويتخصص كل قبيل بمنهج؟!

أو أن المثقف لدينا قعدت به همته، ونام عن واجبه، ولم تكن له بسلفه

الذين أدوا ضريبة الثقافة، وبذلوا واجب العلم.. لم تكن له بهم اسوة، ولا قدوة ؟!

سيان كان هذا، أو ذاك، أوذلك .. فهو عجز لا نبرىء انفسنا من جريرته، ولا نعفيها من ملامته!!

وحينما أتصدى أنا وأمثالي للتأليف، ونحن - وان توفرت لدينا مادته - ، فلا ندعي لانفسنا توفر أداته التي نكتبه بها.. ولكنها الغيرة على تراث يهدده العدم، ومجد ينوشه النسيان، وتاريخ لم يكتب، وكنوز لم تطلب .. فلنا فيها فضل الحفظ والتدوين، وللغيارى بعدنا فضل التنميق، والتدقيق..

على انني في مؤلفي هذا قد تناولت جانباً من جوانب، وأعطيت قطراً من بحر، وأتيت بما اعلمه، وتركت ما ليس لي به علم، وكل ذلك في مهيع واحد، هو تاريخ أدبنا آخذاً جانباً منه متمثلا في قصص ابطال خمسة .. جعلتهم أولى حلقات لسلسلة ابطال آخرين، تبرز فيهم خصلتان، هما الفروسية، والشاعرية.. وما اكثرهم، طواهم تاريخ لم يكتب، وحقب انتهت ادوارها، واندرست معالمها..

وما اخترت هؤلاء الابطال الخمسة أبدأ بهم هذه السلسلة، لأنني بدأت بالأهم على المهم، أو لأن غيرهم دونهم بطولة وشاعرية .. لا ، ولكنَّ دراستهم تواجدت لديَّ قبل غيرها، ورواة اخبارهم حظيت بهم قريبا مني..

وما أردت ان أوثر بدراستي قبيلة دون قبيلة، ولا جهة دون جهة، حينما ترى - قارئي الكريم - ان اربعة من هؤلاء الخمسة من قبيلة واحدة، هي قبيلة عنزة، ومن جهة واحدة هي شمالي المملكة .. ولكن اسباب البحث هي وحدها التي تحكمت في الوضع، وهيأت الفرصة .. فأعيذك من ظن يفضي الى الاثم، ومن تفكير مادته الخيال ..

وحينما ترى في دراسة هؤلاء الابطال مواقفهم البطولية، وأيامهم

المشهودة ضدَّ القبائل الأخرى، ونكايتهم بهم .. فما أتيت بها معرضاً ، ولا غامزاً ،وما أردت أن امدح هذه على حساب النيل من الأخرى.. ولكنني اكتب تاريخ ابطال، يقتضيني الواجب استيعابه، ويطلب مني التاريخ تدوينه،وما أراك تعفيني من المسؤولية،حينما اغمط بطلا حقه، وأهمل جانباً من تاريخه، لأن ذلك لايرضى قبيلة أخرى..

وسوف ترى عند دراسة ابطال آخرين، من قبائل أخرى، كيف أورد بطولاتهم ضد قبائل ابطالنا الخمسة هؤلاء..

فالقضية قضية كتابة تاريخ لكل قبيلة وعليها، والناس عبر الحقب والقرون، غالب ومغلوب، وموتور وواتر ..

والحمد لله الذي نقلنا من تلك الاحن، والحزازات، والأحقاد، والثارات.. الى امة واحدة، اصبحوا بنعمة الله اخوانا.

وما اثارة العنعنات، والقبليات، والاقليميات.. الا ضرب من الجهل، ومس من الخبل.. تأبي هذه الامة المتحدة، المؤتلفة، البانية، ان يدخل كيانها، او يتخلل صفوفها..

وربما وقعت عينك في هذا الكتاب، على بيت من الشعر أو أكثر، رويته لشاعر، وانت ترى انه لشاعر آخر .. وربما جاءت رواية من الشعر او اكثر في هذا الكتاب ، على نحو ما أوردته، وانت ترى ان الرواية الصحيحة غير ذلك.. او جاءت رواية او قصة مخالفة لما تحفظه عنها .. كل ذلك ربما صادفك وانت تقرأ هذا الكتاب .. وربما يصادفك غيره ..

ولكي لا تتعجل بتخطئتي، يجب ان تعلم ان ادباً، وتاريخاً ، ظل مستودعه صدور الرواة، قروناً متعاقبة لا بد ان يطرأ عليه ما يطرأ، من زيادة، ونقصان، ومبالغة في الرواية، وتباين في الأداء، وتأثر بالعاطفة، وتعصب للقبيلة، وتحامل على الأخرى .. وهكذا وقع في ادبنا العربي الفصيح، بل

وقع في السنة المطهرة، لولا الغياري من علماء المسلمين، الذين كانوا صيارفة في النقد، وحُذاقاً في تمييز الأصيل من الدخيل، والخالص من المزغول..

من هذا ندرك ان الأدب الذي يعتمد على الحافظة، عرضة للخطأ ، مظنة للتحريف . .

فمثلا لو رويت قصة من القصص، في منتدى، وطلبت من أفراد هذا المنتدى، ان يعيد كل فرد روايتها، لوجدت تبايناً في الرواية، واختلافاً في الاداء . . فكيف بما تنوقل عبر القرون، وذهب أهله في عالم الفناء . .

انني لم ادخر وسعاً في تصحيح الرواية، وتحقيقها، وفي المقارنة بين اقوال الرواة، والأخذ بما هو اقرب الى الصحة، وادنى الى المعقول: وما آليت جهدا في التحفظ، حينما يروي راوية عن قومه، لعلمي ان العرق دساس، وان العاطفة أخاذة . .فما رويته في كتابي هذا لا الوم نفسي بعد ما بذلت في تهذيبه، وبالغت في تحقيقه. .وجل من تنزه عن النقص، وتعالى عن الخطأ

ولقد قلت آنفاً ان ما حملني على هذا التأليف، هو الغيرة علة تراثنا المهمل . . ولا انسى انه يدخل تحت ذلك غرض سام اردته، وهو ان يفتح ناشئتنا أعينه على نماذج من سلفه، مثلوا العروبة في اجلى مظاهرها، شجاعة وكرماً، وخلقاً وشهامة، وذباً عن الديار، ومحافظة على الجوار، وحماية للذمار. .

ان في هذه النماذج لقدوة، واننا لفي زمن ضمر فيه الخلق العربي، ومرضت اصالته، ولانت قناته، وخدش حده .. فوجد به الاعداء مغمزاً وجرهم ضعف جانبه للطمع في تحطيمه .. فما أحوجنا الى استثارة الهمم، وتحريك المشاعر . . ولعل في ابراز المجد الغابر، على نحو ما جاء في هذا المؤلف ، ضرباً من التوعية، ووسيلة من التحريك .. ادلى فيها بدلوي، وماغير الخير أردت . . والله المستعان . .

محمد بن احمد السديري

الكِتـــــــــــاب

- – سعدون العواجي
- – ساجر الرفدي
- – شالح بن هدلان
- – مِخْدَى الهبداني
- – خلف الأذن

تنبيه : الصور التي وضعت لهؤلاء مستوحاة مما عرف من أوصافهم

سعــدون العواجي

سعدون العواجي - نسبه - رئاسته - فروسيته - شاعريته - إبناه عقاب وحجاب - نشأتهما بسورية - تنازع الزعامة بين سعدون وابن عمه شامخ - تغلب شامخ عليه - استنجاده بابنيه بالشعر - مجيء ابنيه واستخلاص الزعامة من شامخ - حرب العواجية مع شمر - مساجلات شعراء الطرفين - غرام عقاب العواجي بابنة عمه (نوت) - شعره بها - حروب العواجية مع قبيلة حرب - الشعر بينهما - مصرع عقاب وحجاب على أيدي شمر - حزن سعدون العواجي على ابنيه - رثاؤه الباكي - شعراء شمر يرددون الفخر - سعدون يربي أحفاده ويعدهم لأخذ الثأر - الأحفاد يتبارون في الشعر لأخذ الثأر - ابن عقاب يثأر ويقتل هايس القعيط - غنيم الربضا وابن طوعان لدى عبد الله بن رشيد - آل بريك شمر من قبيلة الدواسر.



عقاب بن سعلون العواجي

الشيخ سعدون العواجي هو شيخ عموم قبيلة (وِلْد سليمان) التي هي من أفخاذ قبيلة عنزة الكبيرة، له شأن بين قبائله، ورئاسته لهذه القبيلة عريقة، مطاعاً بين افراد القبيلة، شجاعاً ومشهوراً بفروسيته ، وشاعراً مجيداً، اشعاره حماسية . . وكثيرة الفخر وكان محترماً حتى عند أعدائه، وله أبناء كثيرون، ولكن لم يشتهر منهم سوى ابنيه عقاب، وحجاب، وهما شقيقان . . اما بقية ابنائه فلم يشتهروا. وشهرة عقاب قد زادت على شهرة ابيه، وكان من الابطال القلائل بنجد.

ولكن قبل أن يبرز ابناه وقبل أن يبلغا سن الرجولة، حصل بين الشيخ سعدون، وبين زوجته، والدة عقاب، وحجاب - خلاف أدى الى طلاقها، وذهبت الى اهلها في بلاد سورية، ومعها ابناها، وهي من قبيلة الفدعان من عنزة، الموجودين في سورية، وكان اخوال الشابين - عقاب وحجاب - مشهورين بين افراد قبيلة الفدعان، وقد تربيا في اخوالهما احسن تربية، وبعد ان بلغا سن الوجولة (خيلوهما[1]) وأصبحا فارسين يضرب بهما المثل، رغم أنهما بعيدان عن والدهما، وقد التف حولهما بعض من

(١) جعلوا لكل واحد منهما فرساً يركبها ويقاتل عليها . . .

جماعتهما، (ولد سليمان) من النازحين الى سوريه مع قبيلة الفدعان، واصبح عقاب وحجاب يترأسان قسماً من عشائرهما في سوريه، اما الشيخ سعدون والدهما فقد بقى شيخاً لجماعته (ولد سليمان) في نجد، الى ان برز شخص من ابناء عمه يسمى شامخ العواجي، وأخذ ينازع سعدون الزعامة، ويعرقل نفوذه على قبيلة (ولد سليمان)، واخيراً استفحل امره، الى ان خفر ذمام سعدون مراراً وتكراراً مستهتراً بأوامر الشيخ، وأخذ يتحداه في كل مناسبة، ويقلل من قيمته عند القبيلة، ويضع العراقيل في وجهه، واخيراً أخذ مكان سعدون، وتزعم القبيلة، وأخذ يعامل الشيخ سعدون معاملة سيئة، وقد وصل به الامر الى ان حقره، وحظر عليه ان يورد ابله على اي منهل ترده قبائل (ولد سليمان) قبل ان ترد ابل شامخ وابل كل القبيلة، ولم يجد الشيخ سعدون من قبيلة (ولد سليمان[1]) أي نصير، أو سند يدفع عنه الضيم، وبقى بينهم محتقراً، يتجرع ويلات الذل.. وقد قال اشعاراً بهذا كثيرة، سأورد منها البعض.. وهو الذي استقيته من رجال عنزة الطاعنين بالسن، وهذه من بعض اشعاره:

اللهْ مــنْ هَــم بِكبْــدي سَعــرْهــا
دلّــي بِمِــلْ القَلْــبْ مَــل الشُّــوَاتــي
وِشْ خَــانَــةِ الــدُّنْيــا سَــرِيْــع دُوَرْهــا
لَــوْ أقبلَــنْ سِنِينَهــا مِقْفِيَــاتــي

---

(١) ولد سليمان احد فخوذ أربعة هم الفدعان والسبعة والسلقا وولد سليمان.. يرجعون الى احد بطون ثلاثة من عنزة وهو ضنى عُبيد أما البطنان الآخران فهما وائل ومسلم

ومِنْ عِقْب ماني مِقْفي عنْ نَحرهَا
الْيُومْ بينْ الْقيْنْ هُوَ وَالْحِذاتي
ومِنْ عِقْبْ مَا نِلْبس غرايبْ شَهرها
مِنْ فُوقْ قِبّ عِندَنا مِكْرماتي
يُوم انّ خَيالْ النّدَم مَا قِصرها
عَمّنْ جدَّت بهِ نفهقِ الاوّلاتي
واليُوم طَيّبْنا علِي الشّيْل مِزهَا
يَاحَيْف ما نسْتَاهِل الْمِغسراتي
حلاّلْ عِقْداتٍ كِبارٍ عبَزهَا
وخالِق نجُوم بالسّما سَاهِراتي
ما مالٍ إلاّ فارغٍ مِنْ زِيَزهَا
ولاَ حيّ إلاّ مِقْتفِيْه المِماتي
يَارازِق اللّي[1] ما بِعِشّهِ ذَخَرها
طِيورِ الهَوى في قِدْرتك عَايْشاتي
تفْرَج لِمنْ عَينه تزَايَدْ سهَرها
الْطِف بنَا يا عالِم الخَافياتي
يَاللّي خَلَقت أقْفَارها مَعْ بَحرها
يَا منْ بِحُكْمِكَ تَجْري الْكَاينَاتي

---

(١) اللي : الذي.

أَوْجَعْــتْ مِــنْ حَــرّ اللَّيــالــي سَمَــرِهَــا
وذكَــرت طِيْــب أيّــامِنَــا الْفَــايِتَــاتــي
وَنَشَــدْتْ وِيْــنْ اللّــي يَنْثُــرْ حَمــرْهــا
وقِفْــت اتــذَكّــرْ ويْــن حِــزْوَة شِفَــاتــي
اللّــي إلــى جَــا الخيْــل خَبّــثْ كِــدرْهــا
صُــوْرَتــهِ ذعَــارْ الْقِــرّحَ الصّــافِنــاتــي
عِقَــابَ السّبــايَــا كَــانْ جَــاهَــا ذَعَــرْهــا
هَــوْقَ الْعَــدِيــمْ ومَشْبــع الْحــايِمــاتــي

لقد تألم بهذه القصيدة ، وذكر الدنيا وميلاتها، وتذكر ركوبه للجياد، وانه يرجع على الخيل الكاره، ويهزم السابقات من خيل الأعداء، وينقذ من تخلفت به جواده من رفاقه، انه لايستحق المعسرات، لأنه اصبح العوز به ضاراً، حتى انه لايستطيع ان يجد ما يحمل عليه امتعته، ثم رجع الى ربه، وطلب منه الفرج، وقال هو الذي سبحانه يرزق الطير باوكارها، وهو الذي- بأمره تجري الكائنات، ثم تذكر ابنه عقاباً، واشاد به، وأخذ يسأل عنه وقال: من الذي ينثر الأحمر؟، يقصد دماء الابطال. اين الذي يرعب الخيل، ويكدر صفوها؟، أين الذي من زأرته تنفر الصافنات، ويدخل الرعب في قلوبها، وقلوب فرسانها؟. انه عقاب الخيل، ومشبع الطير من لحومهم.

ثم اردف بهذه القصيدة الأخرى، بين فيها انه قد عزم على الرحيل، ليفارق شاخاً وغطرسته، وعندما لاحظه بعض الذين يعطفون عليه، يجمع امتعته، ويحملها على رواحله اخذوا يلومونه وحاولوا ان يثنوا عزمه، ولكنه اصر على

الرحيل، وقال في قصيدته: ان شاخاً لاينصاع للحق، لذلك فهو سيبتعد عنه، ويعالج آلامه بالفراق، لأن في البعد سلوى له :

قَـالـوْا تحـوزِفْ قلْـتْ يَـا لُـزبـعِ نَجّـاع
وقـالُـوا تِقْيـمْ وقلْـتْ يَـالـرّبْـعْ مـا قِيْـم
قَـالـوْا عَـلامِـك قِلْـتْ مِـنْ قـلّ الافْـزاعْ
صيْحَـةْ خَـلاَ مـا عِنْـدي الاّ الْهَـذارِيـم
والـى بغَيْـتَ الحـقْ مِـنْ شـامـخ ضَـاعْ
يَطْـرُمْ عَلـيّ دَايِـخَ الـرّاسْ تَغْـرِيْـم
يبْعِـد عـن القَـالاتْ طَقّـه بـالاصبـاغْ
مِـنْ قِلـةِ اللّـي يضْـربـه بِـاللّهَـازِيْـم
لِيَـا صَـارْ مَـا تُـوفـي عَميلِـكِ مـن الصّـاع
مَـا يِنْقِعِـدْ لـكْ عِنْـدْ حِضْـنِ النّـوَاهيْـم
شِبْـرٍ مِـن الْبِيْـدا يعـوّضـك الافْـزَاعْ
وشُـوْد الليـالـيْ يِبِعْـدُنّـكَ عـن الضّيْـم

ولكن هذا لم يكن به حل لأمره، فهو اذا ابتعد عن قبيلة (ولد سليمان) سيكون لاجئاً عند احدى القبائل، وهذا يرى ان فيه نقصاً عليه بعد العز الرفيع، الذي كان عائشاً فيه، واذا انفرد وحده في فيافي نجد فسوف يكون لقمة سائغة لبعض الغزاة من الصعاليك، وهو لا يستطيع وحده حماية نفسه، ولذلك فقد رجع بعد أن رحل مرغما، بهذه الظروف زاد شامخ بطغيانه، وتجبره على سعدون، الرجل الطيب، الوقور الشجاع، جرى هذا

كله على سعدون، وابناه عقاب وحجاب عند اخوالهما بالأراضي السورية، ولهما (مخصصات) عند الدولة العثمانية، مثل بقية مشائخ عنزة، الموجودين بسورية. والمواصلات بينهم مقطوعة، واخيراً لفت نظر سعدون شخص من الذين يعطفون عليه، ان يكتب لأولاده، ويشكو إليهم، ويخبرهم باعتداء شامخ على جميع سلطاته، وخفر ذمامه، وإهانته بين قبائل نجد. . فكتب سعدون لابنيه هذه القصيدة :

يـارَاكـبٍ مِـنْ عِنْـدنَـا فُـوْقْ مِهْـذاب
مَـامُـونْ قَطَّـاع الفَيَـافـي إلـى انْـوِيْـت
عِنْـدَ الفضَيَلَـة عِـدّ يْـوْمِيـنْ بِحسَـابْ
أوّلْ قِـراهُـمْ قَـوْلْ يـاضَيْـف حِيِّـتْ
حِـرٍّ صغيـر وتَـوَّمـا شـقّ لـهْ نَـابْ
وعِقْـبَ القِـرا ودّع رِجـالٍ لهُـمْ صِيْـت
ولِيـا رَكِبْتَـه ضَـرِّبـه خـل[1] الاجْنـاب
وانحـرْ لِنَجْـمِ الجـدي وإنْ كـانَ مَـدّيْـت
واسْلَـمْ وسلِّـمْ لِيْ عَلى عِقَاب وِحجابْ
سلِّـمْ علـى مَضْنـوْنْ عِيْنـي إلـى الْفيْـت
بـالْحَـالْ خِـصْ عقـاب فكّـاك الانْشَـابْ
ينْجِيْـك كـانْ انَّـكْ عـنْ الحَـقّ عِـدّيْـت

(١) الخلّ : الطريق في الرمل.



سعدون العواجي

قِلْ لهْ تَرىْ (شامخ) شِمَخْ حِقِبْ ما شَاب
وياعقَابْ وَالله ذَلَّلـونـي وَذَلَّيْت
وياعقَابْ حَـدُونِيْ عَلـى غَيْـر ماطَـاب
وقَـالـوا تَـوَدَّدْ مِـنْ ورَى المـا، وتَعـدَّيْت
مِنْ عقْبْ مَـاني سِتْرهُـمْ عِنْدَ الاجْناب
ولِيَـابَلَتْهُـمْ قَـالـةٍ مَـا تَتَقَّيْت
مـا دَامْ شَـامِـخْ مـالِـكٍ جـرد الأَرقَـابْ
لـوْ زِيَـنْ الْفِنْجـالِ لِـي مـا تقَهْـوِيـت
يَـاعْقَـابْ حَـطْ بِشُـومَـة الْقَلْـبْ مِخْـلَاب
مِـنْ الصَـامْ فـي نُـوْم الْعَـرَبْ مَـاتَهَنَّيْت
الْجفـنْ عـنْ نَـوْمِ المـلا فِيْـهِ نَشَّـاب
وحِـدّ الطْعَـامْ مِـدوّس بِـهِ حـلاتيْـت
حِقْبَ المَعزة صِرْتْ ياعقَابْ مِرْعَاب[1]
والنَّـاس حيِّـن وأنَـا حِقْبْكُـمْ مَيـتْ
مِنَ الضَّيم ياعقابْ السَّرَب عارِضي شَاب
واذْوِيْـت مِـنْ كِثْـر العَنَـا واسْتَخفَّيـت
فـاتَـنْ ثـلاث سنِيْـن والنَّـوْم مـا طَـابْ
وَشَكْـوَاي مِـنْ صـدْرِي حِبـار وتنـاهيْـت

(١) مرعاب : ذو رعب.



حجاب بن سعدون العواجي

الْبِيْــت مــا يِنْبنــى بَــلا عِمْــد واطْنــاب

متــي يِجِينَــا عقــابْ يَبْنــي لنَــا الْبِيْــت

مَـالـي جِـدَا[1] إلاَّ عَضَّـةِ الْبِهِـمْ بـالنَّـاب

وراعِيْـت كِثْـر الحِيْـف بـالْعِيْـن واغْضَيْـت

ازجِــي بِشِيْــرِ الْخِيْــر مَــعْ كِــلْ هَبَّــاب

ومِتي يِجُونـا اخْـوان (نِمشَـة) علَـى الصِّيْـت

ولا بد ان القارىء لاحظ مرارة شكوى سعدون لابنيه، وحرارة الذلة، وكيف انه اصبح مهاناً بعيشه بين قومه، ذليلا حسيراً عاجزاً عن كل شيء، بعد ماكان يحمي حماه ويقوم بنائبات القبيلة، وقد شكى لاولاده وبين كل ما يلاقيه من شامخ، من تعسفات، ثم اثنى على عقاب، وناداه ليجلي الضيم عنه، ويفرج كربته، واخيراً قال انه يرجو البشير الذي يبشره بمقدم ابنيه مع الرياح المنطلقة، وتساءل متى يصل أخوا ابنته نمشة اللذان كان لهما صيت.

وبعد ان وصلت هذه القصيدة لابنيه عقاب وحجاب، ثارت ثائرة عقاب، وأمر أخاه ان يهيىء نفسه للرحيل من بلاد سورية، ويترك مقرراته التي استحصل عليها من دولة الأتراك هناك، ما دام أن والدهما قد لحق به الأمر ثم قال عقاب هذه الأبيات مناجياً صديقه عيداً، وكان عيد هذا يمتلك فرساً ليست من الخيل الأصائل، وأشار عليه عقاب بالقصيدة ان يبيعها، لأنهم ذاهبون لنجد، وليس في نجد الا الخيل العتاق، والرماح والطعن، وخشى على صديقه عيد ان يخوض معمعة على جواده الهجين، ويكون ضحية

---

(١) جِدَا : مالي حيلة.

بالميدان، أو ينهزم ، ثم يعد من الجبناء، وقال : ياصديقي عيد سأهدي اليك أول جواد أصيل آخذها غنيمة في أول معركة نخوضها بنجد :

يَـا عيْـد جَلَّـبْ مهـرِتـكْ عَفْنـةِ الـذَّيـل
لاَ عَـاد مـا تكْسِـبْ حِـذا[1] قُـول خَيَّـال
رِحْنَـا لِنَجْـدِ ولا بِنَجْـدِ مَحَـاصيـل
نِطْعَـنْ ونُطْعَـنْ فُـوقْ عَجْـلاَت الازوَالِ
إنْ طغْتنـي يـا عيْـدْ بَـدِّلْ بهَـا كِيْـلْ[2]
وَدَوِّرْ لَهـا مِـنْ غَـايَـةَ الشُّـوفْ دَلاَّل
إنْ نـرتْ[3] قَـالـوا عِيْـد عَيَّـل هَـل الخَيْـل
وإنْ هِشْـتْ قَـالـُوا رِدْ مِنْهُـم بِخَيَّـال

قال الفارس عقاب هذه الأبيات ،فأطاعه صديقه عيد، وباع الفرس، واشترى لأولاده زاداً، ورحل عقاب واخوه وصديقهم عيد ومعهم بعض الخدم، وترك جماعته الذين من (ولد سليمان) بسورية، ومشى بظعينته الى نجد وقد استغرقت رحلته ثلاثين يوماً، وصل بعدها بالقرب من منهل يسمى (الحيزا) من ديار قبيلة (ولد سليمان) وقد باتوا على مقربة منها، بعد ان تأكدوا ان ابل قبائل (ولد سليمان) واردة على هذا المنهل،في الليلة

---

(١) حِذًا : سوى.
(٢) بدل بها كيل : اكتل بثمنها.
(٣) نـرت : شـردت ، عيَّلْ هـل الخيـل : قـاد هـزيمتهـم. والهـوش الفتنـة. ورُدّ منهم بخيال : أسر منهم فارس.

المذكورة وبعد طلوع الفجر الأول، قام عقاب وتأبط سيفه، وأمر أخاه ومن معه ان يتبعوه بظعينتهم، ثم مشى على قدميه متجهاً الى العرب الذين على (الحيزا) مختفياً، وأخذ يبحث عن بيت والده سعدون، وكان قد استوصف من الناس مايدله على بيت أبيه وقد قيل له.. إن شامخاً امر على ابيه بأن لايرفع بيته بين بيوت القبيلة، إذ لالاً له وكذلك أمر راعي ابله قليلة العدد، ان لاترد على الماء الا بعد ان ترد ابل الحي باكملها، وعندما وصل بيت والده قبل طلوع الشمس ،وقبل أن يرد احد على البئر، وجد والده نائماً ، وكذلك راعي ابل والده نائماً بين الإبل،فأيقظ الراعي، وقال له قم أورد ابلك على الماء، فقال له الراعي : لا استطيع يا عماه، لان الشيخ شامخاً سيضربني، وقد امرني ان لا ارد الماء الا بعد ان ترد القبيلة، فنهره عقاب بشدة، وحاول الراعي ان يعتذر لانه لايعرفه، فأكد عليه، وقال له : أورد ابلك وانا معك، ولا تخف،ومشى الراعي قسراً بالابل الى البئر،واختفى عقاب بين الابل، وعندما وصلوا قرب البئر،شاهد شامخ ان راعي ابل سعدون قد ورد الماء،عاصياً لامره فثارت ثائرته، ونادى الراعي،وتهدده، فقال عقاب للراعي بصوت لايسمعه شامخ : امض لسبيلك ولا تجبه، وعند ذلك اشتد غضب شامخ، وأخذ عصاه، واقبل من بيته يعدو، ليشبع الراعي ضرباً كعادته، وعندما قرب شامخ منه، خرج عليه عقاب من بين الابل،كأنه الأسد، مجرداً سيفه، ووثب على شامخ ليقتله، وعندما رآه شامخ،عرف ان هذا عقاب، الذي خبر اوصافه، وتأكد من شاربيه اللذين يلامسان اذنيه،فصعق شامخ، وعرف انه لايستطيع الدفاع عن نفسه،ولا يتمكن من الهرب الى بيته ، ففضل ان يرمي نفسه بالبئر القريبة منه، وفعلا رمى

نفسه، وأطل عليه عقاب، وأدلى عليه الرشا، وقال اخرج ،فقال: هذا هو قبري، لايمكن ان اخرج الا ان تعفو عني، فقال عقاب : ان جبنك الذي رأيته سيجعلني اعفو عن قتلك مشروطاً ذلك بعفو الشيخ سعدون اي ابيه فترك عقاب راعي الابل يسقيها، وامر من حوله ان يخرجوا شامخاً الجبان الذي اختار ان يرمي نفسه بالبئر، ورجع عقاب بعد ان رأى أخاه حجاباً قد وصل بالظعينة، فأومأ اليه نحو بيت والده، وامرهم ان يبنوا البيت الكبير، وان يرفعوا عماده، وبعد ان سلموا على والدهم، تهلل وجهه بشراً، وسر برؤية ابنائه، وبعد ان بنى البيت اثثوا مجلسه بأحسن الأثاث، وهيئوا مقعداً وثيراً لوالدهم من احسن المفرشات التي كانت تنسج بسورية آنذاك، وطلبوا من والدهم أن يجلس عليه، ثم أمر عقاب صديقه عيدا، ان يركب احدى الخيل ، ويبلغ القبيلة بأن يحضروا للسلام على الشيخ وولديه عقاب وحجاب، فراح صديقهم مسرعاً ويلغ القبيلة بعد طلوع الشمس فجاءت قبائل (ولد سليمان) وسلموا على سعدون وابنيه وتمت البيعة لسعدون من جديد، وقد اعجبوا بعقاب وحجاب، وكان اعجابهم بالشيخ عقاب عظيماً جداً، حيث تأكدوا من رؤية الرجل الذي سارت بأخبار شجاعته الركبان، من بلاد سورية، وقد تم التحول بهذه الطريقة البسيطة، واشاد ابنا سعدون مجد والدهما من جديد، وراح شامخ نسياً منسيا، وقد عفا عنه الشيخ سعدون، لأنه رآه لايستحق أن يجازيه على افعاله، لما ظهر من جبنه، لقد رفع عقاب وحجاب والدهما الى القمة، واخذ الشيخ سعدون يصول ويجول في بلاده، لايخشى احداً من القبائل، وزاد به الأمر ان أجلى بعض

قبائل شمر عن بلادهم.. ولا شك ان هذا بسواعد ابنائه، خاصة ابنه عقاب، الفارس الشجاع.

وذات يوم بلغ سعدون ان اراضي (بيضا نثيل) مخصبة، وهذه يملكها مسلط التمياط، شيخ قبيلة التومان من شمر، فالتفت سعدون الى ولديه عقاب وحجاب، وقال لهما: انني احب ان ارحل الى (بيضا نثيل) وآخذها عنوة من مسلط التمياط وجماعته، فأجاب ابناه بالسمع والطاعة، وقالوا عليك ان تأمر، ونحن سنأخذها قسراً، فأمر سعدون العرب بالرحيل، لأخذ (بيضا نثيل) من التمياط، وقال سعدون : سأرسل له هذه القصيدة ان يترك (بيضا نثيل) بدون حرب. لأنه يحب ان يدلل ابله بها، لأنها مخصبة، وهذه هي القصيدة :

يَـا رَاكِـبَ اللَّـيْ مَـا لَهَجْهَـا الْجِنْبَـا
مَـاهِـيْ وَحَـنْهَـا ثَـامِنَـهْ لَـه ثِمَـانَـا
فِـجَ النحُـوزْ مَحَجَّـلاَتِ البِـذْبَنَـا
مِـنْ سَـاسْ عَبْـراتٍ وابُـوْهُـمْ حِمَـانَـا
يَلْفـنْ لِمِصْلَـطْ تِـرثـة الْغَـانِمِيْنَـا
قـلْ ارْحَلُـوا عَـنْ جَـوَّكُـمْ صَـارْمَـانَـا
نبْـي نَـدلّـه مِغْـرِحـاتَ الْحَنِيْنَـا
أَذْوَاذْ مِـنْ رِعْـي الْمَخَـافَـةَ سِمَـانَـا

مَـاهُـمْ بِـوَرْثْ اجْـدُوْدِنـا المِقْـدِمِيْنـا

كَسْـبٍ بـالايْـدي مِنْ حَـلايِـبْ عِـدَانَـا[1]

نفكّهِــنْ مِــنْ لاَبَــةٍ مِعْتِــدِيْنـا

ومِـنْ دُوْنهِـنْ عُـوْد الْعُـرَيْنـي عَصَـانـا

يَـزعَـنْ بِظِـلّ عِقَـابْ مِـزْوِي السِّنِيْنـا

اللّــي لِيـا صَـارَتْ عَلَيْنـا حَمَـانَـا

وَقُــوْلـوا تَـرانَـا يمَّهُـمْ مِقْبِلِيْنـا

ويَقْصـرْ عَـنِ الطُّـوْلاَتْ كَـانـه بَغـانَـا[2]

عَـدَوِّنَـا نِجِيْـه لـومَـا يِجِيْنـا

ونِضْفـي عَلـى عَـدُوِّنَـا مِـنْ خطَـانَـا

ونـرْكَـبْ عَلَـى اللّـي كِنَّهِـنْ الشَّنِيْنـا

خَيْلِ الصَّحايه ما اعتَرضْهِن حِصانا[3]

والمَـوْت عِنْـد اقْطِيّهِـنْ وإن حِـدِيْنـا

وَيـاسِـرْغ رَدْ وِجِيْهِهِـنْ مَـعْ قِفـانـا

وفعلا اخذوا (بيضا نثيل) من (مصلط التمياط)، واتسعت حدود سعدون العواجي هو وقبيلته، الى ان بلغت من (خيبر) الى قرب طي وشمالا (تيماء) والنفود.

---

(١) حلايب عدانا: الابل التي كان يحلبها اعداؤنا اخذناها قهراً منهم.

(٢) كانه بغانا : ان كان ارادنا.

(٣) كنهن الشنينا : ضامرات كانهن الشنان من شدة الضمر. وما اعترضهن حصان. أي ماخولط نسبهن بل كلهن محفوظ النسب.

ومع كون عقاب اشتهر بالشجاعة والفتك، فقد هام بغرام احدى بنات الحي وتسمى (نوت) هذه الفتاة كانت اجمل فتاة بين قبائل عنزة، ويضرب المثل بجمالها، وقد قال عقاب فيها الاشعار الكثيرة، وقد بحثت عن اشعاره بمحبوبته (نوت) ولكني لم اظفر الا بأربع قصائد، ادونها للقارىء تباعاً وهي كما يلي :

يَـاوَنَّتـي ، بـاقصِي الضَّمـايِـرْ سَنَـدْهـا
لازقَبـتْ مَشْـدُوب المَـراقيْـب تَـزْدَادْ
وَنَّـةْ عَجُـوزٍ مَـات عَنْهـا وَلَـدْهـا
رَمْلـى ضَعِيْفَـة مَـالَهـا غَيْـرَهَ أوْلَاد
عَلَـى الَّـذيْ مَثْنَـاه قلبـي عَقَـدْهـا
حِبَّـه بِمَكْنُـونَ الحَشـا يَسْنِـدْ اسْنَـادْ
وعُـرُوْقْ قَلْبـي يَسْتَهْـنْ بِيَـدْهـا
صَـارَنْ كمَـا شَـنٍّ علـى الـدَّارْ بيَّـاد
إن ابْعَـدَتْ عَيْنـي بِجِيْهـا رِمَـدْهـا
ودمُـوعْهَـا تِسقـي قَنَـاطِيْـشَ الاذْوَاد
وإنْ قَـرَّبَـتْ كَبْـدي بِجِيْهـا لِـدَدْهَـا
مَـرٍّ هَنُـوْعْ ومَـرّ مَـا تَقْبَـل الـزّاد
إلِّـي كِمَـا الفِنْجـالِ غَـزَّة نَهَـدْهـا
والثُّـوبْ عَـن رُوْس الثَّمـر غَـادِ ابْجَـاد
ذكَـرْت رَبّـي يُـوْم قَضَّـتْ جَمَـدْهـا
خَـلَّاقَهـا رَب لَـه النَّـاسِ سِجَّـاد

رِيمِيَّــةٍ مَــا تــرتَــع الأَ وَحَــدْهــا
تقْطِــف زَمَــالِيْــق الْخُــزامَــى بــالاجْــراد

ثم قال قصيدته الثانية شاكياً غرامه بـ(نوت) وشاكياً لواعجه وما يقاسيه بحبها وهذه هي :

وَاكَبْــدي اللِّــي كِــن بَــهْ حَمــوْ لالَــي
بــالقَيْــظْ والأَحَــامــي الجَمَــرْ نَــالَــه
تِفُــوْخْ فَــوْحِ مبَهــرّاتْ الــدّلالِــي
جَــزْلٍ حَطَبْهــا رَكّــدَه ثُــمّ شَــالَــه
والعَيْــنْ جَــابَــت دَمْعِهَــا بــانشْــلاَلــي
يشْــدي هَمَــالِيْــل الْمَطَــر مِــنْ خْيَــالَــه
مــنْ واحــدٍ يْتعَــبْ علــى شِــدهْ بــالى
لَــو مَــا عَنَــت رِجْلــي فَقَلْبــي عنَــالَــه
عَيْنِــه تِشــادِي قلْتــهِ بــالظّــلالِــي
فــي حَــدّ لُــوْحٍ مــا تْشــولــه حبــالــه
وقــذْيلتِــهْ يْلعَــبْ بِهــا الْهُمّــلالِــي
بِــدفّ الظّلِيْــم ويتْعــبْ اللّــي حبــالَــه
اللّــي بميــدان المَــوَدّة مشــي لــي
يَــرْخــص كــلامــه ويتغــالــى حَــلالِــهِ
أنــا أَشْهَــد إِنّــه بــالْهَــوى سمّ حَــالــي
ويبّــس عــرُوق الجِســم واذْوى خَيــالَــه

عِنْـدي غَـلاه مِـرخّـصٍ كـلْ غَـالـي

طِفْـــلٍ مِعـــذّبنـــي بِـــزايِـــد دلاَلـــه

واما قصيدته الثالثة فقد شكى فراق محبوبته، وكان أهلها رحلوا بها بعيداً عنه، وحالت بينه وبينها الفيافي الشاسعة، ولايستطيع ان يصل اليها، وأخذ يصف ما بينهما من البعد، ويشكو الى اخيه حجاب في آخر القصيدة :

مِـنْ دُوْن خِلَّي حـالِ (عِـرنـان) و (كبـاذْ)

(وحلْـوان) مـرْفُـوعَ الحِجـى حَـالْ دُوْنَـه

شَـــدُّوْا وخَلـــونـــي علـــى الـــدَّارْ رَكّـــاذْ

واقْفَـتْ مـع الجَـرْعـا تَبـاري ظعُـونـه

وَالـدمـعْ مِـنْ عِيْنـي عَلـى خـدِّي ابْـدَاد

مِثْـل الْغَشِيْـن إليـا انْتَثَـرْ مِـن زُوْنِـه

فَـرْقـى لِطيْـف الـرّوْحْ يـاخْجَـابْ لاعَـاذْ

عِقْبَـه ضَميْـري يَـابِسَـات شِنـوْنـه

يَـاخْجَـابْ كـانْ انّـكْ عـنِ الْحَـالْ نَشّـاذْ

خلّــي بقلبــيْ جَــايــرَاتٍ طعُــوْنــه

اللّـي ذِبَحْنـي بـالْهَـوى يـابْـنَ الاجْـوَاد

طِفْـلٍ قـرُونـهِ مَـا غَطَـاهِـنْ زِبُـونـه

طِفـــل لشـــرّادْ الْمَهَـــا صَـــارْ قَـــوّاد(١)

بِحِيْـر عَقْلـي فـي تُـواصِيـف لُـوْنـه

(١) قوّاد : يعني قائد سرب الظباء وهي أجملهن وأبرزهن.

حِبَّـهْ بِمَكْنُـونَ الْحَشـى يِسْنِـدْ اسْنَـاد

وانْ خَـانِنـي يـاخْجَـابْ رَبِّـي يِخُـونـه

قصيدته الرابعة، سأل محبوبته (نوت) فيها لماذا رحلوا عنه، وقال انه تحقق الفراق بيني وبينك،ووصف دموعه ووجده، وان بفراقها مال عليه الدهر، وطلب منها الرجوع لتعالج فؤاده. وانه اذا طال الفراق سيرجعها فوق الصافنات الجياد، لو أدى ذلك الى خوض معركة :

يَـا نُـوتْ عَنَّـا ظَعُـونكُـمْ لِيْـه شَـالَـتْ

بَـاحِيْـفْ تَـمَّ فِـراقنَـا يـا حَبيْبِـي

زَمْلـك مَـعِ الْحَـزْمِ المَشَـرَّفِ تكـالـتْ

وَقَفْـتَ أرَاعِيهِـنْ وقَلْبِـي غَضِيْبِـي

عِقبْـكْ عيُـونـي بِـالـدَّمُـوْع اسْتَخَـالـتْ

مِـنْ فُـوْقْ خَـدِّيْ نَـزْهِـنْ فُـوُقْ جِيْبِـي

وَعِقْبَـكْ عَلـيْ يَـا زِيْـنِ الأيَّـام مَـالَـت

ازجِـعْ وصَـالِـجْ ضَـامِـريْ يَـاطَبِيبِـي

وِذيـارنـا مِـنْ عِقْـبْ فَـرقَـاك سَـالَـتْ

مِـنْ دَمْـع عَيْنـي قَـامْ يَـذرِجْ شِعِيْبِـي

وَانْ كَـانْ فَـرْقَـاكُـمْ عَلـى القَلْـبْ طَـالَـت

نجيْـكْ فُـوْق منَّـراتِ السَّبيبِـي

نَـاصَلْـكْ لَـو مِـنْ دُونـك القـوْم حَـالَـت

مِـنْ فُـوْقْ قِـبٌ يَـرْهَجِـنَّ الْحَـرَيْبِـي

اوانّ دُونَــك قِــرْحِ الخَيْــل جَــالَــت

لَازِمْ يِجِيْبِــنَكْ حَظّنَــا مِــنْ نِصِيْبِــي

هذا ماحصلت عليه من قصائد عقاب العواجي بمحبوبته (نوت) ولابد ان له اشعاراً كثيرة، لان غرامه معها كان طويلا، وكان مستفيضاً بنجد، حتى ان الفارس الشجاع، والعاشق المعروف، نومان الحسيني، كان في رحلة صيد، ومعه عبده قنيبر، ومعهما طير (صقر) وقد اطلق الصقر على حبارى ولحق به نومان على جواده يعدو واثناء تتبعه له، مر بفتاة بديعة الجمال، راكبة بكرها داخل هودجها، وقد اعجب بها، وترك الصقر والحباري، وأوقف جواده عند الفتاة، وأخذ يغازلها، لعله يظفر بعطفها وغرامها، ولكن الفتاة لم تلتفت لكل ما ابداه، من تودد وأخذت تسأله عن شيء لم يخطر بباله، انها تسأله عن اشعار عقاب العواجي بمحبوبته (نوت) وتلح عليه ان يخبرها ان كان يعرف شيئاً من ذلك. لقد خسر نومان صقره، الذي غاب عنه بالصحراء يطرد طير الحباري، وخسر ما هو مؤمله من غرام الفتاة، لقد دفعت بكرها ولحقت بظعون أهلها الذين كانوا راحلين في الصحراء، ورجع نومان الى عبده قنيبر، فسأل العبد مولاه عن الصقر، فأجابه نومان بهذه الأبيات :

الطَّيْــرْ مِنِّــي يَــاقِنَيْبِــرْ غَــدا فُــوْت

يِطْــرِدْ حْبَــارى خَــمّ تَــالــي المظَــاهِيــرْ

دَلَّيْــتْ انِــطّ النَّــايِفَــة وازْعَــج الصَّــوْت

إلَيَــامــا ابْعَــدَوْا عَنَّــا الْعَــرَب وانْتَحَــى الطَّيْــر

أَلْهَتْنِي اللِّي كِنْ عَيْنَه سَنا مُوْت
نِجْلِ عِيُونه والثَّنَايَا مَفَاتِير
تِقُوْلْ وِشْ قَالْ العُواجِي عَلَى نُوت
شِبْهِ الطَّيُوخْ اللِّي تِحِطْ المقاهِير

وهذا دليل على ان غرام عقاب بنوت كان مشتهراً.

و(لرحيل) والد (نوت) اخ يسمى (قرينيس) له ثلاثة ابناء، احدهم ابرم عقد نكاحه على نوت بنت رحيل، ولكنها رفضت الزواج من ابن عمها هذا، لان غرامها بعقاب قد تمكن من قلبها، ولا ترضى الزواج بغيره، وكان بينهما روابط قوية، واخيراً اضطر عقاب الى ان يأتي اليها بوضح النهار، على مرأى ومسمع من اهلها، ويجلس بالقرب منها، ويحدثها ماطاب له الحديث، ولا أحد يجرؤ أو حتى يفكر بمنعه، وكان عشقاً بريئاً كل البراءة، وبعيداً كل البعد عن الرذيلة، وبمنتهى العفة.

لقد لاحظ ذلك ابن عمها المعقود له عليها فتشاور مع اخوانه بالأمر، وقرروا ان يذهبوا لعمهم (رحيل)، ويخبروه ان امر عقاب تعدى الحدود، وانهم لايقبلون ان يأتي عقاب لابنة عمهم، ويحدثها.. فذهبوا لعمهم واخبروه بالامر، وقالوا : اننا مصممون على ان ننصح عقاباً بالعدول عن أمره، وان اصر على تحديه فسنقتله، ونحن نطلب رأيك، فنظر اليهم عمهم طويلا ، ثم هز رأسه، وقال هذه الكلمة : ياويلكم من عقاب !!، ياويلكم بعد عقاب !!، وقام بعد هذه الكلمة، وهنا بهتوا، وبقوا يتساءلون عن معنى كلمة عمهم، فقال لهم اكبرهم : نعم ان عمكم يقول ياويلكم من

عقاب ان حاولتم قتله، وهذا شيء من المستحيلات، لأن عقاباً كما تعرفونه، ليس بالسهل قتله، اما قوله ياويلكم بعد عقاب، فمعناه انكم لو ظفرتم بعقاب وقتلتموه فقد هدمتم عزكم، وخسرتم الشخص الذي أرهب اعداءكم، وحمى بلادكم، وفتحنا بيننا وبين ابناء عمنا مشكلة كبيرة، ستكون سبباً بانقراضنا جميعاً، وان افضل ان تتركوا (نوتا) لعقاب، وهو أحق بها، لانه يحبها وهي تحبه، وهذا هو افضل شيء نعمله لحل المشكلة، وقد اجمعوا على هذا الرأي، فتم طلاق (نوت) وتزوجها عقاب، وبلغ امنيته (بنوت) التي هام بغرامها سنين طوالا، وبعد ان عرف عقاب ما دار بين الاخوة وعمهم، رحيل العواجي، وانهم طلقوا (نوتا) من اجله رأى لزاماً عليه ان يقابل الجميل بالجميل، وكانت له اخت تسمى (حرفه) سبق ان عقد لها على ابن عمه القريب المسمى (دغام الأحيمر)، لذلك ارسل عقاب لابن عمه، واخبره ان ابناء قرينيس العواجي عملوا معه جميلا وطلقوا بنت عمهم (نوت) من اجله، وانه يجب ان يكافئهم، ونظرا لان حرفة رافضة الزواج منك، فأنا احب ان تطلقها لازوجها على الذي طلق (نوتا) من اجلي. . فقال: انا لن اطلق حرفة ولو قطعت رقبتي، فثار عقاب، واقسم على نفسه ان يقطع رقبته في الحال، وطلب سيفه، وكان عقاب لايقول شيئاً الا فعله، وعرف دغام انه قاتله لا محاله ، وحالا ارتمى على ركبتي عقاب، واخذ يقبلهما معلناً طلاق حرفة، جاهراً بصوته، وبعد ان طلقها زوجها عقاب سعود بن قرينيس، الذي طلق (نوتا) وكذلك ارسل لأخويه الآخرين، وقال لهما أن هاتين الطفلتين يقصد ابنتيه، الصغيرتين اذا بلغتا سن الزواج فسوف ازوجهما بكما، وفعلا زوجهما بهما، وانجبت كل واحدة منهما،

ومن الثابت عندي ان أسباط عقاب من ابنتيه هم الذين يترأسون قبيلة (ولد سليمان)، وقد وصلت اليهم الرئاسة بعد وفاة عقاب وابنه، ولا زالوا هم رؤساء القبيلة، ويقال لهم آل محمد[1] .

نرجع إلى الشيخ سعدون والد عقاب، بعد ان استولى على (بيضا نثيل) من التومان، حصل بينه وبين قبائل شمر معارك هائلة، حتى أجلاهم عن بعض مساكنهم، وقد دافعوا دفاعاً بطولياً ،خاصة قبيلة الغيثة من عبدة، اما مصلط التمياط وقبائله، فقد جلوا عن ديارهم، واستولى عليها سعدون، وابناؤه، ولم تزل يملكها العواجية الى الآن.

بعد انتصار سعدون العواجي على مصلط التمياط وقتله ابن اخيه، قال الشيخ سعدون هذه القصيدة :

يَـا رَاكِـبٍ مِـنْ عِنـدَنَـا فُـوْقْ نِسْنَـاس
يَشْـدِيْ ظِلِيْـمٍ جـافِـلْ مَـعْ خَمَـايِـل
زِيْـن الْقَفَـا نـاب الْقَـرَا مِقْعَـد الـرَّاس
ومْعَـرَّبٍ مِـنْ سَـاسِ هجْـنٍ اصَـايِـل
لامَـــــدْ روَّاي وَلاَ راخ عَسَّـــــاسْ
عِـزْوٍ إلـى مـا فَـاتَ حَمْـو القُـوايِـل

(١) ابنتا عقاب واحدة اسمها (جرزة) والأخرى اسمها (برزة) فزوج جرزة هو محمد.. وابناؤها منه هم اللذين تزعموا قبيلة (ولد سليمان) ولا زالوا ويقال لهم آل محمد..

يلفي لَوايِلْ مِزوِيةْ كلْ عَبّاس
مكلّلين شَذرته بِالفَعَايِل
إليا جيتْهُم في رَبْعَةِ الشّيخ جِلّاس
يِنشَدِكْ مِنْ هُولِيْ صِديق يَسايِل
قِلْ صَبّحُونا اجْرَوْذهُم ما لَها اقْيَاس
سَكْن الْجَبَل جَانَا مَع الصّبْخ صَايِل
وَانا احْمَدَ اللّي عاضَهُمْ كَسْرَةَ الباس
كِسِيزةٍ وَصَلَتْ قِفَار وَحَايِل
في رَوْضة التّنْهَات قَرْطَنَ الالْبَاس
وَذَبح لِيَامَا جِيتْ بيضَا نِثايِل
وَكَمْ جِثّةٍ مَجْدُوعَةٍ مَا بها راس
بِسْيُوف يِشفَنْ الطّنا والغَلايِل
وكَمْ سابِقٍ راكبها طَاحْ مِنْحَاس
مِنَ الْمَغْرِقَةْ يِجِيكْ للقَاغ مَايِل
والصّبح جَانَا مِضلط دايخ الرّاس
وجَاه العِقاب الصّيرَمي فوْق حايِل
واغْذَرْ بِنَقْل السّيْف واغْذَرْ بالالباس
وَرَاحتْ يِقمّز بِه زَبارَ الْمِسايِل
وجِرْيِس خلّي في (زواقيب) حَرّاس
ويَا وِيلْ مِضلَطْ عِقْب وَاف الخَصَايِل

وِليـا قَعَـدْ بـالْبِيْـت يِـزْهـي بـالالَبـاس
عِمْـره صِغِيْـر ومـاضـي لَـه فَعـايِـل

بعد هذا ارسل مفتاح الغييثي الى قبائل شمر يستحميهم، ويطلب منهم النجدة، فحضر عدد منهم، ووقفوا في وجه سعدون، وقفة الأبطال، وحصلت بينهم وبين سعدون معركة هائلة، على المنهل المسمى (بظفرة) وهو من مياه شمر، انتصر فيها شمر على العواجي وقبائله، وقال شاعر شمر رشيد بن طوعان هذه القصيدة يصف المعركة.

يـا مِـزْنـةٍ غَـرَّا نِشَـتْ لَـه رِفَـارِيْـف
هَلَّـتْ عَلَـى ظَفْـرة مِطَـرْهَـا انْهِشَـامِـي
زِبْيـديهـا رُوسْ الْمَهـارْ المِـزَاغِيْـف
وعشْبَـه قُـرونْ مِسَيَّحِيْـن الاودَامِـي
تَضْـرخْ بِهـا جِـذْبْ السُّيُـوف المَهـادِيْـف
وتفْتَـح بِهـا بِقْـع النُّسـوْرِ الاثـامِـي
دَزِّ بِمُـودَانْ البَـلَنْـزَا وتَنْجِيْـف
ورُوْحُـوا وَرَاكُـم يَـا فُـرُوخَ الجـلامِـي
ظَعَـايْـنٍ تسْـري وتجْـري مِـن السَّيْـف
ومِـنْ (واقْصَـة) مَـا شَيَّعـوا للمقَـامـي
زَمْـلِ الطَّـوَاليَّـاتَ جَنَّـكْ مِـزَاهِيْـف
عَلَـى جَنَـاح الْكُـوْد يِمْشـنْ هِمَـامِـي

يتْلُـــوْنْ عَـــدْوَانٍ زِيُـــوْن الْمِشَـــاعِيْــف
كَسَّـــايَـــة المِيْـــدَان رِيْـــش النَّعَـــامـــي
نَهَجْـــتْ اسَـــرّ جَمُـــوعِهِـــم بـــالتَّـــوَاقِيْـــف
الَّـــن وِجِيْـــه جُمـــوعَهـــم بـــانْخِـــدَامِـــي
ونظـــرَتْ رَبْعِـــيْ عَـــايِـــزِيْـــنْ التَّـــوَاصِيـــف
إلَـــى الْخِيْـــلْ بـــالـــزَّهَّـــام والْجَمْـــع زَامِـــي
ونِغْـــم مِـــنْ العضـــلاّن واولادْ ابـــاسَيـــف
وحيـــال عَلْيـــا كـــانْهـــا بـــالتَّحَـــامـــي
إنْ فَـــاتْ مَـــا بِقْفُـــوشْهُـــم والتَّطَـــارِيْـــف
ردُّوْا لِنِضْـــبِ مَفَكِكـــات اللجَـــامِـــي
انَـــا اشْهَـــدْ انْ قُلُـــوبِهُـــمْ صِمْـــع يَـــاخَلِيْـــف
وَرْدَوا حِيـــاضَ المَـــوت وِرْد الظَّـــوامِـــي
ودِيَـــارنَـــا حِنَّـــا لِنـــا بـــه تِصَـــارِيْـــف
(سَلْمـــى) (ورَمَّـــان) (واجَـــا) (والعِصَـــامِـــي)
عَيْنَـــاكْ يـــا رُمَّـــان زِيْـــن الْهَفَـــاهِيْـــف
يَـــامَـــاذِبِحْنَـــا دُونَهـــا مِـــنْ غـــلامِـــي
نِطَعَـــنْ ونُطْعَـــنْ عِنْـــدَ هَـــاكِ الْكـــراشِيْـــف
وتسَكَّـــرِ دُونَـــه عَمَـــارِ تِســـامِـــي
نِبِـــيْ نَقَلَّـــطْ مِيْـــرِهِـــن لِلضَّيَـــايِيْـــف
إنْ صِكَّـــتْ البِيْبـــان دُوْن الطَّمَـــامِـــي

ورغم ان شمرا انتصروا بهذه المعركة. فان سعدونا العواجي وأبناءه. لم يفقدوا شيئاً من اراضي شمر التي كسبوها.

لقد استفحل امر عقاب العواجي. وجندل عدداً كبيراً من فرسان شمر، لقد اتفق شمر على ان يصبوا فنجانا من البن، ويضعموه بينهم، ويقولون لفرسانهم: الذي يشربه في مجتمعهم هو المسئول عن قتل عقاب، في اول معركة نخوضها معه، انه لا يمكن ان يتجرأ على شربه، الا من كان قوي الجنان، وعنده الثقة بنفسه، فقام شاب من بين الصفوف يسمى (ابا الوقى) ولم يكن من عائلة لها ماض بالفروسية، فأخذ الفنجان وشربه، في مجلس شمر، وقال انا شارب فنجان عقاب، وسأقابله على ظهور الخيل، وعندما التحم شمر في معركة مع (ولد سليمان) جماعة عقاب العواجي، وعندما رأى (ابا الوُقَيّ) عقاباً بين الخيل، دفع جواده، وكان عقاب لا يظن ان احداً يتجرأ ويهجم عليه، خاصة مثل هذا الشاب الصغير، فلقيه عقاب ولما اقترب كل واحد من الآخر، أطلق كل منهما سهمه على الآخر، ولكن لم يصب احدهما، والتصقت جواداهما، وتماسكا بالأيدي على ظهور الخيل، ثم وقعا على الأرض، فهجمت فرسان قبائل عنزة، لتخليص عقاب، وهجمت فرسان شمر هي الأخرى لتخليص ابا الوقي، الشاب الذي ضرب اروع مثل بالبطولة، ونفذ ما التزم به، ودارت المعركة وحمى الوطيس، وثار غبار الخيل، وغطى كل شيء، حتى ان الفارس لا يبصر الآخر، وتخلص عقاب من الشاب ابا الوقي، وقام من الأرض والغبار يحجب كل واحد عن الآخر ووقعت يد عقاب على سيف بالأرض وأمسك بجواد واقف فوق رأسه. وكذلك ابا الوقى هو الآخر. اخذ سيفاً، ووجد جواداً من حوله،

فأخذه وعندما افترقا اذا بالسيف الذي مع عقاب، هو سيف ابا الوقى وكذلك الجواد كان جواده، وابا الوقى وجد ان السيف الذي معه والجواد هما سيف عقاب وجواده، وانفصلت المعركة بعد ذلك، وكانت النتيجة خيبة أمل للشيخ سعدون، لأنه رأى بالأمر غضاضة عليه، حيث ان جواد ابنه وسيفه يأخذهما شاب صغير من قبيلة شمر، ليس معروفًا ، ولم يكن له ماض، وليس كفواً لمقابلة عقاب في نظره، وقد قلق للأمر وسهر ليلته ولم ينم، فجاء اليه شيوخ قبيلة (ولد سليمان) وقالوا له لا تقلق يا ابا عقاب، على فقدان جواد وسيف، فكل خيلنا وسيوفنا نقدمها لعقاب، عوضاً عن جواده وسيفه، فقال انا لا يهمني جواد عقاب وسيفه، ولكن الذي يشغل بالي، ويحز في نفسي واخشى منه، هو ان شاعر شمر مبيريك التبيناوي، قد وقع على بيت من الشعر، عالق بذهني الآن، فقالوا له ما هو البيت يا سعدون الذي تخشى ان يجده شاعر شمر؟ فقال لهم هو هذا البيت :

السَّيْـفْ مِـنْ يِمْنَـي عِقَـابٍ خَـذِيْنَـاه

والْخِيْـلْ بِـدِّلْ كِـدْشِهـا بـالاصَـايِـل

وفعلا وقع ما كان يخشاه سعدون، حيث بعد انفصال المعركة، قال شاعر شمر مبيريك التبيناوي، قصيدة من ضمنها البيت الذي اشار اليه سعدون، وهو ثاني بيت من القصيدة الآتية :

أَبَـا الْـوِقَـي يَـالْبِيْـضْ خَضْبِـن يِمْنَـاهْ

وانـا شْهَـدْ إِنَّـه مِـنْ عِيَـال الْحَمَـايِـل

السَّيْـفْ مِـنْ يَمْنَـى عِقَـابٍ خَـذَيْنَـاهْ
والْخَيْـلْ بِـدَّل كِـذْشَهـا بـالاصَـايِـل
هــذي سِلُــوم بِيْنَنَــا يَــالقَــرابَــاه
يَـا زيْـنْ بيـع الْمِنْسِمـح يـابِـنْ وَايِـل
وعِقَــاب مَــا سِبَّـهْ ولا سِـبّ حِلْيَـاه
انْ جَـو عَلَـى قِـبّ الْمَهَـارْ الأَصَـايِـل
يِـرْكـضْ عَلَـى الصَّـابُـورْ مـا بِـهْ مِـرَاوَاه
شَـي تَعَـرْفـه كِـلْ سَمْـوَ الْقِبـايِـل
لا شَــكْ عِنْــدِيْ لَــه فِهُــودِ مَغَــذَّاهْ
عِيَــالْ شَمَّــرْفُــوْقْ قِــبّ سَــلايِــل

وفي بعض السنين نزل على سعدون وابنائه الشيخ مجول ابن شعلان، ومعه قسم من قبائل الرولة ايام "ربيع، وقد اتفق مجول بن شعلان، وسعدون العواجي، أن يغيرا على قبائل حرب الموجودين بأراضي « رخا» الماء المعروف، وفعلا غزوا حرباً واغاروا عليهم بالمكان المذكور، واخذوا منهم مواشي كثيرة، من بينها ابل مشهورة تسمى (بشملا) وكان زعيم قبائل حرب ابن فرهود، كان غائباً عندما أغاروا عليهم، وبعد ان رجعوا الى ديارهم غانمين، رحلوا جميعاً الى الشمال، بديار سورية، لأنها باردة في ايام الصيف، وعندما علم ابن فرهود شيخ قبائل حرب، برحيل سعدون العواجي وابنائه وعربانهم مع الشيخ مجول بن شعلان، ارسل لهم هذه القصيدة، يتهددهم، ويقول ارجعوا لدياركم محاولا ان يأخذ ثأره

منهم، ومبيناً ندمه انه لم يحضر عندما أخذت الابل المشهورة (شملا) وهذه قصيدته :

يـا مِجْـول الْغنيَـاتِ يِقْضَـا بِهـا دِيْـن
فِنْيَـةْ جَنَبْهـا يُـوْمْ جَـاهـا الـزّوالـي
لاَ واخَسَـارَةْ لَبْسِنَـا لِلتَّـوامِيْـن
يُـومْ انْ (شَمَـلاَ) ضَـرّبَـتْ لِلشّمَـالـي
يَـا عقَـابِ لا تْقَفِـي بِثـارَ الشّعَـاليـن
إِنْكِـسْ لـدَارِكْ يَـا كـرِيـمَ السَّبـالـي
نِجْـي علـى قُـبٌ سُـوَاةِ الشَّيـاهِيْـن
سُـوٍّ عَلَـى اللّـي يِنْـزِلُـون الجِبَـالـى
نبـيْ نِطَـارِ ذْ شـارِبيّـن الغَـلاويْـن
ونَـاخِـذْ عَـوضْ شَمْـلاَ بكـارِ جَـلالـي
إِمَّـا جـدَعْنَـا عقَـابْ لِيْـثِ الغَـلاَمِيْـن
والاّ جِـدَعْنَـا حجَـابْ رِيْـف الهَـزالـي

وعندما وصلت هذه القصيدة سعدون اجابه بهذه القصيدة :

اثَـاريْ كـذْبِـكْ يَـابـنْ فِـرْهُـوْد بـالحيْـل
تِقُـوْلْ مِـنْ خَـوْفـكْ نَحَـرْنـا الشّمَـالـي
لَـولاَ عِلْـومِـكْ مـا نِكَسْنَـا عـن الْكِيـل
مِـنَ الـدّيْـرة اللّـيْ شَفّهَـا شَـفّ بـالـي

يـا نـاشِـدٍ عَنَّـا تَـرانـا مِقـابيْـل
نـنْـزلْ لكُـمْ (رَخَـا) ونـاخِـذْ ليـالـي
نِبـيْ نِطَـارِدْكُـم عَلَـى شِـرَّدَ الْخيْـل
ونشُـوفْ مِنْهُـو لِلسَّبـايَـا يـوالـي
واللّـي يَطَـارِدْ خيلكـم صَفْـوة الخَيْـل
بِـايْمـانهُـم مثْـل الْمُحُـوْص الِمـدَالـي
وِعقـابْ فُـوْف مِشَمَّـرٍ تِكْسِـر الـذَّيْـل
شَـلاَيِعـه مِـنْ خَيْلكُـم كـلّ غَـالـي
إليَـا عَـدَا فيْكُـم عَـدا فِيْكُـم الـويْـل
ويـزْوي جِـدُوْدْ مصَقَّـلات السَّـلالـي
نَطَّـاحْ قـاسيْـن الـرّجَـالْ المَشَـاكيْـل
وبـالفِعْـل تِشْهَـدْ لـه جميـع الـرِّجـالـي
يـا وِيْلكُـم مِـنْ زَايـدات الغَـرَابيْـل
إنْ طَـار عَـنْ قِحْـص الْمَهَـارَ الجِـلالـي
إنْشِـدْ وتَلْقَـانَـا علـيِ قِـرّح الخَيْـل
بـايْمـانِنَـا رِيْـشَ الغَلَـبْ لَـه ظِـلاَلـي
عِـدُوْنـا نِسْقِيْـه وِيْـلٍ بِشَـر وِيْـل
وِصِـدْيقَنـا يشْـرَبْ قـراحٍ زِلالـي

ورجع سعدون بقبائله متحدياً ابن فرهود، ونزل منهل حرب «رخا» وأغار على قبائل حرب، واخذ اموالا وخيلا كثيرة، بعد ان توارى عنه ابن فرهود، وهرب طالباً لنفسه النجاة .. ثم قال سعدون هذه

القصيدة، مفاخراً ومشيداً بفعل ابنه عقاب، وقومه وقال ان حرباً نفرت منهم مثل ما تنفر الأغنام من الذئاب، وهاهي القصيدة :

إنْ كَـانْ ابـنْ فِـرْهُـوْدْ يَطْلِـب لِقَـانـا
جِيْنـا عُلَـى الـزَّرْفَـاتْ خِيْـل الصّحـابـةْ
جِيْنَـا وَرَبْعَـهْ قُـوْطَـرَه فـي نَحَـانَـا
مِثْـل القْطِيْـع اللِّـي نحَتْـه الـذِّيَـابَـه
(وَشْمـلاَ) تَـزايَـدْ نَيّهـا فـي حِمـانـا
ويَـا مَـا خَـذْينـا غِيْـرَهـا مِـنْ جـلابَـه
وجْبنَـا البِكَـار المَكْـرَمـاتِ السّمَـانـا
وطَـرشٍ كَثيـرٍ وَلاَ عـرفْنـا حِسَـابَـه
حِنَّـا ليَـا صِلْنَـا طِـوَالٍ خِطـانَـا
وهَـذي عَـوايِـدْنـا نَهَـارَ الحِـرابـه
نجِيْـكْ فُـوْقْ مكـاظمَـاتْ العِنـانـا
صِفْـرٍ عَلَيْهـنْ لاَبِسِيْـنَ العصَـابَـه
عَـادَاتنـا وإنْ كَـأن شِفْنـا اقْبَـلانـا
مِـنْ دَمّهُـمْ (رَخّـا) نِـرَوِّي تِـرابَـه
وعقَـابْ فُـوْقْ مشَمَّـر بِمْعِـدانَـا
الخَيْـل فـي يَـوم المَـلاقـي تَهـابِـه
مِنْكَـمُ يَـرَوِّي حَـربتَـه وَالسِّنَـانَـا
وفِـرْسَـانكُـمْ تَقَـتْ ذَغـرهـاعِقـابِـه

جَـاكُـمْ سِـرِيـعٍ بـالْعَجَـل مَـا تُـوانـا
ومِـنْ يُـوم حَـلْ بخِيْلِكُـم جَـا ذَهـابِـه
مِنْكُـمْ خَـذينـاً يَـالخـرِيْـي قِـرانَـا
كِـلْ أَبْلَـجٍ جِنَّـا قَصَـرنْـا شَبـابـه
نَـرْقِـدْ بـامـانَ الله وتَسْهَـر عَـدانَـا
ومِـنْ فِعْلَنَـا يِسْهَـرْ كِبَيْـرَ المَهَـابَـه
حَـرِيبنـا يَقْضـي ويلْقـى عَيَـانـا
مِثْـلِ الْخَشُـوْم الطَّـايِلَـة مِـنْ هِضَـابِـه

بعد ان رجع سعدون وقبائله الى موطنهم، كان عقاب بن سعدون لا يكفيه ان يهاجم عرباناً بعربانه، ولكنه كان دائماً يغزو غزوات بعيدة المدى، يغنم فيها اموالا من مواشي الأعداء البعيدين، وكان يغزو احيانا جهات القصيم، وأواسط نجد.

وفي غزوة من غزواته صادف ثلاثمائة فارس من فرسان حرب وكان معه ثمانون فارساً فوقع الطراد بينه وبينهم وحصل خسائر بين الجميع، ولم يغنم ابلا من حرب، رغم انه لم يغز الا من اجلها، واثناء رجوعه وعند وصوله الى احياء قبائله، اعترضته فتاة تسأله عن حليلها وكان من الفرسان المرافقين له :

يَا عُقَـابْ يَـا جِبْسَ الظَّعَـن بَـالْلقَـا الشَّيْـن
يـاللّـي حـرِيْبِـك بـالهَـزِيْمَـه يَمنَّـا

عَنَّيَـتْ ذِيْـبَ الخَيْـل يَـوم الاكَـاويْـن
نُـور العُيـون بِغْيبـة الشَّمْـس عَنَّـا
هُـو سـالِـم والأرَمُـوه المِعـاذيـنْ
يـا عقـابْ خبَّـرنـي تَـرايْ أتمنَّـا

فأجابَهَا بهذه القصيدة :

يَـا بِنْـتْ يللّـي عَـنْ حَليلـكْ تَسـاليْـن
حِنَّـا لنَـا حِـيّ يَسـاَلـونْ عَنَّـا
خَمْسَـةْ عَشْـرَ نيلَـةْ عَلَـى الْـوَجْـه مِقْفِيْـن
نِـدُورْ وُضْـحِ بـالابـاهِـرْ تِحَنَّـا
وسِفْنـاَ هَـل الْبـلْ شَـاربيْـن الْغَـلاَويْـن
مِـنْ دُونْ رخْـم لِلخـوَيّـر تِحِنَّـا
جُـونـا ثَـلاثميَـةَ وَحنَّـا ثمـانيـنْ
مِثْـلْ الْمحُـوْضْ الثّلْـفْ مِنْهُـم ومِنَّـا
وبَـانَـتْ رَديّتْهِـنْ وشِفْنَـا الـرِدِيّـن
وكـل عَـرفْنـا عِـزْوتـهِ يُـوْم كِنَّـا
لِيْتَـك تَـراعـي يَـا عَـذَاب المـزاييْـن
يـوْم أنْ عِيْـدان الْقَنَـا بِطْعِنَّـا
مِنَّـا حَليْلـك طَـاحْ بِيْـن الْمِشَـارِيْـن
فـي دِيْـرةٍ فيْهـا الْـوُضيْحـي تثنَّـى
ومِنْهُـم جِـدَعْنـا عِنْـد شُـوْقـك ثَـلاَثيْـن
وكَـمْ خَيِّـرٍ مِـنْ رَاسْ رِمْحـي يُـوِنَّـا

فـي سَـاعَـةٍ فِيهـا تشِيْـب الْغَـلامِيْـن
انطَـخ بِحُـوْر الْخِيْـل يُـوْم اقْبَلَنَّـا
يَـامَـا نَقِلْـتَ الـدَّيْـن والْحَقِتِـه الـدَّيْـن
وحَـرِيْبِنـا فـي نُـومِتـه مـا تَهَنَّـا
أَرْسـيْ لهُـم يـا بِنْـتْ وانْتـي تَعَـرْفِيْـن
لِيَـامَـا حَمَـامْ النَّصـر رَفْـرَف وَغَنَّـى
وارِدهـا والْحَـقْ رِبُـوع مِخِلِّيْـن
بُـوجْيِـه قُـوْمٍ يَطْلَقُـوْنَ الاعِنَّـا
عَـادَاتنـا نخْلـي سِـرُوْج المسَمِيْـن
ونـروي جِـدُوْد مِصَقَّـلات تِحنـى
وقـلايِعـي مِـن نَقـوةِ الخِيْـل عِشْـرِيـن
قِـبِّ ولا فِيْهـن ثِبَـارِ ودَنَّـا

بهذا انبأها عقاب ان حليلها قد قتل.

اما قبائل شمر فلم ينسوا ما خسروه من ديارهم، لقد أرسلوا رسلهم لقبائل شمر النائية يستنجدونهم على سعدون وابنائه، وفي هذا الأثناء غزا هايس القعيط، شيخ قبيلة آل بريك - شمر -، من الجزيرة بالعراق، ومعه سبعون فارساً غزا بلاد (ولد سليمان)، جماعة سعدون العواجي، وعندما كمن بالقرب من مغالي ابل (ولد سليمان) رآهم شخص من قبيلة آل سويد من شمر. كانت والدته من جماعة سعدون العواجي، وهم اخواله، فذهب لهم، وانذرهم هجوم شمر اهل الجزيرة الذين يترأسهم هايس القعيط، - لذلك سميت عائلة هذا الشخص (بالنذرة) ولا زالوا بهذا الاسم حتى الآن

بين شمر - ، وعندما علم (ولد سليمان) ان هايس القعيط ومن معه قد كمنوا لابلهم، هبوا وركبوا خيولهم، وراحوا للإبل بالمفلى من ليلتهم، وفي الصباح اغار عليهم جماعة هايس القعيط، يتقدمهم زعيمهم البطل الشجاع هايس، وحصلت المعركة بينهم، وهزم هايس القعيط وجماعته، والقوا القبض على سبعين شخصاً كانوا من جماعة القعيط يحملون الماء والشعير، للسبعين الجواد التي عليها الفرسان، وهؤلاء يسمون (زماميل الخيل): وراح عقاب يطارد فرسان شمر المنهزمين، واتبعه اخوه حجاب، وعندما ابصر هايس القعيط عقاباً وحده واخوه يتبعه بعيداً عنه، التفت الى جماعته، وقال اليوم هذا يوم الثأر، انظروا عقاباً وحده، والذي اتي به اليوم هو حظكم يا فرسان شمر، ويجب علينا ان نهب عليه جميعاً لعلنا نظفر به، واذا اراد الله وقتلناه ، فقد أخذنا ثأر شمر جميعها، وذكرهم بفارس شجاع قتله عقاب بالعام الماضي، وهو هذلول الشويهري، وكان عزيزاً على كل قبائل شمر، وفقدانه كان خسارة عليهم، فشخذ هممهم، واستثارهم، فصمموا ان يهبوا هبة رجل واحد، وفعلا جرى ذلك عندما اقتربوا من كثبان من الرمل تسمى (زبار اريك) ، وكان عقاب على مقربة منهم، فرجعوا شاهرين سلاحهم صفاً واحداً ورشقوا عقابا بسهامهم فقتلوا جواده، فخر على الأرض، ثم نزلوا عليه وقتلوه، واستمروا يطاردون اخاه حجاباً فظفروا به وقتلوه، حصل هذا وفرسان (ولد سليمان) لا يعلمون عماحصل على زعمائهم عقاب وحجاب، وكانوا منشغلين عند السبعين الشخص الذين اسروهم، وبقوا يتقاسمون غنيمتهم، وما علموا انهم خسروا بذلك عقاب الخيل وأخاه حجاباً، وبهذا انهدم عز الشيخ سعدون، وتداعت اركان

مجده، بفقدان اعز ابنائه :

اما قبائل شمر فقد شفوا غليلهم بمقتل عقاب وحجاب، وطاب نومهم، واخذ شعراؤهم يفخرون ويدبجون الشعر، أسجل هنا ثلاث قصائد من شعرهم، منها قصيدتان لمبيريك التبيناوي، وواحدة لابن طوعان، وهذان من شعراء شمر البارزين: وهذه احدى قصائد مبيريك التبيناوي.

إنْ كَـان (هيْفـا) تـزْعَـج العَـام الاصـوَاتْ
(نـوْتٍ) يـرُوعَ الْيُـوم جَضَّـة قِطْيْنِـه
عِقَـابٍ رمَنَّـه يَـوْم الأفْـرَاسْ عَجْـلاَت
وكَلَـنْ حَثَّـاتْ البَـرائِـنْ وَثْيتـه
فُـوَاتْ قَبْـلِ مِـدَوِّرِيْـن الجمَـالاتْ
يَـا لِيْـت عِقَّـالَ المَـلاَ حَـاضِـرِيْنِـه
وَحجَـاب يَـامَـا قَـالْ بِـأَلِيْـتْ : قِـمْ هَـاتْ
عِـزَّىْ لِكُـم بْـالابِـةِ فـاقـدِيْنِـه
مِـنْ زُوْبَـعِ والأ السَّنَـاعِيْـس الافَـات
فُـواتْ مَـا عَـوَّد عَلـى مِـرْتجيْنَـه
خَلَّـوْه زِيْنَيْـن (المِيَـاحَـةْ) (والارَّاتْ)[1]
وَيِنَـامْ سَعْـدُون عَلـى سَهَـرْ عيْنِـه

---

(١) الميَاحَة والإرَّاتْ : مما تدعى بها الغنم وتزجر، يعني انكم ارباب غنم وارباب الغنم لدى البادية اقل شأناً من ارباب الابل فهم يدعونهم الشوّان.

هــاذِي سِلُــوِمٍ بِيْنَنَــا يَــالْقَــرَابَــات
يــا حِلُــوْ رَدَّاتَ الجِــزَا قَبْــلِ حيْنِــه

وهذه قصيدة التبيناوي الثانية :

يَـا عْقَـابْ عِقْبَـان الْمِنْيْصِــب لُـوَنْ لَـك
واسْتَلْحَقَـنْ يَـا عقَـابَ راسِـكْ مَعـه رَاسْ
لا تِحْسَـب انَّ الخِيْـل قَـافٍ عَطَـنْ لَـك
ازْقَـابهـنْ عُـوجٍ لكُـم عِقْـب مِـزْوَاس
احـذَرْ مِـنْ اللّـي بِـالقِـدَحْ ضـدِّيـن لِـك
شِهْـبَ النَّـواصـي فُـوقهْـن كـلْ مِـذْبَـاس
هَـايِـسْ عَلـى صِـمّ الـرَّمَـك عَـابـي لِـك
عِيَّــالْ زُوْبــغْ مِــزوِيــة كــلْ عَبَّــاس
بْغَـرنْـي زِيـار اورِنـك يُـومْ اوجَهْـنْ لِـك
رَاحَــتْ تِـدَهْـدا جِثَّـِكْ مـا بِهـا راس

وهذه قصيدة الشاعر رشيد بن طوعان :

حِـرٍّ شَهَـرْبَـسَ الـزَّمَـامِيْـل[1] والخَيـل
بِــدُوْز صَيْــدَاتِــه بِغِــرَّاة الاجَنَــاب

(١) الزماميل : سواس الخيل.

بـاوّلْ شِبَـابِـه حَـذْبْ الْكِنْـسَ الحِيْـل
وخبَـطْ بِيِمْنـاه الْبَحـرْ عِقْـبِ مـا شَـابْ
رَاحَ النَّـدْيْـزوصَبَّـح النَّـزَلْ بِـاللّيْـل
وتكـافَحَـتْ فَـزْعـاتْهُـم قَبْـل الادّاب
وِتـوافَقَـوا بـالْعِـزقْ حَـدّ الْغـرامِيْـل
مِتكـاظِمِيْـن مثـل ابَـازِيْـد وِذْيَـاب
وَغَشَـا زِبَـارْ اوْرِيْـك مِثْـل الْهَمَـالِيْـل
وَتَشْبَـتْ رِماحِ الْقُـوْمْ بـاقْطَي الأصحَـاب
وتَـرايَعَـوا لِلْهُـوْش رَبْـع مِشَـاكِيْـل
حَمَّـايَـة التَّـالِيْـنْ والخَيْـل هِـرّاب
عِيَـال الشيُـوخْ مَعَـرّبِيْـنْ الاخَـاوِيْـل
رَدّوا عَلَـى رَبْـعِ تَـدَانَـوا بـالانْسَـابِ
وإنْ كَـانْ (نُـوتٍ) تِـزْعَـجْ الصّـوتْ بِـالْحَيْل
لِعْيُـون (هَيْفـا) نِـزْدَعْ الشّيْـخ بِخجَـاب
أَزْبَـعْ لَيَـالٍ مَـا لِقَتْـه المَـرَاسِيْـل
عِلّيْـت وَجْـهِ كُـوّح الْعَضْـر بِشْـرَاب
حَـرِيْمِنـا لَجّـنْ بِـزِيْـنَ الْهَـلاهِيْـل
مِتْحَـرِبّـاتٍ شَلْعَـة الْحِـرّ لِعْقَـاب
وَحـرِيْمهُـمْ تصْـرَخْ صِـرِيْـخَ المَحَـاحِيْـل
جَـاهِـنْ عِلِيْـمِ مَـعْ هَـلْ الخَيْـلِ مَـا طَـاب

يَـا ضبيْـب لـو ذبَحْـت كـلّ الـزِّمَّـامِيْـل
ذَبْحَـةْ دخِيْـل البيـتْ مَـا تـرْفَـع البَـاب
دِنْيَـاكْ هـاذَي يـالعُـوَاجِـي غَـرَايِبْـل
مِـنْ شَـقّ جِيْـبِ النَّـاسْ شقّـوا لَـه اجيْـاب

لقد اشار شعراء شمر الى (هيفا) والى (نوت) : اما هيفا فهي والدة هذلول الشويهري ، واما نوت فهي زوجة عقاب العواجي، اشار شاعر شمر الى ضبيب وذبحته (للزماميل) فضبيب المذكور هو ابن عم لعقاب العواجي، ويقال انه هو الذي تجرأ وقتل السبعين الشخص الذين اسروهم، من جماعة هايس القعيط .

وعندما رجع فرسان (ولد سليمان) مع ابلهم بالليل، اخذ الشيخ سعدون العواجي، يقابل كل كوكبة من الخيل يسأل عن عقاب وحجاب، فيقولون له عهدنا بعقاب والخيل هاربة عنه، وهو يطاردها، وبقى سعدون على هذه الحال يسأل عن ابنيه، وعندما قرب الصباح وعقاب واخوه لم يرجعا، وكان سعدون ساهراً طوال ليله والأسى يخامر نفسه، فقال هذه القصيدة :

البَـارِحَـة نُـومـي بِـرُوس الصَّمْـانِيْـن
طُـوَالْ لِيْلـي مـا تَهَنَّيْـتْ بِمْـراح
كَبْـد نعـالِجْهـا بِعُـوْجِ الغَـلاوِيْـن
ورَوابِـعٍ مَـا تُـوِدْعِ القَلْـبِ يَنْسَـاح
بَـلايْ وَالله يَـا مَـلاَ خَـابِـرٍ شِيْـن
تظْهَـرْ عَلِيْنَـا مَـرمِسَـاتٍ إلـى رَاح

اللّــي يِكُــفّ الخَيْــل كَــفّ الْبَعَــارِيْــن

وِيـزْخِـصْ بِـرُوحِـه يُـوم يغْلُـون الازواح

خَيَّــالِنــا يُــوْم اكْتِــرابْ المِيَــازِيْــن

وِيـزْعَـي بِظِلِّـه بـالْخَطَـرْ كِـلّ مِضْـلاَح

حَـالَـوا علِيْه اللّى عَلي الْمُوْتْ جَسْرِيـن

لاوابِعَيْنِـــي مـــا بِجَـــاجُـــوْنْ ذِبَّـــاح

وبعد ان تأخر رجوع عقاب وحجاب، رجع فرسان (ولد سليمان) يبحثون عن زعيميهما فوجدوهما قتيلين عند زبار (اريك) فدفنوهما على قمة كثيب من الرمل سمى (بأبرق الشيوخ) ولا زال بهذا الاسم حتى الآن. . ورجعوا حزانى فقتل (ضبيب) الأسرى بثأر عقاب وحجاب، وهذا لم يكن مستحسناً بعادات القبائل في الجزيرة العربية، وقد اشير عن مقتل السبعين الشخص بالقصائد سالفة الذكر.

اما الشيخ سعدون فقد كبر مصابه بعد مقتل ابنيه ، الذين اشادا مجده، وسجلا له مفاخر لا زالت باقية لعائلة العواجية، وملكا قبيلتهم دياراً لا زالوا عائشين بها، وقد قال الشيخ سعدون اشعارًا كثيرة بابنيه، وهاتان قصيدتان منها أولها:

يَــا وَنَّـــةٍ وَنَّيْتَهـــا تِسِـــعْ وَنَّـــاتْ

مَـعْ تِسْـعَ مَـعْ تِسْعِيْـنَ مَـعْ عَشْـر الُـوفِـي

مَـعْ كِثْـرِهِـنْ بـاقْصـى الحَشَـا مِسْتِكِنَّـات

عِــدَادْ خَلْــقَ اللهِ كِثِيْــر الــوُصُــوفِــي

وَنّـةْ طِـريـح طَـاخ والخَيـل عَجْـلات
كَسْـرِه حَـدَا السَّـاقِيْـن غـادٍ سْعُـوفِـي
عَلـى سِيُـوفٍ بـالْمَـلاقـي مهمَّـات
سِيْفيْـن أَغْلـى مَـا غَـدا مِـنْ سِيُـوفـي
وَعَلـى مِحُـوص بِـالِمـوارِدْ قِـوِيَّـات
أَسْقـىَ بِهـنْ لَـو القِبَـايِـل صفُـوفـي
أَخْشَـمْ بِحِشْمَتْهِـنْ ولـو هِـنْ بِعِيْـدَات
وانَـامْ لَـو انَّ الضَّـواري تِحُـوفـي
خَلَّيْتِنـي يـا عْقَـاب مَـا بِـه مـراوات
عِيَـالـك صغـارٍ والـدَّهَـرْ بـهِ جْنُـوفـي
مِـن عِقبِكُـم مـا نبْكـي الحَيّ لَـو مـات
وَلانـي عَلَـى الـدّنْيـا كثِيّـر الْحِسـوْفـي
ويـا طُـولْ مَـا جَـرَّيْـتْ بِـالصَّـدْرِ ونَّـات
عَلَـى فِـراق مَعَطَّـرِيْـن السَّيُـوفـي
وياعْقَـابْ عِقْبك شِفْت بـالْوَقت مِيْلات
واوْجَنْـت انـا مِـنْ ضِيْـمٍ بَقْعَـا حِفُـوفي
مَـرْحُـومْ يـا نَطَّـاخ وَجْـه الْمِغِيْـرات
إنْ جَـنْ كـراديْـس السَّبـايـا صفُـوفـي
مَـرْحُـومْ يـا مِشْبِـع سِبَـاعٍ مجيْعَـات
وَعَـزَّ الله انَّـه عقبِكُـم زَاد خُـوفـي

الخَيْــل تــذري بــك نَهَــار المِثَــارَات
يــاللِّي عَلـى كِـلّ المَـلا فيـك نُـوْفـي
والخَيْـل تِقْفـي مِـنْ فِعـولِـك مِعِيْقَـات
تَـاطَـا شَخَـانِيْـب الـرَّضَـمْ مَـا تِشُـوفـي

لا شك ان الشيخ سعدون فقد ساعدين من سواعده، بنيا له ارفع قمة من المجد، بفيافي نجد، بين قبائلها، وقد اشتهر ابناه عقاب وحجاب بين القبائل، وكانا محل اعجابهم بالجزيرة، ويضرب بهما المثل حتى الآن: فإن الناس اذا اعجبوا بشخص او بعدد من الأشخاص يقولون كأن فلاناً عواجي، أو كأن هؤلاء من العواجية، نسبة الى عقاب وحجاب، ولا زال هذا المثل سارياً في نجد الى الآن.

ولا بد للقاريء ان يلاحظ ان الشيخ سعدون اشار الى ابنيه، وقال سيفين اغلى ما غدا من سيوفي، فهو يرى انهما سيفان من اعز ما يملك، ثم قال انه يطمئن وينام لو ان الوحوش الكاسرة تحوم من حوله، فهو مطمئن بأن ابنيه هما درعه الأمين وانه مكرم ومعزز بحمايتهما .

وهذه القصيدة الثانية :

يـا علـى ويْـنْ اللِّـي رَعَيْنَـا بِهُـم هِيْـت
حَـالْ اللَّحَـدْ مِـنْ دُونَهُـم والظَّـلامِـيْ
البَـارِحَـةْ يـا شَمْعَـةِ الـرَّبْـع وَنَّيْـت
وَنَـةْ صِـوِيْـب وَمكْسِـرِهْ بـالعِظَـامِـي

أَوْمَــا الشَّجــر وأَنــا بَعَــدْ مِثلــه اوْمِيْــت
أَومَــــاي صَقَّـــارٍ لِطَيْــــرِه وَحَـــــامــــي
طَيْــرٍ لِيَـاجَـا الصَّيْـدْ يِشْبِـغْ هَـل البِيْـت
جِنـــه هَبُـــوبٍ مَـــعْ جـــرادٍ تِهَـــامــــي
عَـــزٍّ الله انّـــي تَـــو، يـــا عَلَـــى ذَلَّيْــت
تَبِيَّنَـــتْ وانـــا عَلَـــى النَّـــاس كَـــامــــي
وَعــزٍّ الله انِّـــي مَـــعْ شفَـــا البِيْــر هَقِّيْــت
هَقَّــــةْ قِفـــيٍّ مِـــنْ عجُـــوز المِقَـــامــــي
والْيُــوم مِــنْ بَــاقــي حَيَــاتــي تبَـرَّيْــت
عِقْـــب الشُّيـــوخَ مَعَـــدّليـــن الجَهـــامِـــي
ويَـا عَلـي عِفْـت الحَيّ مِـنْ كِثْـر مـارِيْـت
وَجَــرَّيْـــت لِلْـــوَنَّـــات والْقَلْـــب دامــــي
وَعَـــذَّبْـــت قَلْبــي فـــي كثيـــرِ التَّنَــاهِيْـت
والْعَيْـــن عَيَّـــت مِـــنْ بـــلاهـــا تَنَـــامــــي
رَاح الْعِقَـاب الصَّيْـرِمِـي شَـابِـع الصِّيْـت
يــا عَلــي مِــنْ عِقْبَــة تَــراعَــد عِظَــامــي

وهذه القصيدة شكي بها الى صديق له يسمى عليا، يسأل عليه ويقول اين الذين كنا نرتع بهم بالفيافي، الآن اصبحوا من اصحاب اللحود، واصبحت الظلمة تحول بينه وبينهما، انه يسهر الليالي، ويئن مثل كسير العظام، انه يرتجف ويومىء كما تومىء الشجرة، انه الآن يحس بالخيفة، ويذل من كل شيء، وقد ظهر ذلك للناس، ولم يستطع أن يُخفي خوفه، لقد أخذ يتبرأ

من حياته، بعد أبنائه، انه اباح بما يخفيه، بعدما تزلزلت الجبال التي كان يلتجيء في حماها، انه بعد ان فقد عقاباً بدأت ترتعد عظامه، وفرائصه، انه فقد بطلين لا يمكن ان يقاضي بهما.

لم يبق لسعدون بعدهما من يعتقد فيه خيراً، الا حفيديه الصغيرين ابني عقاب وحجاب الحبيبين لقد اخذ يربيهما، ويعلمهما فنون القتال، آملا ان يأخذا ثأر أبويهما، من هايس القعيط.

وعندما كملت رجولتها، طلب ان يقول كل واحد منهما قصيدة، يبين فيها انه سيأخذ ثأر والده، وعمه، واذا اجاد احدهما القول فسوف يعطيه «المهرة» بنت فرس عقاب المسماة «فلحا» وهذه آصل فرس عند قبائل (ولد سليمان) فقال ابن حجاب قصيدة لم تعجب جده، ثم قال ابن عقاب قصيدة اعجب بها وهذه هي القصيدة:

يـا ليـت مِـنْ هُـوْ جَـدْ قَلْـتـا ثِنِيَّـة
والأَ رِبَـاغ مسُـودسَـه بـالْمسَـاميـر
أَبـى إلـى مَـا قِبْـل زِنْعَـت رِعِيَّـة
وتَـوَايقَـنْ مَـعَ الْجِنـي الغَنَـادِيْـر
انْطَـخ عَلَيْهـا سِـرِبـةٍ زُوبعيـة
يِجْهـر لِمِنْـع سيُـوفهـا والْمِشـاهيـر
مِتْقَلِّـدٍ سيْـفٍ سُـوَاةِ الحَنِيَّـه
أَدُوزْ أَبُـويـه عِنْـد رُوْس الخَـواويـر
إنْ كَـانْ مـا ليّنْـت بِـالحَبْـلِ لِيَّـة
مَـانـي عِشيْـر اللـي نِهُـودِهِ مَـزَابيـر

لابـد مِـنْ يُـوم بِـزَزفـل كِمّبـه
وكـلٍ يِحَسَّـبْ مَـرْبِحـه والمخَـاسيـر
ثَـارٍ لبُـوي عْقَـابْ فَـرضٍ عَلَيّـه
عليْـه وَصّـانـي زِبُـون المَقـاصِيْـر
سِفْـدُوْن جـدّي هُـو خَلَـفْ وَالـدِيّـه
شِيْـخ الْجَهـامَـه والسَّلَـف والمِظَـاهيـر
دِيْـنٍ عَلـى هَـايِـسٍ زُبُـونَ الـونيّـة
بِجِيْـه الْمَغْبُـود والـي الْمِقـاديْـر
انْ مَـا نِطخـت الخَيْـل عِيْـبٍ عليّـه
انْ وَرّدْوْهِـنْ مِثْـلَ اثـامـي الخَنَـازيـرْ
عِيْـبٍ عَلَّـي العِـزْوَة الْـوَايليّـة
واخْـرَم مِـن الفِنْجَـال وسْـط الـدّوَاويـر

وعندما سمع شاعر شمر بقصيدة ولد عقاب اجابه بهذه الأبيات:

وشْ عَـاد لَـو جَـذَّيْـت فلْحَـا ثنيّـة
شَمّـرْ يجُـونَـك فُـوقْ قِـبٍ عَيـاطِيْـر
ابُـوكْ ضَـرَب بَخْـربـةٍ شُـوشليّـة
كَـزّه حَبيْـي كَـزّة الـدَّلْـو بـالْبيْـر
صَـابَـه غـلامٍ مَـا يَعْـرف اللّـويّـة
مـا صَـدّهـا يُـوْم السَّبـايَـا مَنَـاحِيْـر
لَـه عَـادةٍ بِـالفعْـل فـي كـلْ هَيّـة
عَشّـى ثَنَـادي ابـوك عُـوْج المَنَـاقِيْـر

وِغَيّــال زُوْبَــعْ مِلْحِقِيــن الــرَّدِيّــة
اللّــي تَهَــزَّع بــالحُــروب الطَّــوابيْــر

لقد فاز بالجائزة ابن عقاب فأعطاه جده الجواد بنت (فلحا) واخذ سعدون ينظر الى ابن عقاب باعجاب، ويداعبه الأمل انه سيشفى غليله، ويأخذ الثأر من الشيخ هايس القعيط.

ومن الفرص الغريبة التي قدر فيها لابن عقاب ان يأخذ بثأر ابيه وعمه، ويقضى على هايس القعيط، أنه حصل بين غنيم (الربضا) بن بكر شيخ السويلمات من العمارات، حصل بينه وبين هايس القعيط تصادم، في وديان عنزة، وطال الحرب بينهما، وأرسل غنيم بن بكر الربضا لقبائل عنزة، يطلب منهم النجدة والعون، وكذلك هايس القعيط ارسل لقبائل شمر يستنجدهم، فأخذت الامدادات من كل القبيلتين تترى على موقع المعركة، وقد سنحت الفرصة لسعدون العواجي، فعندما علم بذلك، أمر حفيده، وامله الوحيد، ابن عقاب، بالشخوص فوراً الى المكان الذي تدور فيه رحى الحرب بين غنيم، وبين هايس.. وأوصاه بأن لا ينسى ثأره من قاتل ابيه وعمه.

لقد سارع ابن عقاب الى امنيته التي كان يترقبها، فاشترك بخوض المعركة، وكل ما يهمه هو ان يرى غريمه وقاتل ابيه وعمه، وبعد ان رآه بأم عينه، وتأكد من شخصيته، وليست بخافية، لأن شخصية هايس القعيط معروفة، مقداماً جريئاً لا يرهب الموت، ودائماً هو في مقدمة الفرسان، رغم تقدمه بالسن، وعندما هجم هايس على فرسان عنزة، يتقدم فرسان

شمر، انقض عليه ابن عقاب مثل النمر الكاسر، وأغمد ذبابة سيفه بخاصرته، وانتحى به عن مكان المعركة، الى ان ابتعد عن الفرسان، ثم امسك رقبته وترجل به على الأرض، والتفت اليه هايس القعيط، فقال له ابن عقاب هل تعرفني، فقال انت ابن عقاب العواجي، ولا شك انك تشبهه، ولكن لم اقتله انا، فالذي قتله غيري، فقال له ولد عقاب : انا لا اسألك عن ذلك، ولكنني اسألك بالله ان تبلغ سلامي والدي اذا وصلته في الدار الآخرة، وتخبره بأنني أخذت بثأره ، وتشرح له كل ما رأيته بعينك، ثم علا رأسه بالسيف، وفصله عن جثته، وبعد ذلك طارت البشائر الى الشيخ سعدون العواجي، بأن حفيده قد قتل هايس القعيط، وقد اجتمع رجال الحي يهنئونه، وقد عقر الابل، وعمل الأعياد عند قبائل (ولد سليمان) وكان يوماً مشهوراً عندهم، واخذ النساء يزغردن، بعد ان لبسن زيناتهن، وطاب نوم الشيخ سعدون، وبات قرير العين واخذ ينشد:

يَـا سَـابقـيْ رَدّ البَـرَا ، مـاتْ رَاعِيْـه
الْجِيْـش حِـزّب وَالـرّمَـك مُـوْفـلاتـي
يَـا نَـاس زُوْل اعقـاب مَـانـي بِنَـاسِيْـه
عِقْبَـه فَـلا تشْـوي رِيـال حَيَـاتـي
لَـو مِـنْ غَـذَا جِـرو لِقَـا مَـاهَقَـا فِيْـه
كَـانْ العَـرَب كلـه تسـوي سِـواتـي
الْـوزغ وزع عقَـاب لَا خَـاب راجِيْـه
حَـوّلْ بِهـايِـس مَـا تَنَـاسَـي وِصَـاتـي

كَــزِّه لبُــوه ونــذكــر انّــه مِــوَضّيْــه
بِعِــدّ مَــا شَــافَــتْ عيُــونــهِ ثِبَــاتــي
الْخَيْــل تثقَــل لَيْــن تسْمَــع عَــزاوِيْــه
ومِــنْ يُــوْم سَمعَنّــه وهِــنْ مِقْفِيــاتــي
لَعَــلْ وِزْعِ مَــا مشــي دَرْب اهَــالِيْــه
تشْلِــقْ عَليــه جِيُــويَهَــا الْمِحْصَنَــاتــي

وبهذه الفترة عين الأمير عبد الله بن علي بن رشيد اميراً لحائل من قبل الأمام فيصل بن سعود ،بعد ان عزل اميرها الأول ابن علي، وظل عبد الله ابن علي بن رشيد اميراً على حائل، والمناطق الشمالية من المملكة، وعندما علم بذلك مشائخ قبائل الشمال توافدوا اليه، وكل منهم يقدم الهدايا للأمير الجديد، ومن بين الذين قدموا اليه غنيم بن بكر الربضا، وكان مهدياً الى ابن رشيد ثلاثاً من الخيل، وقد قبلها عبد الله بن رشيد، وعندما كان غنيم الربضا جالساً عند أمير حائل، كان مع الجالسين شاعر شمر بن طوعان، وكان مكفوف البصر، وطاعناً بالسن فقال له الأمير عبد الله بن رشيد: هذا غنيم الربضا يابن طوعان قم وسلم عليه، وعلى الفور اجابه ابن طوعان بهذين البيتين من الشعر، موجهها لغنيم الربضا يحرض فيها عبد الله بن رشيد عليه:

يَــا غْنِيْــم عِنْــدَك هَــايِــس نِطْلِبــك دَيْــن
خَيَّــال تَــالــي شَمَّــر بــالسَّنُــودي
إنْ كَــان مــا جَــازَاكَ عَنْهــا صِبَــاحِيْــن
مــا هُــو وَلَــدْ عَلْــيِ عَــريْــب الجِــدُودي

وبعد ان سمع امير حائل هذين البيتين من ابن طوعان، التفت الى غنيم الربضا، وأمره ان يرجع الى اهله، وقال له : اننا امرنا بارجاع خيلك التي اهديتها لنا اليك، وانت في امان الى ان تصل اهلك، وبعد ذلك اعتبر نفسك من الأعداء، ولا بد لنا أن نأخذ ثأر هايس القعيط منك، لأنك انت زعيم المعركة، التي قتل فيها هايس القعيط، ولذلك فانت المطلوب بدمه، وقيل ان ابن رشيد غزاه بعد ذلك، وانه قتله في وديان عنزة.

واسجل هنا نبذة للتاريخ عن قبيلة آل بريك، التي يرأسها هايس القعيط، ولم يزل احفاده رؤساء لهذه القبيلة، ولا زالت هذه القبيلة مع شمر: والواقع ان هذه القبيلة هي قسم من قبيلة آل بريك التي هي من قبيلة الدواسر، ولكن حصل بينهم حادثة أدت الى قتال ودماء، وعلى إثر ذلك رحل جماعة هايس القعيط عن ابناء عمهم، والتجأوا عند الجربان شيوخ قبيلة شمر، عندما كانوا يقطنون شمالي المملكة، وقد أعزهم الجربان، واكرموهم وبقوا طويلا معهم، وأخيراً حالفوا الجربان، وقد قربوهم دون سواهم، ولم يزالو ساعد الجربان الأيمن بالملمات، وحتى الآن وهم عند الجربان من المقربين، بل ويعتزون بوجودهم عندهم، وكانوا مشهورين بالاقدام، ولهم شهرة عظيمة، ومعروف عند أهل نجد الآن انهم فخذ من فخوذ قبيلة الدواسر، ولم ينزحوا الا بأسباب الدم الذي حصل بينهم وبين اخوانهم آل بريك، وكان لجوؤهم الى شمر قبل ثلاثمائة سنة تقريباً.

سَاجِر الرّفـدي

ساجر الرفدي - نسبه - خمول أسرته - اخوه عسكر يشد عضده - فرسيتهما - النزاع بينهما وبين اخوالهما وقتل عسكر - حرب ساجر مع أخواله البجايده - بروز ساجر - شعره - الأمير عبد الله الرشيد لا يطمئن الى ساجر ويستعدى عليه الامام عبد الله الفيصل بن سعود - عبد الله الفيصل يهاجم ساجرا وبرجس بن مجلاد - نزوح ساجر بعدها مع قبيلة العمارات إلى وديان عنزة - غاراته على نجد - فروسيته جعلت منه زعيماً متبوعاً - شاعره سليمان اليمني - الخلاف بين آل شعلان وبروز شخصية ساجر فيه- اغارته على ابل ابن رشيد وقتله لابن زويمل وأخذ الابل - الخلاف بين ساجر والسمن وابن قعيشيش وابن غبين من مشائخ عنزة - ساجر وقصة الشويهات - الخ . .



ساجر الرفـــدي

ساجر من قبيلة (السَّلْقا) بطن من قبيلة العمارات من عنزة، وكان والده من بين افراد هذه القبيلة الخاملي الذكر، الا انه تزوج فتاة من اسرة عريقة، هي بنت ابي الخسائر، من قبيلة البجايدة من السلقا، وقد رزق منها بولدين، أحدهما ساجر، والآخر عسكر، وعندما اكتملت رجولة الأخوين، برزا بين قبيلة السلقا، واخذت الأنظار تتجه نحوهما، على عكس ما كان عليه والدهما من الخمول، وقد اشتهرا وهما في مقتبل العمر، لم يتجاوز عمرهما العشرين سنة، وقد اثبتا وجودهما بين قبيلتهما، وكانا مضرب الأمثال بين القبائل، وقد أشادا بيتاً كبيراً لأنفسهما، وأصبح كل واحد منهما فارساً مغواراً ، وكانت نشأتهما في منتصف القرن الثالث عشر الهجري تقريباً ، وقد حصل بينهما وبين اخوالهما البجايدة، عقد اجتماع في بيتهما، فدارت مناقشة بينهما وبين اخوالهما، أدت الى نزاع مسلح، قتل فيه عسكر، شقيق ساجر، فانصرف البجايدة الى مواقعهم، أما ساجر فقد دفن أخاه، ورحل عن مواطنهم، الى اراضي القصيم، اما البجايده فبقوا في ارضهم التي هي قريبة من (الشملي) في أعالي بلاد طيء، وكان القصد من رحيله هو ان يتنحي عنهم، ثم يكر عليهم، ليأخذ بثأر أخيه، وبعد مدة اغار على اخواله البجايدة، وهاجمهم ليلا، ولكنه لم يقتل الا عبدا لشخص يسمى سودان، من رؤساء البجايدة (وسودان المذكور هو المتهم بقتل أخيه

عسكر)، ثم أغار عليهم مرة ثانية، وقتل سودان نفسه قاتل أخيه، وبعد هذه الجرأة برز ساجر الرفدي، والتفت حوله جماعة من اقاربه الشملان، واخذ يغزو بهم القبائل المعادية ، وبدأ سعده يطلع، واتجهت اليه الأنظار اكثر، واخذوا ينظرون اليه كقائد موفق، وأخذت سمعته تزداد بين القبائل باواسط نجد، وانتشر صيته، الى ان اشتهر، وعرف بالقائد ساجر الرفدي، وتزعم قبيلة الشملان، وكان محبوباً عند كل من عرفه، وبدأ يقول الشعر، وينظمه بقومه، ويحرضهم، ويشحذ من هممهم حتى اصبح شاعراً مجيداً، وله اشعار كثيرة لم استطع جمعها، ولكنني سأورد ما ظفرت به من شعره، الذي يحكي واقع حياته، ويبين الحوادث التي حصلت له، في سيرته، وكان من المعاصرين لساجر الرفدي الشيخ برجس بن مجلاد، شيخ الدهامشة من عنزة، وكان الاثنان يشكلان خطراً على امير حائل عبد الله بن رشيد، ولم يكن ابن رشيد مرتاحاً لموقف الاثنين، ولذلك بعث أخاه عبيد إلى الامام عبد الله الفيصل بالرياض، فسأله الامام عن ما وراءه من اخبار البلاد الشمالية من نجد، فانتهز ابن رشيد الفرصة ليشي بساجر الرفدي ، وبرجس بن مجلاد، وقال الأبيات التالية:

يَـا شِيْـخ أَنَـا جِيْتِـك مِسَيَّـز وَبَـلاَّس
وبَـاغ أَشُـوْفـك يَـا مِضَنَّـةْ فُـوادي
واخَبِّـرك بِـاخـوالْ نَـاس مِـنْ النَّـاس
نَـاس عَلَـى حِكْمَـك تِـدُوْر الْفسـادِي
يَـا شِيْخنَـا مَـا حَـرَّكُـوا طبْلـة الـرَّاس
وعِنْـدَك خَبَـر يِقْـزا البعيـرِ الْقِـرَادي

أَنــا ورَبْعــي بِيْــن الاثْنــا والاخْمَــاس
ألفِيْــن مِــنْ غيْــرِ الفِــلا والعِيَــادي

هذا ما ظفرت به من هذه القصيدة الطويلة: فسأله الامام عبد الله عمن يعني بهذه الأبيات، فقال له هما ساجر الرفدي، وبرجس بن مجلاد، اللذان يقومان بغزوات متتالية بنجد، ويفسدان القبائل، ويخلان بالأمن، واخذ يحرض الامام عبد الله عليهما، وفعلا تأثر الامام عبد الله بكلام ابن رشيد، فأمر بتجريد حملة لتأديبهما، فداهمتهما وهما بأراضي القصيم، وغبها نزحت قبيلة العمارات مضطرة الى وديان عنزة المعروفة في شمال المملكة، وهناك استقروا ، وأخذ ساجر الرفدي يشن غاراته على اواسط نجد، والتفت القبائل من حوله، وقد قال هذه القصيدة بمناسبة ما حصل عليه من الامام عبد الله :

اللهْ مِــنْ عِيْــنٍ تَــزايَــدْ حَــزَنْهــا
والقَلْــب مِــنْ ضَكَّــاتْ الايَّــام مَسْمُــوزْ
مِــنْ شُــوْفِتــي دَارٍ تَغَيَّــرْ وِطَنْهَــا
مِـنْ عِقْـبْ مَـانـي دَالـه القَلْـب مَسْـرُوزْ
دَنَّــوْلــي الحَمْــرا وَمُــدُّوا رِسَنْهــا
وَهَــاتُـوا ذلُـولـي وانسِفُـوا فُـوْقَهـا الْكُـوْر
يَــامَــا حَلــى المِسْــلاَف بَــاوَّل ظَعَنْهــا
مِستَجِنْبِيْــن الخِيْــل يبْــرا لِهِــنْ خُــوْر
يُــوم انَّهــا نَجْــدِ وانَــا مِــنْ سِكَنْهــا
واليــوْم مَــا يِسْكِــنْ بِهَــا كــلْ مَمــرُور

شَـامَـتْ لِعَبْـدِ الله وانـا شِمْـت عَنْهـا

اللِّـي يِصَبِّـح بـه عَلـى شَقَّـة النُّـوْر

وَانَـا احْمِـدَ اللهَ سَـالِـم مِـنْ شِطَنْهـا

وْمكَيِّـفٍ مَـا بِيْـنْ هَـرْعَـرْ وَابَـا الْقُـوْر

وبعد هذا اخذ يضاعف غاراته على نجد، وعرف بالشيخ ساجر، ولم يبق رئيساً لقبيلة الشملان فقط، بل ترأس عموم قبيلة السلقا، التي يعتبر الشملان بطناً من بطونها، واصبح يشكل خطراً على جميع القبائل المعادية، وكان في غزواته يتبعه اعداد هائلة من الخيل، والهجن، وكان ميمون النقيبة، وموفقاً بغزواته، وشجاعاً لايهاب الموت، ومع هذا كريم الى ابعد الحدود، ودمث الأخلاق، ومتسامح عن خطايا من حوله من رفاقه، وكان يفضل قومه على نفسه ، وينصفهم بحقوقهم، ويعف عندما يغنم، وليس للجشع في نفسه مدخل . . وهذه السجايا هي من مقومات زعامته، الأمر الذي حدا بأكثر قبائل عنزة ، وبعض قبائل شمر، الى الانضمام اليه في الغزوات، وكان قد أعد صانعاً يسمى خليفاً ، واسكنه في رأس هضبة تسمى (اللبيّد) وليس لهذا الصانع مهمة سوى صنع حذاء الخيل، وتركيبها عندما يغزو ساجر، ويرجع اليه، وبهذه المناسبة قال قصيدته المشهورة وهي كما يلي:

يَـا خْلِيْـف قَطِّـعْ لِلسَّبَـايَـا مسَـامِيْـر

عَـنِ الْحَفَـا، يـا شُـوْق مُـوْضـي جِبِيْنِـهْ

يَـامَـا حَـلَا ، يَـا خِلِيْـف تَشْبِيـدَة الْكِيْـر

بِـراس اللْبَيِّـدْ بِيْـن خَضْـرَا ولَيْنِـه

وَيَـاَمـا حَـلا، يَـا خْلَيْـف خَـزَّ الْمَعَـاشِيْـر
خِلْـــجٍ تَـــوال اللَّيْـــلْ تِسْمَـــعَ حِنيْنِـــه
كَـمْ عِـزْبَـةٍ زِخْنَـاه مَـعْ نُـوْضَـةْ الطَّيْـرْ
وَكَـمْ شِيْـخ قُـوْمٍ عِنْـدِهِـنْ جَـادعِيْنِـه[1]
مِـنْ حَـدْ حَـايِـلْ لِيْـنْ سِنْجَـار والـدّيْـر
كَـمْ خَيِّــرٍ بِـــازمَـــاحِنَــا عَـــاثْـــرِينِـــه
ومِـنْ نَجْـد جِبْنَـا الصُّفْـر هِـيَ وَالْمَغَـاتِيْـر
وَالـــذِّيْـــب مِـــنْ عِـــذْوَانِنـــا مِشْبِعِيْنِـــه
وحِنَّـا عَلَـى شِهْـبِ النَّـواصـي مَنَـاجِيْـر
إنْ طَـــازْ عِـــنْ جِـــزْدِ السَّبَـــايَـــا بِقَيْنِـــه
مَـــرٍّ مِســـــانيــــدٍ ومَـــرٍّ مَحَـــادِيْــــر
وَكَـــمْ جَـــوّ قُـــوْمٍ نَـــأثْـــرِيْـــنِ قِطِيْنِـــه
وكـــم عـــايـــل جِنَّـــه ســـواة الشنـــانيـــر
واصبـــح فقيـــر خـــاليـــات يـــدينـــه
مِـــنْ فُـــوْقِهِـــنْ فَعَّـــالِـــةِ الشَّـــرْ والخِيْـــرْ
أَهْـــل العُلُـــومِ البِّيْنَـــةِ وَالسَّمِيْنَـــه

وبهذه القصيدة لمح عن الأراضي التي يغزوها، ويصل اليها، وقال انه وجماعته يذهبون على الهجن إلى اعالي نجد، ثم ينحدرون ويصلون الى سنجار بالعراق، والى الدير بسورية ، وقال انه وجماعته يفعلون الشر والخير، اي انهم حرب على عاداهم، وسلم لمن صادقهم.

---

(١) نوضة الطير، طيرانه الصباح المبكر. وجادعينه، طارحينه.

لا شك ان ساجر الرفدي قوي العزيمة، شديد الشكيمة، طموح الى ابعد حد، وقد اوجد نفسه من لا شيء، وفي بعض غزواته قيلت هذه القصيدة، ويقال انها للشاعر اليمني شاعر ساجر الرفدي:

غَنَّامْ هَـامْ وَيـمْ طَلِعـهْ جِـدَبْنَـا
طِيْـرِ الحَبَـارْي لابْـرَق الـرِّيْـش عَفَّـار
وشِفْنَـا واغْـرَنَـا فُـوقهـنْ وانْتـدَبْنـا
وشَـالَـنْ ابـن لامِـي عَلَـى الـوَجْـهِ حِـدَّار
وِهمنَـا الـدّويْـش بِـدَيْـرتِـه وانْقَلَبْنَـا
جيَّـانْهُـم مَـا تـرْوي الخَيْـل واغسَـار
صِبْـحِ أرْبـعِ مِـنْ جَـوْ خَضْـرا شـرِبْنـا
وِتشـاوَرَوا للَّـرايْ صَلْبيـنَ الاشْـوَار
والصّبْـحِ مِـنْ فُـوْق الـرّكـايِـبْ ركَبْنـا
وَمَـرَّنْ رِجْـمِ لِلْهَيَـازع وسِنَّـار
وَابـنْ عَلـي قَلَّـطْ لِنَـا الْبيـت يبـي
وجِينـا كِشـافِ عِقْبَ الاضحَى والافْكَار
ومِـن فُـوْقِ زِيْنَـات السَّبَـايَـا هَـدَبْنَـا
بِيُـومِ عبـوسٍ فِيـهْ عَـجّ الـدّخَـنْ ثَـار
ولَبْـن عَلـى وابْـن طـوالَـه ضَـرَبْنَـا
وَاقْفَـنْ بِـرِيّـاد[1] العَشَـاشِيْـق عبَّـار

---

(١) واقفن برياد : بقصاد.

حِنَّـا لْيَـا منَّـا عَـدِيْنـا غَلَبْنَـا

وعَـدُوِّنَـا نَسْقِيْـه كَـاسَـات الامْـرَار

أقْفَـنْ سَـلايْـل خِيْلَهُـمْ مِـنْ غَضَبْنَـا

غَلْبَـا مـدَلْهَـةِ العَشَـايـر بـالاقْفَـار

وحِنَّـا ليَـامنَّـا زِعْلنَـا حَـرَبْنَـا

ونـذْر الـدَّخِيْـل ونِكْـرمْ الضِّيْـف والجَـار

ويَـامَـا غَضَبْنَـاهُـمْ ولَحْـدِ غَصَبْنَـا

وهَـذي عَـوَايْـدنَـا عَلَـى الْهِجِـنْ وامْهَـار

وَعِـذْوانِنَـا تِشْكـي فَعَـايِـل سِـرَبْنَـا

نُـوب مِسَـانِيْـدِ ونُـوْبَـاتْ حِـدَّار

ويقصد الشاعر سليمان اليمني بكلمة «غنام» ساجر الرفدي قائدهم، مشبها إياه بالصقر، لأن غنام من اسماء الصقور، وقال انهم ابصروا عربان ابن لامي ، فاغاروا عليهم، واخذوهم، ثم صمموا على مهاجمة الدويش، واخيراً تراجعوا لأن مناهلهم قليلة الماء، لا تروي الخيل، وعسار، أي عميقة. وفي صبيحة اليوم الرابع وصلوا منهل (خضرا) المعروف وشربوا منه، وهناك تبادلوا الرأي ، ثم مشوا باليوم الخامس ومروا برجم (الهيازع) و (سنار) وهناك وجدوا ان ابن علي زعيم قبيلة عبَدْه من شمر قد علم بهم، وقطع عليهم الطريق، متصدياً لهم، وقد انضم الى ابن علي ابن طوالة زعيم قبيلة الاسلم من شمر ، وذكر الشاعر انهم هاجموهم وهزموهم، هم ومن معهم، وأن خيلهم هاربة، ومن فوقها الشبان الذين يعشقون البنات، وقال إنهم (يقصد جماعة ساجر) يغلبون كل من يحاربهم، ولا يغلبون، وكأنه

معني ببيت عمرو بن كلثوم حيث قال:

فَــإنْ نَغْلِــب فَغَــلاَّبُــونَ قِــدْمــا
وإنْ نُغْلَــبْ فغيْــرُ مُغَلَّبِيْنــا

ثم قال في آخر قصيدته: وهو ولا شك يتكلم بلسان ساجر: انه اذا تحداه احد حاربه، وانه يجير من استجار به، ويكرم ضيفه وجاره، ثم قال انه يغتصب الناس، ولا يستطيعون اغتصابه، وهذه هي عادته على صهوات الجياد، واكوار الابل، وقال ان اعداءنا، يشكون الضيم من كراديس خيلنا، واننا نسير بنجد جيئة وذهاباً لا نخشى من اعترض طريقنا.

وفي سنة من السنين، وفي عنفوان زعامة ساجر الرفدي، وبروز شخصيته بين زعماء قبائل نجد، حصل بين آل شعلان خلاف على الزعامة وهم عائلة آل نايف وعائلة آل مشهور، وكان شيخ آل شعلان وقبائل الرولة آنذاك هو فيصل بن نائف الشعلان، ويسانده أخوه هزاع بن نائف، وابنا اخيه، وهما فواز وسطام ابنا حمد النايف، وقد حصلت بين العائلتين معركة، تغلب فيها آل مشهور، على آل نائف، وقتلوا فيصل بن نائف شيخ القبيلة، وابن اخيه فواز، وجرح هزاع جرحاً بليغاً.. على اثر ذلك عابت رجله، اما سطام بن حمد فكان صبياً صغيراً، لم يبلغ سن الرشد، وكان عمرو يقارب ثلاث عشرة سنة، ففر به (عبيد)آل نائف، والتجأوا به الى الشيخ ساجر الرفدي، اما آل مشهور فقد اخذوا راية الشعلان المشهورة، وهي عبارة عن هودج مجلل بريش النعام، ومن أخذ هذه الرايةمن عائلة الشعلان، يصبح هو رئيس القبيلة، وكانوا يحملونها في ساعات الحروب،

يتكاتفون من حولها، وفعلا ترأس آل مشهور بقبائل الرولة. أما سطام بن شعلان فعندما التجأ الى ساجر الرفدي هو وعبيده، سألهم ساجر عن القصد من لجوئهم، فأخبروه بما وقع بينهم وبين ابناء عمهم ابن مشهور، وان شيخ الرولة فيصلا قد قتل، وكذلك ابن اخيه فواز، وان ابن مشهور غدر بهم، وطلبوا من ساجر ان يعينهم بنفسه، وبقومه، لأخذ الثأر من آل مشهور، واستعادة الراية، وقد لبى طلبهم، وقال اطمئنوا فأنا معكم، واعطيكم عهد الله على ذلك، ولكن لابد من ان اتوجه انا واياكم للشيخ ابن هذال، شيخ العمارات، لنعرض عليه الأمر، ونخبره بكل ما حصل، ونطلب منه ان يكون بجانبنا لتنفيذ ما طلبتموه، وانا اؤكد لكم انني سأكون معكم حتى ولو اعتذر ابن هذال، ثم توجه ساجر، ومعه سطام الصبي الصغير الى ابن هذال، واخبروه بالأمر، وطلب منه ساجر ان يقود قبائل العمارات، لأخذ ثأر آل نائف من آل مشهور، وارجاع رايتهم اليهم، وقد استعد ابن هذال لذلك، وطمأن الشيخ الصغير سطام بن شعلان، بأنه سيسير معهم، وعمم الأمر على جميع قبائل العمارات، ثم التفوا من حوله، ومعه ساجر الرفدي وقبائله، وسطام معهم، ومن معه من العبيد، وقيل ان معهم قسماً من قبائل الرولة، وزحفوا على آل مشهور، وقبائل الرولة، وكان آل مشهور ومن معهم نازلين في وادي (ابا القور) المعروف، وقد ارسل ابن هذال جواسيس ليسبروا قوة الرولة، وبعد أن عاد اليه الجواسيس واخبروه أن الرولة مجتمعون عن بكرة ابيهم مع آل مشهور، وبعد ان تأكد ابن هذال من ذلك استصعب الأمر، والتفت الى ساجر الرفدي، وسطام بن شعلان، وقال لهما لابد من الرجوع والتأني، الى ان يتفرق عربان الرولة عن آل مشهور،

ثم نغزوهم مرة ثانية، وهم وحدهم، وننفذ ما طلبه سطام بن شعلان، وعندما لاحظ عبيد سطام تردد ابن هذال، وجهوا سطاماً بأن يستثير ساجر الرفدي بالنخوة العربية. ولما فعل ذلك سطام، قام ساجر الرفدي غاضباً، وركب قلوصه، وصاح بفرسان قبائل العمارات، وقال من يريد أن يتبعني فأنا ذاهب لمهاجمة آل مشهور، ومن معهم، لأخذ ثأر من استجار بي، ومن يرد منكم ان يرجع فهو حر، ثم دفع مطيته مسرعاً، ومستجنباً جواده، وذهبت فرسان العمارات خلفه، ولم يتأخر أحد عنه، وعندما لاحظ الشيخ ابن هذال ذلك صمم على الاستمرار معهم، لتنفيذ الخطة، فهاجموا آل مشهور ومن معهم من الرولة، الا انهم لم يظفروا بعائلة آل مشهور، لأنهم دافعوا عن ظعينتهم الخاصة، وعن راية الزعامة، وحموها من القوم المغيرين، وتوجهوا الى اراضي دومة الجندل، وبعد ذلك قرر ابن هذال الاكتفاء بهذه المعركة، وأمر القوم بالرجوع، ولكن ساجراً لم يكتف بذلك بل اصر على مناصرة سطام بن شعلان، وعارض ابن هذال بالرأي، واستمر بمطاردة آل مشهور، وتبعه العمارات، ولم يتأخر منهم احد، ثم كر على آل مشهور مرة ثانية، وهم في دومة الجندل، وقتل من فرسانهم عدداً كبيراً، واسر الكثير، واسترجع الراية، وسلمها لسطام بن حمد الشعلان، وعادوا الى منصبهم الذي سلبه منهم ابناء عمهم آل مشهور، اما ساجر فهو لم يكتف بهذا النصر، بل كان حافزاً له على مواصلة غاراته على جهات اخرى، فأغار على الشيخ ابن زويمل احد مشائخ شمر، وهو المسؤول عن ابل طلال ابن رشيد، حاكم حائل، وكان في الدهناء وقد قتل ابن زويمل، واخذ كل ما عندعه لابن رشيد من المواشي، وكذلك أخذ جميع حلال قبيلة بن

زويمل، وبهذه الحادثة اثبت ساجر الرفدي، جرأته الفائقة، حيث تجرأ على مهاجمة المسؤول لحاكم حائل، متحدياً بذلك الحاكم نفسه، وقد رجع بهذه الغنائم العديدة الى اهله، وقال هذه القصيدة واصفاً قومه، مفاخراً بهم :

مِـزْنٍ تَـزبّـرْ عَـمْ عَـزْ عَـزْ وابـا القـوْر
سِيْلِـه عَلَـى كِـلْ المِشـارِيْـف ضَـافـي
أوّل خِيـالـه صَـارْ فُـوْق ابـنْ مَشْهُـوْر
جَـاُهـمْ عَلَى وَضْـحَ النَّقـا مَـعْ كِشَـافـي
يَـا مَـا اقْبَلَـنْ بـاخَـوات رَبْـدا تقْـل سُـوْر
ويَـامـا انْتَحَـنَ بـاخْـوَات ريْـدا مقـافـي
كِسِيْـــرةٍ فيْهـــا احْمَـــر الـــدّم مَنْشُـــوْر
وقفـــوْا عَليْهـــم لابِسِيْـــن الْغـــدَافـــي
وخَيَّـلْ ضِبَـابِـه وَانْتَحَـى السّيْـل بِخـدُوْر
وابِـنْ زُوَيمـل شَـالَـه السّيْـل طَـافِـي
فَـاجَـاه مِـنْ فُـوق الـرَّمـك كـلْ مَضطُـوْر
خَيَّـالْ ذرْوَة يُـوْم هـي بِـالعـوافـي
ذرْوَات أخَـذْنَـاهِـنْ وِيْبَـرى لهَـنْ خُـورُ
ويفْـداكَ مـالـكَّ يَـا ربيْـع الضعَـافـي
غِـرنَـا عَلَـى ذِرْوات مَـعْ فَجَّـةِ النُّـوْر
وَتخـزّزُوْهِـنْ نَـاقِلَيْـن الشّـلاَفـي
والفـاطـرِ اللـي عنـدكـم فـات لـه دور
حَنَّـت ولا تَـالـي حنينـه عـوافـي

هَـذَي عَـوَايِـدْ مِـدّبـة كـلْ صَـابُـوْر
قِـوْلٍ عَلـى فِعْـلٍ وكـادٍ بِشـافـي
وَسطَّـامَ خَلَّيْنـاهْ يـرْكَـبْ عَلـى الْكُـوْر
وعِقْـب العَنَـا والْكُـوْد شَـاف الْعَـوافـي
والَمـرْكَـبِ اللَّـي فُـوْقـه الّـدلَ مَنْشُـور
جَـانَـا بضـربْ مصقّـلاتِ الـرّهـافـي

وقد شبه ساجر قومه بالمزن، وأن سيله غطى كل مرتفع، وانه امطر - اول ما امطر - على نزل ابن مشهور، وانه اتى اليهم جهاراً ولم يأتهم غدراً، وقد اثنى على فرسان آلْ مشهور، حيث قال ان فرسانهم يكرون مرة، ويفرون أخرى، بعد ان يسيل الدم منهم، وقال ان هذا المزن بعد أن أمطر على آل مشهور اتجه الى ابن زويمل، المسؤول لابن رشيد و(ذروات) أخذناها قسرا ويعني إبل طلال بن رشيد، التي كان يغزو عليها، وان من ضمنها خوراً أي أنه أخذ القلائص ومعها ابل غيرها، من ابل ابن رشيد، وقال في آخر قصيدته: ان هذه عوائدنا، نؤدب الرجال بالرجال، ولا نقول شيئاً الا ونفعله، وكل الناس تشهد بفعالنا.. ثم قال اننا نصرنا الشيخ سطاماً بعد ان لحقه العناء والكود.. وقال في آخر بيت اننا استرجعنا (المركب) وهي راية آل نائف، بضرب مرهفات السيوف.

وبهذه المناسبة قال شاعره سليمانْ اليمني هذه القصيدة:

جِـرّ شَلَـغْ مَـنْ مَـرْقَـبٍ مِـرْقبيْـه
طَلْعِـهِ بعيْـدْ وِصيْـدتِـه حَـصّ الاوْبَـار

غَنَّــامْ صَيَّــادِ الشَّــواةِ السَّمِيْنِــةَ
بِمْصَـافَـقِ الْغَـارَاتِ لِلْضَّـد دَمَّــار
صَـكْ ابـن مَشْهُـورٍ وفَـرَّق ظِمِيْنـهِ
وخَلَّـى حَـرَيْمـه قَـاعِـدَاتٍ عَلَـى الـدَّار
رَدَّدْ رُذُودة ثُــمَّ صَــدَّرْ يَمِيْنِـه
وأذْلَـىْ عَلَـىَ نَـزْل الـزَّمُيْلـي بـالأصْخَـار
سَـاجـزْ ضَـرَبْهُـمْ ضَـرْبَـةٍ فـي يِمِيْنِـه
وحِلْنَـا عَلَـى ذِرْوَاتْ بـالمـوْقَـفِ الحَـار
كُـوْنِ الضَّيَـاغِـمْ مِـنْ بَخَـتْ حَـاضِـرِيْنِـهِ
طـرْشٍ كَثِيْـر وَبـاغـي الْهِجـنِ يخْتـار
ذِرْوَات جَـنَّ ابهـنْ مـن الْـوِضْـخ عِيْنـه
وِضْـحِ تَخَـافَـقْ وِسْطَهُـن تِقْـلْ نُـوَّار
راعِـيْ الْبُـوِنِضَـا خَبَّـروا جـاهِلِيْنِـه
كَـمْ حِلَّـةٍ خَلَّـيْ عَمَـدْهَـا عَلَـى الـدَّار
سَـاجِـزْ حَلَـفْ حِلْـفٍ وَتَمَّـمْ لِـدِيْنِـهِ
وَخَـواتْ بْتْـلا لِلْعِـدوْ كسـر تِعْبَـار
طَـلاَلْ قِـلْ لِعْبَيْـدْ بِيْنَـكِ وبِيْنِـه
وِشْ لـوْنَ يـا مَـنْ والْعِمَـارَاتْ عُمَّـار
وِشْ لُـوْنْ تِقْبَـلْ لَـذَّةِ النَّـوْم عِيْنِـه
وَوَرَاه رَبْـعِ مَـايَهـابُـوْن الاخْطَـار

مـــنْ بَـــابْ بَغْـــدادٍ لِبَـــابْ الْمِـــدَيْنَـــةِ
يَلْقَـى بنـي وَايـل عَلـى الكُـودْ صِبَّـار

مِـنْ فُـوقَ الانْضَـا مـا بغَـوْ واصليْنِـه
مِسْتَجْنبَيْـنِ قِـرَّحَ الخَيْـل وامهَـار

كَـمْ خَفْـرةٍ تَنْعـى وَتَبْكـي جِنيْنِـه
خِلْـي لِسِمْحَـانِ الضَّـوارِي بـالاقْفَـار

وكـمْ خَـايـعٍ وَقْـتْ الْخَطَـرْ نَـازِلِيْنِـه
عَـادَاتُهُـم نَـزْلِ الْخَطَـر سَـرّ واجْهَـار

وَكَـمْ حِلَّـة فُـوْق الـرَّمَـكْ سَـاهِجِيْنِـه
بَـاقْفَـار نَجْـدْ وكـلْ دارٍ لهُـم دَار

وكَـمْ عَـايِـلٍ بـازْمَـاحِهُـم جَـاد عِيْنِـه
مِـنْ ضَيْمِهِـمْ يِشْـرَبْ قَـرَاطيْـع الامـرار

وفي هذه القصيدة يقول لطلال بن رشيد:

اسأل عمك عبيداً كيف ينام، وقبيلة العمارات على الوجود، ولا زالت قوية، وان ساجرا معهم، لا يهاب الأخطار، ثم قال من مدينة بغداد، الى المدينة المنورة، وبنو وائل موجودون على خيولهم، وأنهم يصلون الى اي شيء يريدونه، وكم اشبعوا الذئاب الجائعة، من جثث القتلى، وكم أرض قفرة رتعوا بها، دون مبالاة بأحد ، وانهم يتنقلون في كل بلاد نجد، وينزلون حيث ما ارادوا ، سراً وجهاراً، وكل عائل مستكبر يؤدبونه، ثم اشاد بقائدهم ساجر الرفدي، ورمز اليه بالصقر، وان نظرته بعيدة، وانه بالمعارك يدمر الأضداد، ثم قال انه فرق شمل آل مشهور، وترك نساءهم

على الأرض، وقال انهم ردوا ما غنموه من آل مشهور من الابل لأهلهم، ثم استمر بغزوته واغار على ابن زويمل المسؤول لابن رشيد ، وانه قتل ابن زويمل وأخذ حلال طلال بن رشيد وأخذوا ذروات، وهذا هو اسم قلائص ابن رشيد التي يغزو عليها، وقال ان من بينها ابلا وضحا اي بيض الألوان، وشبهها بالنوار، يقصد زهر الاقحوان، وقال ان ساجراً اخذهم بيوم حار، اي بمعركة حامية، وأنه اعطى قومه الخيار، من ابل ابن رشيد، لأنها كلها من أصائل القلائص، وقال ان هذه هي أفعال صاحب البويضا، ويقصد ساجراً ، فالذي لا يعرفه يجب ان يعرفه، وقال انه اقسم يميناً ان يخلص راية سطام من ابناء عمه آل مشهور، وقد اوفى بقسمه، وبعد ذلك اثنى على اخوات بتلى، ويقصد مشائخ العمارات، آل هذال.

بعد هذه الوقائع التي فاز بها ساجر زادت شهرته علواً، وصيته انتشاراً ، واخذت تنظر اليه القبائل نظرة اعجاب، وكان يساعده الحظ في كل غزوة يغزوها، ولذلك أخذ زعماء القبائل ينظرون اليه نظرة الكراهية ، اصبح مصدر خطر على زعامتهم، بين قبائلهم، خاصة مشائخ (ضنى بشر)، من عنزة .

وقد نشب الخلاف بين ساجر وشيخ من الخرصة من الفدعان يسمى السمن، ويقال ان هذا الشيخ قام لدهام بن قُعَيْشِيش شيخ قبيلة عموم الخرصـة ، من الفدعـان، محرضاً إياه على أن يغزو ساجر الرفدي وجماعته آل سلقا، لسلب اموالهم، وتحويلهم الى فلاليح، يزرعون بالأرض، هذه الكلمات أثارت ساجراً فشن الحرب على السمن، وقال هذه القصيدة :

يَالسَّمَنْ مَا رَبْعِيْ لِرَبْعِك فَلالِيْح
رَبْعِيْ مَقَزِيْن الْعَدُو بالْفَعَايِل
رَبْعِيْ هَل الطُّوْلَة عَلى الفِطَّرْ الفِيْح
مِسْتَرِدفِيْن مبشَّمات الفِتايِل
إنْ دَرَهم الصَّابُوْر مَا مِنْ تِصافِيْح
مِنَّا وِمِنكُم بِزمَلَنْ الحَلايِل
وَالله مَا تِسْرَحْ عَلى الْحَمْض وِتْرِيخ
مَا دَامَ مَا حَطُّوا عَلِيٍّ الثَّايِل
مَا دَام مَا غِزَتْ عَلَّي الصَّلافِيْح
مَا نِشْرَب الفِنْجَالْ والحَقْ مَايِل
حِنا بعون الله حداة مفالِيح
تشهد لنا بالطيب كل القبايِل
عَلَى النضَاَ والخيْل دَايِم مِشاوِيْح
مَا نتقي بَرْد الشُّتا والقِوايِل
نِسْعَى بِدُنيانا نبي هَبَّة الرِّيْحِ
وِنخُوْض غِبَّاةٍ وِنِكْسَبْ جِمايِل
يَامَا عَدِيْنَا يَم ابا الْهِيْل وشْبَيّح
وِيَامَا وطَنْ فينْا قفَارٍ وحَايِل
ومِنْ الشِّعَبِ جِبْنا نياق الْمصَالِيْح
وَرَدْنْ وَاغْرِنَا يَمْ بيْضا نِثَايل

وَهَــل الْحَفْــر فَــاجِيْتُهُــم بِــالْمِصَــابِيْــح
وِجِبْنــا خَــلال الطَّيبِيـــنْ الْحَمَـــايِـــلْ
يَــوْم الْعِفُــونْ أَهَــلِ السَّــوالِـف مَــدابِيْــح
أَنَــا عَلَــى الطُّفْقَــات صَــايِــل وجَــايِــل

وبعد ذلك تطورت القضية، وثار الشيخ دهام بن قعيشيش، والشيخ نايف بن غبين. وكذلك مشائخ قبيلة السبعة، ثار كل هؤلاء متالبين ضد ساجر الرفدي.. ولكن ساجرا أخذ يشن عليهم الغارات المتتابعة، وحاصرهم حصاراً شديداً ، حتى حمي عليهم الرعي بالفلوات التي ينبت بها الحمض، وقصد بهذه المناسبة الشاعر البليعان، الذي هو من ضنا عبيد (السبعة)، والفدعان خصوم ساجر الرفدي، وقد أثنى على ساجر ثناء عاطراً، ومدحه بما يستحقه، وهذه من فضائل العرب، ولا شك ان الشاعر البليعان من المعجبين ببطولة ساجر، وقد طلب له البليعان بالقصيدة التوفيق، والعز، وأشار الى كراهية المشائخ لساجر، وقال ان ساجراً أغنى قومه بالغزوات وان كل بلاد من بلاد الاعداء شرب من مائها، ووصل اليها، وقال انه يكسب الابل الوضح اي البيض في الوقت الذي كان الزعماء غيره نائمين عنها، الى ان قال بقصيدته: ان ساجراً يمتطي الخيل والابل بغزواته، الى ان يسيل الدم من خفاف الهجن، من شدة الهجير بالصيف، ثم ذكر ان ساجراً حرم على ضنا عبيد المرتع في اراضيهم، التي كانوا يملكونها من قبل، وقد بينها في قصيدته وحددها، وقال ان ابناء وايل لا يقربونها خوفاً من ساجر ووصفه بالأسد، المطل على الذئاب من فوق مرتفع، وهذه هي القصيدة :

يَــا رَاكــبٍ حَمْــرَا تِــذب الطَّــوَارِيْــق
جِـــذْعِيَّـــةٍ قَطْـــعِ الفَيَـــافــي مِنَــاهَـــا
مَــدّت مِــنّ الضَّلْعَــان وَقْــت التَّشَــارِيْــق
تِلْفـي لِسَــاجِــرْ هُــو مَحَــاري عَشَــاهــا
عَسَـــاه مَـــغ رَبْعِـــهِ بِعِـــزْ وَتَـــوافيْـــق
الــلأبِـــةِ اللَّـــيْ كِـــلْ شِيْــخٍ جِفَــاهــا
سَــاجِــرْ جِمُــوحِـه عــاشَهـا بِـالتَّصَـافِيْـق
كَـــمْ دِيْـــرةٍ قَـــدْ وَرَّدَوا بِـــرد مَـــاهـــا
كَــمْ دِيْــرةٍ جُــوْهــا الْعِيــال الْمِطَــالِيْـق
هَـــدُّوا رُواسِيْهـــا وَداسُـــوا حِمـــاهـــا
فُــوْق الــرَّمــك ومِجــاَذِبَــات الخَنَــانيْــق
كَـــمْ طــامِــحٍ فَكُّـــوا حِبـــالٍ وَرَاهـــا
الْــوضِــخ جَــابُــوهــا تــذبّ الطَّــواريــقْ
يُـــوم انْ كـــلٍ نَـــايـــم مَـــا نِصَـــاهـــا
مِــنْ فُــوق قِــبّ مِــنْ طــوالِ السَّمَــاحِيْــق
وِهْجِــنٍ بحــرّ الْقيــظ يَــدْمــي حفَــاهــا
الله يَـــا عِشْـــبٍ بـــالاكْـــوامَ مـــاذِيْـــق
فــي قَفْــرةٍ راعــي الْبُــوَيْضَــا حَمَــاهــا
التَّنْــف وارْض شبيْــخْ وارْض الــزُّرانيْــق
أوْلاَد وَايـــل مَـــا تقَـــرّب حِمـــاهـــا

مِـنْ خُـوْف سَـاجَـرَ يـدّب القـوْمِ ويـوِيْـق
سِبْـع الـذّيَـاب اللّـي ظهَـر مَـع شِفَـاهـا

وعندما تبين لساجر أن ضنا عبيد قد أجمعوا امرهم على حربه قال قصيدة لم اظفر منها بسوى الخمسة الأبيات التالية :

يَـا عيَـالَ يَللّـي فُـوْق الانْضـا مَـوارِيْـد
خُـوْذوا سِبَـايـاكُـم وخُـوْذوا قِـراكُـم
خُـوْذوا مَهَـانيـد النّمـش والْبَـوارِيْـد
الله لاَ يخَيِّـب رِجـا مِـن رِجَـاكُـم
يَـالابتـي مَـا عَـاد فيْهـا تِصَـادِيْـد
والْعِـزْ بَـاتْلـي خِطْـوَةٍ مِـن خِطـاكـم
يـالأبتـي نبـي نِطَـارِد ضَنَـا عبِيْـد
حِتـي يبيّـن طِيْبكُـم مِـنْ رِداكُـم
اللّـي يِلِفّـوْن الضّمَـايِـر عَلَـى الْكِيْـد
بيَـنْ خَطَـاهُـم وَاستَحَقّـوا خطـاكُـم

لقد استحث ساجر فرسانه، وامرهم بأخذ قلائصهم وخيولهم، وامرهم بأخذ سلاحهم من السيوف والبنادق، وقال ان الحرب واقعة لا محالة بيننا وبين ضنا عبيد، واكد لهم ان عزهم عندما ينجزون مهمتهم، بأتلى خطوة من خطاهم الثابتة، وقال اننا ستتجاول نحن وضنا عبيد على الخيل، حتى تثبت لهم شجاعتكم، ويعرفونكم تماماً بميدان الحرب، واكد لجماعته ان خصومهم تنطوي ضمائرهم على الكيد والخبث، وانهم بدأوكم بالخطأ،

ولذلك فقد استحقوا خطأكم فيجب تأديبهم، وبعد ذلك شن ساجر غارته على ضنا عبيد، بعد ان تجهز هو وفرسانه، واخذ ابلا لأحد كبارهم، وعندما علم بذلك ضنا عبيد، الذين هم السبعة والفدعان، ركبوا خيولهم، ولحقوا بساجر ليخلصوا ابلهم منه، فاحتدم الصراع بينهم وبينه، عند الابل، وقام فرسان (ضنا عبيد) بمجهود كبير، وهاجموه بشجاعة المستميت، ولكن ساجراً وابطاله صمدوا وأثخنوا فرسان (ضنا عبيد) بالضربات القاتلة، وتراجعوا عاجزين بعد ان قتل منهم عدد كبير، وتم استيلاء ساجر على الابل.

وبهذه المناسبة قال شاعر ساجر سليمان اليمني هذه القصيدة: وقد فصل فيها تفصيلاً وافياً:

حِـــرٍ شَلَـــع مِـــنْ راس سَقّــان وانْهَــامْ
يَهْـوي عَلَـى نَـاحٍ ويَضْطِـي عَلـى نَـاح
هَـامَ العِـراق وقَـالَـوْا الـدِّرْبِ قِـدّامْ
وَطَـالَـعْ عَلَـى يَمْنَـاه خَلْفَـات وِلْقَـاح
ونــوَى عَلَــى دَرْبِ المِقَــادِيْــر جَــزَّام
بِـراس اللَّـوى اذلـى عَلَـى المَـال سَـرَّاح
واقْفَـوا هَـل الطَّـوعَـات عجْـلات الـوْلام
بِقِطْعَـان ابِـن كَـردُوْس كَسَّـاب الامـداح
صَكُّـوا بِهِـن صَكَّـتْ عَلَـى الـزَّاد صِيَّـام
جِـلَّ القُطُـورْ وَقَـال : سَمّـو بـالأفْـلاح

وَلحَقَـوا هَـلِ الْعَـرْفَـا وَطـابُـوزْ الازْوَام
فَـزْعَـة قِطيْـن وبِـهِ عشـاشِيْـق طِمَّـاح
وَهـازَوْا وِوَرْدَوا والـدَّخَـنْ بِيْنِهُـم زَام
وَشَـافُوا سُهُـوم المَـوت مَـنْ دُونهُـم لاح
وَتَـلافتـنْ حِـرْش العَـرَاقِيْـب سجَّـام
شـرْهَـنْ عَلَـى مِـركَـاضِ مِهْـديْـن الازواح
وغَـدا لهُـم عِقْـب النَّـوادِيـة تَمْنَـام
وَانْيَـابِهُـم مِـنْ حَـامِـي السّـو كِـلاَّح
واقْفَـوا مِعِيقِيْـنِ بَعْـدْ ضَـرب وَزْحَـام
كَـمْ مَـنْ عَـدِيْـم بِـاللَّقَـا قفُـوهُـم طَـاح
انْـذَرْتُكُـم يَـا بشْـرِ فـي عَـامِنـا العَـام
عَـنْ طَـاري الفَـزْعـة ليـا صَـاح صَيَّـاح
مَـا دَام سَـاجِـرْ كِنَّـه السّبْـع ضِـرْغَـام
عَـنْ صِيْـدِتِـه مَـا نَـزَّحَـه كـل نَبَّـاح
مَضطُـوزْ قَطَّـاع الفَيَـافـي وجَـزَّام
عَـيّ عَنِيْـدِ لِلطَّـوابِيْـر نَطَّـاح
مِـنِ الـرّاس لِلْبَلْقـا إلـى نِقْـرةِ الشَّـام
مِنْـه الـدّول خَـافـت عَلَـى كِـلْ فَـلاَّح

وهنا اكد الشاعر سليمان اليمني وصف سيده وزعيمه بالصقر الذي اعتلى مرتفعاً من الأرض، واخذ يتحفز لاقتناص صيدته، وأوهم أعداءه انه يريد غيرهم، لينقض عليهم على غرة، والحرب خدعة، وقال انه فاجأهم،

وأخذ ابل ابن كردوس، وشهد له الشاعر انه من الذين يكسبون المدح، اي من الرجال الطيبين، ثم ذكر انهم احاطوا بالابل من كل جانب احاطة السوار بالمعصم، أو كإحاطة الصائمين بفطورهم، بعد ان غربت الشمس وحل الافطار، ثم قال انهم لحقوا اهل (العرفا) وطابور الأروام، اما اهل العرفا فهم قبيلة السبعة وكانوا ينتخون بالعرفا، والعرفا المذكورة هي الأكمة الصغيرة التي تقع شرق مطار الطائف، اما الأروام فهم الخرصة من قبيلة الفدعان جماعة ابن قعيشيش، وهم ينتخون بالروم، وهذه عادتهم، وفي نفس البيت قال إنهم هبوا من القطين، اي من المنهل الكبير، الذي تجتمع فيه قبائلهم، وهنا يبين انهم ليسوا بقلة، بل ان عددهم كثير، وقال انهم هاجموهم بعد تردد، وبعد ان ثار ملح البارود، من بنادقهم، وكذلك رأوا الموت يحول بينهم وبين الابل، ثم قال إن الابل التفتت اليهم ساجمة، اي ذاهلة حسيرة وكانت مؤملة ان أصحابها يخلصونها، ولكن انيابهم كلحت، وظهر عجزهم، واخذوا يتقهقرون، ورجعوا يائسين من فكها، بعد ان شاهدوا عدداً من القتلى، على الإرض دونها، ثم قال الشاعر انني نصحتكم بالعام الماضي، ولم تقبلوا نصيحتي، وقلت لكم ان شيئاً يغنمه ساجر لا تفكروا بارجاعه وانه لا يضيره نباح الكلاب، وقال ان ساجراً مصطور اي صلب القناة، وانه يقطع الفيافي الموحشة ولا يرهبها، وعنيد بالحروب، ويقابل الطوابير أي الكراديس من الخيل، ثم قال بالبيت الأخير ان دولة الأتراك اخذت تخشى على كل فلاح من ساجر، لأنه اخذ يتوغل بين قرى العراق وسورية، وقام بغارات قرب المدن.

لقد نجح ساجر في اول معركة على (ضنا عبيد) واخذ يوالي غاراته

عليهم ، وفي احدى المناسبات قال هذه القصيدة في خصومه (ضنا عبيد).

يَـامـن لِعِيْـنٍ كلّمَـا قِلْـت نَـامَـتْ
فَـزّت وقَـامَـتْ مَـا تَـرِيْـد مَنَـامْ
وَيَـامِـن لقَلْـبٍ كِـلْ مَـا اقُـوْل دَالِـه
يِجِيْـه مِـنْ بيْـن الضُّلُـوعْ وِهَـامْ
يِحِـس ضِيْـم مِـنِ الـرّفَـاقَـة وَغَـدْرِهُـم
ويْـع عَلِيْهُـم كِـلْ يُـوْم مَـلام
تَشَـاوَرَوا بِـالْغَـدْر نَـاوِيْـن حَـرْبِنـا
نَـايِـف وَبـلأص الـرّجَـال دهَـام
يِبُـوْن غِـرّتْنـا وِحَنـا عَـذَابِهُـم
ومِـنْ قَـال أنَـا ضِيْـم الـرّجَـال يِضَـام
عِلَيْهُـم مِشَـاوِيْـل السّبَـايَـا نِجِـرّهَـا
بِـرَبْـعٍ عَلَـى خـوْض الحـرُوْبِ هِيَـام
يَـامَـا وَرْدَنـا عِقْلِـةٍ جَـاهِلِيَّـة
وطَيّـرتْ مِـنْ جَـالَ القلِيْـب حَمَـام
حَـزِيْنـا يَشْكـي مِصَـاطِـي سِيُـوفِنـا
إنْ ثَـارْ مِـنْ تَحْـت الكِتَـام كِتَـام
وحـدُوّنَـا نِسْقِيْـه كَـاسٍ مِـنْ الطّنَـا
وِنجيْـه فُـوْق الـراهِمَـات شْمَـام
كَـمْ غَـارةٍ وَجْهَتْهَـا بِمّـةِ العِـدَا
وَاخَـذْت مِـنْ عِقْـب الجَهَـام جَهَـام

كَـم خيـرٍ شـاف العنـا عقـبَ فِعْلِنـا
تِـذَكّـر لِعـزّةٍ بِـالْمَنـام حَـلام
مَـا دَام انَـا حَـيّ فَهَـذِي فَعَـايَلـي
وانْ مِـتّ لِلْجنَـةْ وبـرْد سَـلام

بين ساجر بهذه القصيدة أنه يشعر بأن (ضنا عبيد) يتآمرون عليه وخص بذلك الشيخ نائفاً والشيخ دهام بن قعيشيش، ولكنه قال إذا كانوا يهتمون بغدرنا، فنحن على أهبة الاستعداد لهم، ومن اعتقد أنه سيضيم الرجال، فالرجال سيضيمونه، وسوف نقابلهم على صهوات الجياد، ثم أخذ يفخر بنفسه، وبقومه، ويوضح أعمالهم، وقال في آخر بيت أنه سيواصل أفعاله ما دام حيًّا، إلى أن قال: وإن توفاني الله، فأنا أرجو رحمته، وجناته.

وبهذه الفترة أحس ساجر أن ابن هذال شيخ العمارات لا يطمئن له، وأنه أخذ يعمل ضده، ورفض أن يساعده على حربه مع (ضنا عبيد) وقال ساجر هذه الأبيات:

إنْ بِغْتَنَـا يـا شِيْـخ حِنّـا ذِكَـرْنَـاك
بِـالْخِيْـر يَـا رَامـي عَبـاتِـهِ لِغيْـره
يَـا شِيْـخ مَـا حِنّـا هَـذُوْلا وذُوْلاَك
حِنّـا مِعَـادِيْنَـا عَلَـي كِـلْ دِيْـره
صَـابُـورِنـا يَـاطَـاعَلَى حَـوْض الاذْرَاك
وخَيْـل مِكَـامِيْـنِ وخَيْـل مِغِيْـره

كَـانَـك تِبِـي فَضْخَـة عِيُـونِـك بِيمَنَـاك
اضْـــرِب عَليْهـــا يَـــا قِلِيْـــل البِصِيْـــره

لقد طال حرب ساجر مع قبائل (ضنا عبيد) وحصل بينهم معارك دامية، وكان ساجر مضرب الأمثال بالإقدام، والطموح، وقد عاش عمراً طويلاً، وعندما طعن بالسن، وشعر أن قواه بدأت تضعف، وأحس أن سعده لم يكن كما كان.. قال هذه القصيدة متغزلاً بمحبوبة له وهو يقصد دنياه التي عاش فيها:

عِيْنـي قِـزَت عَـنْ نُـومَهـا واسْهَـرَتْنـي
مَـاهـي مِـرِيْضَـة مَـاز بِـالقَلْـبِ وِلْـوَال
واحَسْــرِتِــي مِــنْ عَشْقِتِــي عَــابِفَتْنِـي
وشَامَت وَنسَيَت مَا مِضى لي بَالافْعَال
تَمَطَّـــرَت يُـــوم انَّهـــا بَـــاغِيَتْنـــي
والْيُوم مَـا حَطَّـت عِلُـومي عَلَى الْبَـال
وَقْــرُونَهــا جِــرْدِ السَّبَــايَــا تَلَتْنِــي
وَعْطُــورَهــا دَمّ النَّشَــامــا لِيــاسَــال
عَـاهَـدْتَهـا بـالله وِهـي عَـاهَـدَتْنـي
والْيُوم اشُـوْف اعْمُـولَهـا اقْفَـاي واقْبَـال
دِنْيــاي بِخمُــول العَنَـا ضَــاهــدَتْنـي
والكُبَـر يـرّث بـالـرّجِـل كِـلْ غِـربَـال
مِـنْ مَـدّهـا بِـالْجُـوْد يَـامَـا عَطَتْنِـي
ويَـامَـا رَكْبْنَـا فُـوْق عَجْـلات الازْوال

وِيَامَا عَلَى طِيْب الفَعَايِل هَدَتني
وخَلِّيت عيْرَات النَّضَا تِهْذِل اهْذَال
نمْشي عَلَى مَا كَاد لَوِ سَاعَفَتْني
وانْ عاضبَت نذْكر بها زِيْن الامْثَال
وَكَمْ سِرْبةٍ نِجِرْهَا تَابِعتْني
وخَلَّيت غَارَتْها عَلَى القُوم تِنْهَال
والله لَخُوض بْحُورَها لَو عَصَتْني
مَا دَام جِسْمي بَاقِي مَا بَعَد زَال
مالي حَسَايِف كانها خَالِفَتْني
للِّي يَخَلْط الْخيْر والشَّر عمَّال

لقد اشتكى ساجر من الأرق، وبيَّن أسباب أرقه، ليس من مرض في عينيه، ولكن لما بقلبه من الولوال، وما يخالجه من التفكير.. ثم أشار متحسراً على محبوبته التي لمس أنها بدأت تنفر منه، وتناست ماضي فعاله، وعاملته بالصدود، وذكر أنها أيام كانت مقبلة عليه، تتعطر وتتجمل، أما الآن فلم يعد يخطر لها على بال، ثم وصف ذوائب هذه المحبوبة، وبيَّن أنها جرد السبايا، أي ضمر الخيل، وأن عطرها دم الأبطال المسفوك، وذكر أن بينه وبينها عهداً مؤكداً، ولكنها أخذت تنكث العهد. وبدأت تعرض عنه. واشتكى بأنه تحمل الغبن من دنياه، بأسباب الكبر. لما وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيباً، ولطالما مدته بالجود. وأعطته من خيراتها، على صهوات الخيل. باحثاً عن الرزق، وكم أهوال لطيب الفعال، وركوب الإبل واجهوها لنيل مقاصدهم، إلى

أن قال سوف أتجشم الصعاب، لو أنها أسعفتني، أما إذا أصرت وأعرضت فسأذكرها بالأمثال، أي الأشعار، ثم رجع إلى ماضيه، وقال: كم كوكبة من الخيل قادها، وأغار بها على القوم، ثم أقسم على نفسه رغم كبر سنه، أنه سيخاطر بآخر حياته، مادام جسمه باقياً، وفي آخر بيت قال: أنه لا ولن يأسف، إذا هي خالفته، شريطة أن تتجه إلى كفء يخلط الخير والشر.

ولا شك أن الشيخ ساجراً قد ضرب مثلاً عالياً بالشجاعة والإقدام، وتزعَّم قبيلة (السلقا) وتضاءل أكثر زعماء القبائل أمامه، ولازالت زعامة قبيلة السلقا يتوارثها أحفاده، وهم الآن يسكنون بقرية الشملي في أعلى بلاد طيء.

ومن القصص الغريبة التي اتفقت للشيخ ساجر أنه كان نازلاً في أحد مضاربهم، وله جار يمتلك ستين شاة من الغنم، وجاء نذير لساجر، بأنهم غداً مصبحون من أعدائهم فأصدر أمره إلى جماعته بالتحول عن هذا المضرب تفادياً لمفاجأة العدو، وكانت مواشيهم من الإبل والخيل، وليس معهم من الشياه سوى الستين التي يمتلكها جارهم، وقبل أن يغادروا مقرهم، فاجأتهم غارة العدو، وكان من الممكن أن ينجو بالخيل والإبل، ولكنه من الصعب أن ينجو بالشياه، وكبر على الشيخ ساجر أن تنجو قبيلته بإبلهم وخيلهم، وأن تكون شياه جاره هي كبش الفداء، وهاله الأمر، ثم فكر ماذا يكون حديث الناس عنهم، إذا تخلوا عن جارهم وشياهه، وأخيراً صمم على أن يحموا شويهات جارهم، وأن يقدموها على أموالهم، وأولادهم.. فدبَّر خطَّة تدل على أن ساجراً

إلى جانب جرأته وشجاعته، كان من دهاة الرجال، شطر خيل أصحابه شطرين، لتنفيذ هذه الخطة وكان عدد فرسانه نحو مائة وعشرين فارساً، فأمر ستين منهم أن يلتقط كل واحد شاة من تلك الغنم، ثم ينحونها أمام ظعنهم، بينما الستين الفارس الآخرين يقفون مستميتين في وجه العدو المغير، ثم يعود الذين نحو الشياه ليشتركوا في المعركة، ويخفّفوا عن إخوانهم، ويفسحوا لهم المجال لينوبوا عنهم هذه المرة في نقل الشياه، وإبعادها مرة ثانية عن المعترك.. وهكذا استمر أنصار ساجر، وفرسانه يتبادلون نقل تلك الشياه، ويكافحون العدو المغير، في كر وفر معه، وطراد ونزال.. حتى تم لهم النجاة بشياه جارهم، ولم ينقصوا من أموالهم شيئاً، وعاد المغيرون بخفي حنين، يجرون أذيال الفشل والخيبة، كل ذلك فعله ساجر في سبيل حماية الجار، التي هي من شيم العرب.

ومن ذلك التاريخ استحق ساجر وجماعته، أن يطلق عليهم لقب أصحاب الشويهات، وهم إلى الآن يعرفون بهذا اللقب، ومعناه أنهم الذين نجوا بشويهات جارهم.

وقصة أخرى طريفة وقف فيها عند قوله وأظهر صوامته وقوة إرادته:

إن قدرة الإنسان الحقيقية لا تكمن في فعله فقط.. كما أن ذكاءه وأخلاقه لا يمكن أن تحدد بأقواله ومعتقداته، وأن أصعب شيء قد يواجه الإنسان ـ أي إنسان ـ هو التوفيق بين ما يهدف إليه وما يقوله وما يصنعه، وبمعنى أصح (أن يقف عند كلمته) نعم إن الوقوف عند الكلمة، قد حملت الإنسان الشجاع، الكثير الكثير من التضحيات

الجسيمة، ولكنه مع ذلك أعطى بنفس سخية لا تبخل، ونفس أبية لا تجزع، ونفس عزيزة لا تتطامن.. وجنى فوق ذلك كله راحة الضمير والبال. وقد علمنا التاريخ أنه ما من إنسان وقف عند أقواله وقوف المؤمن الصادق، والمحارب المستميت، إلا وتفتحت أمامه أبواب النصر باباً بعد آخر.. ومثل هذا الرجل إنما يغزو قلوب الناس قبل أراضيهم، ويكسب حبهم قبل أموالهم، ويضرب الأمثال الشريفة على معنى الوفاء بالعهد.

وأمامنا الآن مثال رائع جسد واقع الوفاء بالقول أبلغ تجسيد.

إن قصة (ساجر الرفدي) التي تعطينا أبعادها وملامحها قصيدته المشهورة التي تقول:

وَامهْـــرِتـــي وَانَـــا عَلَيْهـــا شفَـــاوِي
إنْ قِبْـل يـاهْـل الخيْـل تطْـري عَليَّـه
مَـــانـــي معَـــوِّدْهـــا لِكَسْـــب الشَّـــوَاوي
ولا رَدَدَت فــرقِ البِقَــر بــالــزَّوِيَّــه
أبــــرّهـــا لمكَسّـــرِيْـــن الْعَـــزَاوي
وَالْحِـــقِ عَلَيْهـــا كِـــلْ رَاعـــي رَدِيَّـــه
يُـــوْم المَـــلاقـــى تِعْتَـــرِض بـــالاهَـــاوي
إلَـــى تَنَـــادَوْ بِيْنهُـــم بـــالحَمِيَّـــه
وَانـــا عَلَـــى جـــذْع المِـــدَرَّع رَهـــاوِي
وِيَـــامَـــا جِـــدَعْـــت الشَّيْـــخ والاحِليّـــه

وَيَــامــا تَحَمَّلْنــا كِبــار البَــلاوِي

وِنِنْطَــخ وِجِيْـه اهْــل العِــزُوم القِــوِيَّــه

وَانــا لَعضْمِيْــن الشَّــوارِب فِــدَاوي

حَمَّــايــة السَّــاقــاتِ فــي كِــلّ هَيَّــه

ولِيَـا اجْتِمِــع حِــسّ الغِنــا والنعــاوي

يــاطَــرَادْ هَــاكَ اليــوْم عِيْــدٍ عليّــه

وقدر لساجر الرفدي أن يغزو قبائل الشويان الغزالات.. وقد تغلب عليهم وغنم منهم من الأغنام ما يزيد على عشرة آلاف رأس.. وعندما أخذ يوزع الغنائم على قومه، أتى إليه رجل من الشويان المهزومين، وقال لساجر: ألست القائل لهذا البيت:

مَــانــي مِعَــوِّدْهــا لِكَسْــب الشَّــواوِي

ولاَ رَدَدَت فــرْقِ الْبِقَــر بــالــزَّويــه

ففوجىء ساجر وبهت، وأجابه بنعم أنا القائل لهذا البيت.. فرد عليه الشاوي، إذن لماذا تأخذنا ولم تف بكلامك.

فهب ساجر قائماً ونادى في قومه أن تخلوا عن المكاسب جميعها ويجب أن تعاد إلى أهلها بدون نقصان ـ ولا شك بأن هذا الفعل إنما يدل على ما يتمتع به ساجر الرفدي من احترامه لنفسه قبل أي شيء آخر.. ومعنى أن تحترم نفسك، أي أن تصونها وترفعها ولا تجعلها مستنقعاً مليئاً بالمتناقضات والأكاذيب.

وحقًا لقد وفَّى ساجر و(وقف عند كلمته) بكل شجاعة وتضحية.. واستحق بذلك أن يكون رجلاً وبطلاً يصنع التاريخ.

شالح بن هَذلان

شالح بن هدلان ـ نسبه ـ مكانته في قومه ـ فروسيته ـ أخوه الفديع ـ شجاعته ـ الإلفة بينه وبين أخيه ـ تبادل الشعر بينهما ـ قتل الفديع وحزن شالح عليه ـ أبناء شالح ـ قتل عبُيد بن حُميد في ثأر الفديع ـ الشعر بين شالح والجِمْدَة حول ذلك ـ بروز ذيب بن شالح وفروسيته النادرة ـ شعره ـ لطفه مع أبيه ـ كسبه لجواد نادر ـ أبوه يبكيه حيًا ـ القبائل تتحاشى الإغارة على قومه خوفاً منه ـ إغارة الملك عبدالعزيز على ظعينة والده ـ دفاعه المستميت دونها ـ شعر والده في ذلك ـ قتل ذيب ـ حزن والده عليه وشعره في رثائه ـ كيف قتل؟ ـ الهُوَيْدي وطيره وشعر شالح فيه.. إلخ.. إلخ.



شالح بن هـــدلان

هو الفارس شالح بن حطاب بن هدلان، نشأ شالح بين أفراد قبيلة الخنافرة التي هي فخذ من قبيلة آل محمد القحطانية، وعاش إلى سنة ١٣٤٠هـ تقريباً، وكان مثاليًا بشجاعته، وأمانته، وصدقه، وحسن أخلاقه، وكرمه ووفائه.. وكان يحكم لحل المشاكل سواء كانت على مستوى قبلي، أو فردي.. وكان محبوباً عند قبائل قحطان وعند القبائل الأخرى.

نشأ شالح بين أفراد قبيلة الخنافرة، وكان له أخ يسمى الفديع كان أصغر من أخيه شالح كثيراً، وكان شقيقاً له، وكان مثاليًا بشجاعته وأخلاقه، ويماثل أخاه شالحاً في كل شيء: إلا أنه كان مغامراً بفروسيته إلى أبعد الحدود، وكان وفيًا مع أخيه شالح، وخادماً أميناً له، يرى أن تفانيه في خدمة أخيه الأكبر فضيلة من الفضائل لا يعادلها شيء، وبعد أن كملت رجولته، تحمل كل مشاق الحياة عن أخيه شالح، وأصبح هو حامي ظعينتهم، وكانت إبلهم لا تذهب للمرعى إلا وهو معها مدججاً بالسلاح، وعلى صهوة جواده، وكان حصناً حصيناً لها، ولإبل الحي، ولا يخطر ببال أي عدو أن يغير عليها، مادام الفديع عندها، وإذا تجرأ أحد من الأعداء وأغار عليها، فلابد أن يرجع

مدحوراً، وذات يوم مع بزوغ الشمس، وأخوه شالح جالس حول ناره، يحتسي القهوة. . التفت إلى الإبل وهي في مباركها قرب البيت، رآها تعتب في عقلها، ولم ير الفديع، فنادى شالح قائلاً: الإبل تعتب بعقلها والفديع غائب عنها أين هو؟ فقيل له: إن زوجتك تنظف رأسه، أي تغسله وترجله داخل البيت، فقام غاضباً ورأى زوجته تغسل رأس أخيه كعادتها، فقال: الإبل حائرة في مباركها، ولم تذهب للمرعى، وأنت عند النساء تغسل رأسك، فأخذ من التراب ووضعه على رأس أخيه، فقام الأخ البار خجلاً من أخيه، وأخذ يمسح التراب عن رأسه، وهو يردد كلمته العفو يا أخي، ثم طلب من زوجة أخيه أن تسرج جواده، وتحضر سلاحه، وذهب للإبل مسرعاً، وأخذ يطلق عقلها. . أما شالح فقد رجع إلى قهوته، وجلس من حولها، وعندما أطلق الفديع عقل الإبل رجع، وأخذ سلاحه ولبس كل عدته، ثم أتى إلى أخيه، يمشي بحذر، وبخفة متناهية، من حيث لا يشعر به، فقبل رأسه، وقبل ما بين عينيه، وقال في أمان الله يا أخي. وركب جواده، واتبع إبله، التي لا يطمئن شالح إلا بوجود أخيه معها، وعندما رجع الفديع بعد غروب الشمس أتى إلى أخيه شالح وسلم عليه، وقبل ما بين عينيه، وجلس في مكان أخيه عند القهوة، وأخذ يصب لأخيه شالح، ويقص عليه أخبار يومه الفائت، ويداعبه بالنكت المضحكة، ويحاول أن يثبت لأخيه شالح أنه لا يحمل في نفسه عليه أي عتب، وأنه لم يغتظ من حثو التراب على رأسه، وكل ما يهمه هو أن يكون أخوه راضياً عنه، وكان الفديع على عادته آتياً بعدد من الغزلان، اصطادها بالفلا فأخذ يقدم لأخيه من طيب لحمها، وعندما أراد شالح أن يأوي إلى مضجعه، همست زوجته بأذن

الفديع، وقالت: إن الماء الذي عندنا نفد، ولابد أن أخاك عندما ينتبه من نومه سيطلب ماء للقهوة، وسأخبره أنه لا يوجد عندنا ماء، فقال الفديع: الحذر أن يعلم أخي بذلك، طلب منها أن تذهب لأحد الجمال، وتنيخه بعيداً عن الإبل، وتضع رحله عليه، وأن تضع عليه مزادتين وركب الفديع جواده، واستاق الجمل أمامه، وراح يبحث عن منهل يستقي منه الماء، وعند طلوع الفجر الأول، وقبل أن يستيقظ أخوه عاد محملاً الجمل بالماء، وحط عنه الرحل وسكب من الماء في (دلال)[١] أخيه لتكون جاهزة لإعداد القهوة، عندما يستيقظ، ونام هو قليلاً إلى قبل طلوع الشمس، وقام كعادته وصبح أخاه بالخير، وانطلق بإبله كعادته للفلا، وبعد ذلك أسرت امرأة شالح لزوجها بما فعله الفديع، وعندما عاد الفديع بعد غروب الشمس، وسلم على أخيه، وجلس عنده، لاحظ الفديع أن أخاه شالحاً كثير التفكير، ومشدوه البال، فسأله قائلاً: ما بك هذه الليلة، عسى أن لا تشكو من ألم؟ أخبرني لأن ما رأيته من تفكيرك أساءني؟ فقال: يا أخي ليس بي شيء إلا أنني أفكر في حالتك لأنني أتعبتك في هذه الدنيا، وأنت وحدك متحمل مشاق هذه الحياة، وكل أيامك وأنت على صهوة جوادك، وأنا أعرف أن هذا شيء يضنني. وكم أود أن يكون أبنائي كبارا ليساعدوك، ويخدموك، ولكنك أنت متكفل بهذه العائلة الكبيرة. فقال الفديع: أنا سعيد بأن أقوم بخدمتك، وكل ما أوده بهذه الحياة أن أكون وفيًا معك،

---

(١) دلال: جمع دلّة، وهيّ أباريق تصنع من الصفر أو النحاس، ويخص بها ما يستعمل للقهوة.

وأن أحوز رضاءك، وأن أخدمك كما يجب عليّ، وأن لا يحصل مني أي شيء يكون سبباً في إزعاجك. وأنشد:

يَـابُـو ذعَـارَ اكْفِيْـكْ لَـوْنـي[1] لِحَـالـي
واصْبِـر عَلـى الـدّنْيَـا وبَـاقِـي تَعَبْهَـا
وانْ غَـمْ اخُـوه مْعَشّـرِيْـن العَيَـالـي
أنَـا لِخُـويَـهْ سِعْـد عِيْنِـه عَجَبْهَـا
وانْ جَـنْ مِثْـلِ مْخَـزّمـاتَ الْجِمَـالـي
كَـمْ سَـابِـقٍ تقْـزِي وَانـا مِـنْ سبَبْهـا
كَـمْ خَفْـرةٍ قـدْ حَـرّمَـتْ لِلـدّلاَلـي
لَبْسَـتْ سُـوادٍ عِقْـب لَـذّهْ طَـرَبْهـا
وانْ جِيْت لـي قَفْـرٍ مِـنَ النّشْـر خَـالـي
بفْـرَحْ بِـيَ الْحَـوّاز يُـوم اقْبِـل بْهَـا
أفْـدِيْـكَ يـا شَـالـحْ بِحَـالـي ومَـالـي
يَـا فَـارِس الفِـرْسَـان مِقْـدِمْ عَـرَبْهـا
يَـا مْتِيْـهٍ ابْلَـهْ بِـرُوْسَ المِقَـالـي
يَـاللّـي حمَيْـت خـدُوْدَهَـا يَـا جَنَبْهَـا

قال هذه الأبيات لأخيه فتأثر شالح بها، وأجابه بهذه القصيدة:

لا وَاخَـوٍ لـيْ عِقْـبْ فَـرْقَـاهْ بَـاضِيْـغْ
كِنّـي بِمَـا يَجْـري عَلَـى الْعُمْـرْ دَارِي

(١) لوني: أي لو أنني وحدي.



القديع بن هدلان

اخُوْي يَا بِشْر الْبِنيّ الْمِفَارِيْع
ومْطلِق لِسانَ الّي باهَلْها تماري
مَا قَط يُومٍ شِدْ بِيْن الفَرَارِيْع
يَاكُوْدْ مَا بيّنَ الكِمِي والمِشَارِي
لِيَّـهْ حصاني مَرَّةٍ قَالَ مَا طِيْع
كُودْ انّي اصْبِر يُوْمْ تَجْري الْجُوَارِي
انَا اشْهَدْ انّه لِي سِرِيْع المَنَافِيْع
حَبْدِ مِلِيْك لِي وَلاَنِي بِشَارِي
تشْهَدْ عَلِيْهْ مِناثلاتَ المَصَارِيْع
واعدَاه مِنْ كِفَّهْ تَشُوف العَزَارِي
بِمْنَاه تنثر مِنْ دِماهُم قَراطِيْع
وعُوْقَ العَدِيْم اللُّي بِدَمّهْ بِشارِي
جَدّاغ سَفْرِيْنَ الْوجِيْه المِدَارِيْع
مخَلِّي سِرُوْجَ الخَيْلْ مِنهُم عَوَارِي
الْقَلْبْ مَا يَنسى بِعِيْد المَنَاوِيْع
لِيْثٍ عَلَى صَيْد المِشَاهِيْر ضَارِي

وكأن شالحاً قد توقع بهذه القصيدة مستقبلَ أخيه الفديع، لأن الفديع كان مغامراً بقتاله، وكان أخوه شالح يخشى عليه دائماً من مغامراته؛ لأنه يراه هو كل شيء بالنسبة له، وكان يفضله على نفسه، ويفاخر به عند القبائل، وذات يوم كان شالح راحلاً بظعينته، وكان أخوه الفديع أرمد العينين، وجواده يقاد مع الظعينة، وهو في هودج، معصوبة عيناه، فأغار على ظعينتهم كوكبة من الخيل، وتبين لهم أن هذه الخيل المغيرة هي خيل الحمدة زعماء قبيلة عتيبة، الشجعان المشهورين بالفروسية، والذين يضرب المثل بشجاعتهم، فأخذ شالح وحده يدافع عن الظعينة بكل بسالة، وكان الحرب بينه وبين المغيرين سجالاً، فمرة يهزمهم، ويبعدهم عن الظعينة، ومرة يكثرون عليه، ويهزمونه إلى أن يصل إلى ظعينته، ثم تتصاعد صيحات النساء، وزغاريدهن حافزات له على القوم، فيلقى القوم بقلب أقوى من الحديد، إلى أن يبعدهم عن الظعينة، فطال القتال وهم على هذا المنوال، وقد لاحظت والدة شالح والفديع، أن شالحاً أعياه الطراد، فنزلت من هودجها وأسرجت جواد الفديع الأصفر، وأحضرت سلاحه، وقالت: انزل وهب لمساعدة أخيك، لأن القوم سيغلبونه. فقال: يا أماه أنا أذوب كمداً، وأحترق حسرة من حين سمعت غارة الخيل، ولكن كيف أرى حتى أساعد أخي؟ فقالت: أنا سأجعلك تبصر، وكان متلهفاً لأن يرى بعينيه، حتى يهب لمساعدة أخيه، وعندما أنزلته أمه من الهودج، أتت بماء وغسلت عينيه وأخذت تفتحهما بشدة، ويقال أنه عندما انفصل كل جفن عن الآخر نزل الدم والصديد معاً من عينيه، فوثب كأنه النمر، وركب جواده، وهو لا يبصر إلا قليلاً، وكانت خيل الأعداء آتية بأخيه،

فاستقبلهم الفديع المغامر غير مبال، فجندل أول فارس، ورجعت الخيل هاربة فجندل الآخر، ثم جندل الثالث، وعندما انغمس بين الخيل، رشقوه بعدد كثير من الرماح دفاعاً عن النفس، فأصاب الفديع رمح اخترق رأسه فخر قتيلاً، ولكن الأعداء استمروا بالإدبار، لأنه قد أعياهم القتال، ونزل شالح عن جواده وقلب أخاه فإذا هو ميت، وكانت نكبة موجعة لشالح وكانت لحظات ألم أحس وكأن خنجراً مزقت أحشاءه دون أن يستطيع إيقاف ألمها إلا بالدموع التي تسابقت متناثرة على وجنتيه، اللتين علاهما غبار المعركة، وبعد أن قبل أخاه القبلة الأخيرة، نظر إلى ذلك الجبين المعفر بالتراب، الذي طالما لامس الأرض من خشية الله، ونظر إلى تلك العينين اللتين طالما سهرتا عليه الليالي الطوال، ونظر إلى ساعديه اللذين طالما انطلقت منهما الرماح، لتصافح صدور الأعداء، ذائدة عنه، وعن محارمه، وأمواله.. وهكذا دارت الأفكار برأس الأمير المنكوب شالح، ثم مسح التراب عن أخيه بكف مرتعشة، وطبق جفنيه، وأمر من حوله أن يكفنوه، وكانوا في واد بنجد يسمى (خفا) وكان على جانب الوادي هضبة تسمى هضبة (خفا) فدفن الفديع على مقربة من هذه الهضبة.. وهكذا طويت صفحة من التاريخ. سجلت مثلاً رائعاً للشجاعة، والوفاء وكيف كان بر الأخوين لبعضهما، والمعاملة بينهما التي هي من شيم العرب، وإحدى مفاخرهم.



ذيب بن شالح بن هدلان

لقد رثا شالح أخاه بقطرات من دم قلبه في هذه المقطوعة:

أمْسَ الضُّحَى عَدَيْتْ رُوْسَ الطُّوِيْلاتْ
وهَيَّضْتْ في رَاسَ الْحَجَا مَاطَرا لِي
وتسَابِقَنْ دْمُوْع عِيْني غزِيْرَاتْ
وصَفَقْتْ بِالْكَفّ الْيِمِيْنَ الشِّمَالِي
وجَرَّيْتْ مِن خَافي المَعَالِيْق ونَّاتْ
والْقَلْبْ مِنْ بِيْنَ الصَّنَادِيْق جَالِي
واخوْي يَاللِّي يَمْ قَارَة (خَفَا)[1] فَاتْ
مِن عَاد مِنْ عِقْبَه بِيِسْتِرْ خَمَالِي؟!
لِيْتَه كِفَانِي سُوّ بِقْعَا وَلاَ مَاتْ
وانا كِفِيْتَه سُو قَبْرٍ هَيَالِي
وَلِيْتَه مَعِ الْحَيِّنْ رَاعِي الْجِمَالاتْ
وانَا فِداً لَه مِنْ غِبُونِ اللَّيَالِي
واخُوي يَاللِّي يَومَ الاخوَانْ فَلاَّتْ
مِنْ خَلْقِتِه مَا قَال: ذا لِك وِذَا لي
تِبكِيْه هِجْنٍ تَالِيَ اللِّيْل عَجْلاتْ
تَرْقِب وَعَدْها يُوْم غَابَ الْهِلاَلِي
وِتبكِي عَلَى شوْفَه بِنِيّ عِفيْقَاتْ
مِنْ عِقْب فقْدِه حَرّمَنْ الدّلاَل

---

(1) خفا: جبل شمالي النِّير يتركه الذاهب للحاجز يمينه.

حَوْق العَدِيْم إنْ جا نَهَارَ الْمشَارَاتْ

والخَيْلِ مِنْ حِسَّهْ يِجِيْهِنْ جِفَالِ

وكان لشالح ثلاثة من الصبية أكبرهم ذعار، وأوسطهم ذيب، وأصغرهم عبدالله، فأخذ شالح يربيهم، ويعلمهم الفروسية، وتبين له وهم في سن الطفولة، أن من بينهم صبيًا سيعوضه أخاه الفديع، لمح بعينيه معاني الفروسية، والرجولة، وكان أديباً طائعاً لأبيه، فأصبح شالح لا يحب أن يغيب عن ناظره لحظة واحدة، إلى أن برز بميدان الفروسية، وكان مثلاً للشجاعة، وكان مضرب الأمثال بين قبائل نجد، ولم يكن أخوا ذيب ذعار وعبدالله إلا فارسين معدودين من أفرس الرجال بين قبيلة قحطان، وكانا يتقدمان الغزاة إلى بلاد الأعداء، ولهم أفعال مجيدة بين قومهم، ولكن شهرة ذيب وشجاعته النادرة غطت على أخويه، وعلى غيرهم، وقبل أن يأتي دور ذيب بقي شالح يترقب الفرص بالحمدة، رؤساء قبيلة عتيبة، لأخذ ثأر أخيه الفديع، وقد أعد العدة لذلك، وبعد مرور الأيام سنحت الفرصة لشالح لأخذ الثأر من الحمدة، بعد أن تقابلوا بالميدان، وكان أحد أقارب شالح المسمى مبارك بن غنيم بن هدلان، قد تعهد بأخذ ثأر الفديع، فعمد إلى عبيد ابن الأمير تركي بن حميد، الفارس المشهور، عمد إليه في حومة الوغى فجندله، بثأر الفديع، فكبر المصاب على الحمدة بفقدان عبيد بن تركي بن حميد، وكان خسارة مؤلمة لهم، وأخذ أخوه ضيف الله بن تركي يتمثل بهذه الأبيات راثياً أخاه عبيداً، ومتوعداً قبيلة قحطان التي قتلت أخاه، ومحرضاً الأمير محمد بن هندي بن حميد على ذلك فقال:

يَــا وَنَّتــي وَنّــة كِسيْــرَ الْجِبــارَهْ
إلـى وِقَـفْ مَـا اختـال، ولْيَـاقْعَـدْ ونّ
عَليْــكَ يَــا شَبّــاب ضــوّ المَنَــارَهْ
عَليْـك تَـرْفَـاتَ الصَّبَـايَـا بِنُـوحِـنْ
مِــنْ مَــات عِقْــبِ عُبيْــدْ قِلْنــا وِدَارِه
لاَ بَــاكــي عِقْبَــه وَلاَ قَــابِــل مِــنْ
تِبكيْــك صِفــرِ الْبِسُــوْهــا غَيَــارَهْ
تِبكِيْــكَ يُــوم انْ السَّبَــايَــا يِعَنَّــنْ
وتبكِيْـك وُضْـحِ[1] رَبَّعَـتْ بِـالـزُّبَـارَهْ
البَـا قِـزَنْ مِـنْ خَـايـع مَـا يِـرَدَنْ
الْخَيْـلْ عِقْـب عُبَيْـدْ مَـا بَـهْ نِمَـارَهْ
وِشْ عَاد لَو رَاحَنْ وشْ عَاد لَوْ جَن
يَـا شَيْـخْ مـا تَـامِـرْ عَلَيْهُـمْ بِغَـارَهْ
كُـودَ الْجُـرُوحَ اللِّـيْ عَلَـى القلـب يَبْرَنّ
يقْطَــعْ صِبِــيّ مَــا بِنَــادِيْ بِشَــارِهْ
إلَــى اقْبَلَــنْ ذُوْلَــي وذُوْلِيْــك قَفَّــنْ
يَـاهْـلَ الـرَّمَـكْ كِـلٌّ يَعَسِّـفْ مْهَـارِهْ
والمنْـعْ مـا نِطَـرِيـه لاهُـمْ وَلاَ جِـنْ

فأجابة شالح بن هدلان بقوله:

---

(١) جمع وَضحاء: من الإبل اللون المعروف.

ضِيْـفَ الله اشْـرَبْ مَـا شِـرِبْنَـا مَـرَارَهْ
إصْبِـر وِكِنَّـكْ شَـالِـحٍ يُـوم حَـزَّنْ
رَاحَ الْفَـدِيْـعَ اللُّـي عَلَيْنَـا خَسَـارَهْ
واخـذْ قِضَـاهْ عُبِيْـدْ حَـامِـي ثِقْلِهِـنْ
بِمْنَـى رَمَـتْ بِـهِ مَـا تِجِيْهَـا الْجْبَـارَهْ
اللُّـي رَمَـتْ بِعْبِيْـد فـي مِعْتَلِجِهِـنْ
مِـنْ نسْـل ابُـوي وضَـارِي للشَّطَـارَهْ
بِصِيْـبْ رُمْحـه يُـومَ الازْمَـاخْ بِخْطِـنْ
وعْبِيْـدْ خِلِلُّـي طَـايِـحٍ بـالمَعَـارَهْ
عَلَيْـه عِكْفَـان المخَـالِـب بِحُـومَـنْ
وَعـادَاتِنـا بـالصَّيْـد نَـاخِـذْ خِيَـارَهْ
ثَـلاثَـةَ الجِـذْعَـان غَصْبِـن بِـلا مَـنْ
يَـا قـاطِـع الْحِشـى تَـرَى الْعِلْـم شَـارَهْ
لابِـدْ دُوْرَاتِ اللَّيَـالـي يِـدُورَنْ
خَـرِيْبِنَـا كِنَّـهْ رِقِيْـدَ الْخَبَـارَه
خَطْـرٍ عَلِيْـه الْيَـا تُـوَقَّـظ مِـنْ الْجِـنْ
مـانـي بِقَصَّـادٍ بِلِيَّـا نِمَـارَه
أجْـدَعْ نِطِيْحـي بِـالسَّهَـلْ، وإنْ تَـلاقَـنْ
مَـنْ حَـلّ دَارَ النَّـاس حَلُّـوا دِيَـارَه
لابِـدّ مـا تِسْكَـنْ دِيَـارِه وِيَغْبَـنْ
ومِـنْ شِـقّ سِتْـرَ النَّـاس شَقُّـوا سِتَـارَه
ومِنْ ضَحْكِ بِالزَّمَان يضْحَك بلاَ سِنْ

وانْ كـان ضِيْـفَ الله يِعَسِّـف مِهـارِه

فمْهَـارِنـا مِـنْ عَضـرِ نُـوْح بِطِيعِـنْ

تِـدْنَـا لِصِبيّـانٍ سُـواةِ[1] النَّمَـارَه

شِهْـبٍ لِمـاضِيْـنَ الفَعَـايِـلْ يِعَنَّـنْ

وهنا نوه شالح بن هدلان عن مقتل عبيد بن تركي بن حميد، وأنه أخذ ثأر الفديع منه، وكذلك أشار إلى مقتل الثلاثة. الجذعان، أي الثلاثة الشبان، وهم: سلطان بن محمد بن هندي، ونائف بن محمد بن هندي، وابن عم لهم، وقد قتل الجميع قحطان بثأر الفديع.

نرجع إلى الصبي ذيب بن شالح بن هدلان، فعندما بلغ سن الرابعة عشرة، وكان بهذا السن قد تدرب على ركوب الخيل، وقد رباه أبوه أحسن تربية، وذات يوم اجتمع مشائخ الحي من أقارب شالح، وهم أبناء عمه السفارين، اجتمعوا لرأي، ولم يدعوا شالحاً لحضوره، وفي آخر اجتماعهم أرسلوا إليه رسولاً يدعونه، وكان عنده علم باجتماعهم، فقال لرسولهم: أخبرهم أنني لن أحضر اجتماعهم، لأنهم اجتمعوا قبل أن يخبروني، وأنا سأرحل حالاً إلى قبيلة الدواسر، وقد رحل فعلاً وحاولوا أن يرضوه، وأن يعدل عن رأيه، ولكنه أصر على الرحيل وأرسل لهم هذه القصيدة:

أنَـا لِيَـا كَثْـرتْ لَشَـاوِيْـر مَـا شِيْـز

وَحَلَفْـتْ مَـاتـي[2] بـارِزٍ مـا دَعَـانِـي

(١) سواة: أمثال.

(٢) ماتي: ما أجيء.

وانَـا صِـدْيقِـه فـي لِيـالِـي الْمَعَـاسِيْـر
والأ الـرَّخَـا كِـلٌ بِيِـد بمْكَـانِـي
وشُـوزي لِيـا هَجّـت تُـوالـي المِظَـاهِيْـر
شَلْقَـا عَلِيْهـا رَابِـب الـدّمّ قَـانِـي
شَلْقَـا مِعَـوّذهـا لِجَـذع الْمِشَـاهِيْـر
يـوم السّبـايَـا كِنَّهـا الـدّيْـدَحـانِـي
مَـانـي بِخِبْـلٍ مَـا يَعْـرَفَ المَعَـايِيْـر
قِـدْني عَلَـى قَطْـع الفِـرَج مِـرْجَمَـانِـي
إنْ سَنَّـدُوا حَـدّرْت يَـمّ الْجُـوافِيْـر
وانْ حَـدّروا سَنَّـدَتْ لِمَـرْيِّعَـانـي
نَـاخِـذْ بْخِيْـرانَ الْمِـرْنِيـخْ مِسَـايِيْـر
ومَـا دَبّـر الْمُـولَـى عَلـى الْعَبْـد كَـانـي

فرحل إلى قبيلة الدواسر، وعندما وصل إليهم أكرموه، وأعزوه، فصادف ذات يوم وهو عندهم أن أغار عليهم فرسان من قبيلة عتيبة آخر النهار، وكان ذيب بن شالح قد بلغ من العمر أربعة عشر عاماً، ولكن والده قد أعد له جواداً من الخيل، وقد دربه على فنون القتال، لأنه يعلق على ذيب آمالاً جساماً، وعندما علم الدواسر بغارة الفرسان على إبلهم، ركبوا خيولهم وكروا على القوم المغيرين وكان جارهم الصغير ذيب معهم، وعندما تجاولوا على الخيل عند الإبل، منع الدواسر إبلهم، وراحوا يطاردون المغيرين من قبيلة عتيبة، وكانت الشمس قد غربت، فدفع ذيب جواده بسرعة البرق على فارس من قبيلة عتيبة كان

في مؤخرة الفرسان، يدافع عن جماعته، فلكزه برمحه الصغير، فرماه عن جواده، وأخذ الجواد غنيمة، وكانت صفراء اللون، أي بيضاء، وكانت غريبة الشكل، لا يعادلها من الخيل شيء، فرجع فرسان الدواسر منتصرين، بعد أن هزموا القوم، وأخذوا منهم عدداً من الخيل، ورجع ذيب مع جيرانه منتصراً، وغانماً أجمل جواد في نجد، وكانت هذه أول وقعة يحضرها ذيب، فأسرع أحد فرسان الدواسر، ليبشر جارهم شالحاً أن ابنه بخير، وأنه غنم جواداً لا يعادله جواد في نجد، ولما وصل الفارس إلى شالح وجده واقفاً أمام بيته، يترقب أخبار ابنه الغالي، الذي يعلق عليه آمالاً كبيرة، فبشر الدوسري جاره بما فعله ابنه ذيب، وأثنى على ذيب بما هو أهل له، فتهلل وجه شالح بشراً، ولما وصل ابنه ذيب ترجل عن الجواد الذي غنمه من القوم، وجاء يمشي نحو أبيه بخطوات ثابتة، كأنه النمر، فسلم عليه، وقبل جبينه، وسلم له عنان الجواد الغنيمة فشكره أبوه، وقال هذا ظني فيك يا ذيب، وعندما رأى شالح الجواد عرف أن له شأناً عظيماً. وفي الصباح أعاد النظر في الجواد، فإذا هي التي يضرب بها المثل عند قبيلة عتيبة، وقبائل نجد، وكانت تسمى «العزبة» وعندما علم بها الأمير محمد بن سعود بن فيصل، وعلم بها أمير حائل محمد بن رشيد، أرسل كل منهما رسله يطلبون الجواد من شالح، فاعتذر إلى الرسل، وقال لهم بصريح العبارة: إن هذه الفرس أخذها ذيب من الأعداء، وهي لا تصلح إلا له، وأنشد:

يَـا سَـابِقِـي كَثْـرَتْ عُلُـوم الْعَـرَبْ فِيْـكْ

علُـوْمَ الْملُـوكِ مِـنْ اوَّلٍ ثُـمْ تَـالـيْ

لاَ رِيْـبْ لاَ بَـابِـعْ وَلانـي بِمِهْـدِيْـكْ

وَانـا اللِّـي اسْتَـاهِـل هَـدُوْ كـلٍّ غَـالِـيْ

وانْتِي مِـن الثَّلْـثَ الْمِحَـرَّمْ وَلاَ اعْطِيْكْ

وانْتـي بِهـا الـدّنْيَـا شِـرِيْـدَة؛ حَـلاَلِـيْ

يَـامَـا حَلَـى خَطْـوَى القـلاعَـة تْبـارِيْـكْ

أفْـرِحْ بِهـا قَلْـبَ الصَّـدِيْـقَ الْمُـوالِـيْ

ويَـامَـا حَلَـى زِيْـن النَّـدا فِيْ مُـواطِيْكْ

فـي عَثْعَـثٍ تَـوَّه مِـنِ الـوَسْـمِ سَـالِـيْ

ويَـا حُلْـوِ شمْشُـولٍ مـن البَـدْو، يِتْلِيْكْ

بِقفْـر بـه الْجـازِي تـرَبَّـي الغَـزَالِـيْ

الخَيْـرْ كِلِّـه ثَـابِـتٍ فـي نْـوَاصِيْـكْ(١)

واذْلــهْ لِيّــا راعيْــتْ زُوْلِــكِ قبَــالِــيْ

بِــالضَّيْـق لِـوْجِيْـه المِـدَارِيْـع تثْنِيْـكْ

وعَجْلَــهْ وريّضْــة خــلافِ التَّــوالِــيْ

حَقَّـكْ عَلَّـي انِّـي مِـنَ البِـرّ أبـدّيْـكْ

وَعَلَـى بِـدَنْـك الْجُـوخَ احِطَّـه جْـلالِـيْ

أبِيْـه عَــنْ بــردِ المِشَــاتِـي يِـدَفِّيْـكْ

وبِـالقِيْـظَ احِطَّـكْ فـي نِعِيْـمَ الظَّـلاَلِـي

يَـا نَـافْـدا اللِّـي حَصّلِـكْ مِـنْ مِجَـانِيْكْ

جَـابَـك عُقـابَ الخَيْـل ذيـب العِيَـالـي

---

(١) من الحديث الشريف: «الخيل معقود في نواصيها الخير».

جابك صبيّ الجُوْد مِنْ كَفٌ رَاعِيْكْ
فـي سَـاعَـةٍ تِـذْهَـلْ عِقُـول الـرِّجَـالِـيْ
يَـا سَـابِقِـي نِبِـيْ نِبَعِّـد مِشَـاحِيْـكْ
والبعْـد سَلْـمٍ مْكَـرَّمِيْـنَ السّبـالِـيْ
يَـمٌ الجِنُـوْب وِذيـرِتـهِ نِنْتِحـي فِيْـكْ
لِـرَبْـعٍ مِـنَ الاوْنَـاس قَفْـرٍ وخَـالِـيْ

وبعد أن قال هذه القصيدة رحل إلى الربع الخالي. كما ذكر في قصيدته، وابتعد عن الأمير ابن سعود، وعن محمد بن رشيد، لئلا يأخذا جواد ابنه قسراً، وعاد بعد أن اطمأن على جواد ابنه، وبهذه الفترة بدأ يلمع نجم ذيب الخيل، ابن شالح. فأخذت الأنظار تتجه إلى الفارس الشاب، وزادت أخبار شجاعته انتشاراً، وأخذ الناس يتحدثون عنه، وكان ذيب يسأل أباه ورجال الحي من قبيلة الخنافرة، يسألهم دائماً ويقول: أين مصدر الخطر، الذي تتوقعونه؟ ومن أي جهة يمكن للعدو أن يفاجئنا منها؟ فيقولون له: هو من ناحية قبيلة عتيبة، ثم يشيرون إلى الناحية الشمالية، حيث تكون قبيلة عتيبة شمالاً، عن الجهات التي تقطنها قبيلة قحطان، فيقول ذيب لراعي إبله: اذهب بإبلي إلى الشمال أي إلى ناحية الخطر الذي يمكن أن يكون من قبيلة عتيبة، ويتفوه بفخر واعتزاز، قائلاً: سأحمي إبلي وإبل قبيلة الخنافرة من أي غاز كائناً من كان، سواء من قبيلة عتيبة، أو من غيرها.. فتذهب إبله وترجع سالمة، ولا يمكن لأحد أن يتجرأ عليها، مادام ذيب الفارس موجوداً عندها، ومما قيل عن شالح والد ذيب أنه إذا جلس في مجلسه

وحوله رجال القبيلة، ينادي ابنه ذيبا فيأتيه الابن البار المطيع مسرعاً، ثم يقبله الأب الطيب، كأنه طفل صغير، وبعدما يقبله ينفجر باكياً، وقد لامه قومه مراراً قائلين له: كيف تقبل ذيباً بين الرجال كأنه طفل ثم تبكي؟ فيجيبهم: دعوني أقبل ذيباً، وأبكي عليه، وأودعه كل يوم، لأنني أتخيل أن الدنيا ستحرمني من ذيب، لأن من كان يخوض غمار الحروب الطاحنة، ويندفع مثل اندفاع ذيب للمعركة، لا يمكن أن يكون من أصحاب الأعمار الطويلة ولابد أن تختطفه يد المنون، ثم قال قصيدته المشهورة:

مَا ذِكِرْ بِهْ حَيٍّ بكَى حَيّ يَا ذِيْب
والِيُوم أنَا بَابْكِيْك لَو كِنْت حَيَّا
ويَاذِيْبْ يَبْكُونَكَ هَلِ الفِطَّر الشِّيْب
إنْ لأيَعَتْهُمْ مِثْل خَيْل الْمَحَيَّا
وتْبكيْك قِطْعَانٍ عَلَيْهَا الْكُوَالِيْب
وشَيَّالْ حِمْلٍ اللِّي يَبُون الكِفَيَّا
وتْبكيْك وضْحٍ عَلَّقُوهَا دِبَادِيْب
إنْ رِدّدَتْ مِنْ بِمَّةَ الْخُوفْ عيَّا
ويبكِيْك من صَكَّتْ عَلِيه المَغَالِيْب
إنْ صَاح باعلَى الصَّوْت يَاهْلِ الْحِمْيَا!
تَنْزِلْ بِكَ الحَزْمَ الْمِطَرَّفْ لَيَاهِيْب
إنْ رَدّدُوهِن نَاقلِيْن العِصِيَّا
أنَا اشْهَدْ إنَّك بيننا مَنْقَعَ الطِّيْب
والطِّيْبْ عَشْرٍ مَطْلِبهْ مَا تَهَيَّا

ويلاحظ القارىء بيتاً من قصيدة أبيه حيث يقول:

تِبكِيْـك وِضْـحٍ علَّقُـوْهـا دِبَـادِيْـب
إنْ رِدَّدَت عَـنْ يَمَّـةِ الخَـوف عَيَّـا

فالواضح هي إبل ذيب بن هدلان، ولونها أبيض ويسمونها الوضح، أما الدباديب فهي شيء من الزينة يضعونه على سنام كل حائل من الإبل، لقد زادته قصيدة أبيه شهرة في نجد، وسارت بها وبأشعاره الأخرى الركبان، وبعد أن استفاض ذكر ذيب في نجد، أخذ الغزاة يتحاشون الغارة على قبيلة الخنافرة، خوفاً من ذيب حتى أن الأمير محمد بن هندي بن حميد قال لفرسان قبيلة عتيبة: أنا أوصيكم بأنكم إذا أغرتم على إبل العدو وسمعتم عندها من يعتزي بقوله: خيال البلها وأنا ابن دراج، فلا تطمعوا بالإبل، انجوا بأنفسكم، لأن هذه هي نخوة قبيلة الخنافرة من قحطان، التي هي قبيلة ذيب بن هدلان، وهذا دليل واضح بأن ذيباً حامٍ لقبيلته، مثل ما كان عنترة العبسي حامياً لقبيلة بني عبس.

ويقال أن الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ أغارت فرسانه على شالح بن هدلان، ولم يعرف أن هذه إبل شالح، وابنه ذيب، وكان فرسان الملك عبدالعزيز يعدون بالمئات، أغارت هذه الفرسان على ظعينة شالح وابنه ولم يكن حاضراً من القبيلة سوى ذيب ووالده وأخوته، فأخذ ذيب يصد الخيل ببسالة متناهية، بل وشجاعة فذة، وقد أغارت عليه الخيل قبل بزوغ الشمس، وأخذ ذيب يدافع عن ظعن أبيه

وإبله.. إلى ما بعد صلاة العصر، وهزم الخيل، بعد أن قتل الأمير فهد بن جلوي، ابن عم الملك عبدالعزيز، الشجاع المعروف، والأمير فهد بن جلوي هو صاحب (الشلفا) التي حربتها لازالت في باب قصر عجلان المسمى بالمصمك بمدينة الرياض، في اليوم الذي هاجم فيه الملك عبدالعزيز قوة ابن رشيد التي بالقصر المذكور وأيضاً رمى ذيب بالأمير تركي بن عبدالله آل سعود ابن عم الملك عبدالعزيز، رمى به على الأرض، وجرحه بجنبه، وجندل معه تسعة من الفرسان، وكان ذيب في أوج المعركة، يأمر رعيان إبله بأن لا يصلفوا بهجيجهم لئلا يتأثر أبوه، وكان أبوه طاعناً في السن.

تخلص ذيب من فرسان الملك عبدالعزيز بفروسية لا يضاهيها أية فروسية، فمن الذي يستطيع أن يحمي نفسه من فرسان الملك عبدالعزيز منفرداً حمى ظعينة أبيه بقوة ساعده، وبضرباته الهائلة، ولا شك أن هذه المعجزة تجلت بصحراء نجد، سجلها شاب من قبيلة قحطان، القبيلة العريقة: لقد نشأ هذا الشاب وترعرع بصحراء نجد القاسية، وسجل هذه المفخرة وعمره لا يتجاوز الثانية والعشرين سنة، على أول طرة شاربه: لا شك أنه ينطبق على هذا الشاب بيت عنترة العبسي حيث يقول:

خُلِقْتُ مِنَ الحَدِيْدِ أشَدَّ قَلْباً
وقَدْ بَلِيَ الحَدِيْدُ وَمَا بَلِيْتُ

وعندما رجعت خيول الملك عبدالعزيز التي أغارت بدون علمه، وأخبره رجالها أنهم رجعوا تحت ضربات ذيب الهائلة، تأسف الملك عبدالعزيز وقال: لو عرفت أن الظعينة هي ظعينة شالح بن هدلان،

لأمرتكم بالرجوع عنها؛ لأنه شخص طيب، ولا أحب أن أفاجئه هو وأبناؤه عند محارمهم، وعند إبلهم، وأرسل إلى شالح كتاباً يقول فيه: إنني قد عفوت عنه، وله الأمان، وعليه أن يرجع بالسمع والطاعة، فرجع شالح بعد أن أمنه الملك عبدالعزيز وحماه، وحذر أقاربه من آل سعود بأن لا يفكروا بأخذ الثأر من ذيب بن شالح، وسمح لذيب أن يأتي ويسلم عليه، وفعلاً حماه وأكرمه، ولم يمس بسوء، وقال الملك عبدالعزيز: إنني كنت أود أن أرى هذا الشاب العجيب، ولا شك أنه دافع عن والده، وعن محارمه وإبله، وكان مظلوماً: هذه عبقرية الملك عبدالعزيز، لقد عفا عن ذيب قاتل أبناء عمه، وهازم فرسانه، نعم عفا عنه، وقال: إنه مظلوم، مظلوم، لأنه لم يبدر منه أي ذنب يستحق التأديب عليه: إن الملك عبدالعزيز كان منصفاً، فهو يقول الحق ولو كان على نفسه، ويعترف بالفضيلة ويسعى إليها، لاشك أن عبدالعزيز عظيم، ويعفو عن العظائم، لقد ضرب مثلاً رائعاً للعفو، ولاشك أن ما قاله أبو الطيب المتنبي ينطبق على الملك عبدالعزيز:

عَلَى قَدْرِ أهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمِ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُهَا
وتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيْمِ الْعَظَائِمُ

وقد أكد لي بعض الحاضرين أن الملك عندما أغارت خيله على شالح وأولاده، ما كان عنده علم بهم، بل يظن أنهم من الأعداء الآخرين.

وعندما انتهت المعركة بين ذيب وفرسان الملك عبدالعزيز، أناخ ذيب ظعينة أبيه، وقبله بين عينيه، وهنأه بالنصر، وقال له الوالد الطيب: هذا بمشيئة الله ثم بساعدك ياذيب، بارك الله فيك، وأسأل الله أن لا يفجعني بك، وأخذ شالح ينشد أبياتاً قائلاً: إنك يا عبدالعزيز أفرحت علينا أعداءنا، قاصداً قبيلة عتيبة، لأنه يشعر أنهم هم أعداؤه، وأعداء قبيلة قحطان؛ لأن الحروب كانت بينهم مستمرة آنذاك، والأبيات هي:

يَـا شِيْـخْ فَـرَّحْتُـو عَلَيْنَـا الْعِـدَاةِ
اللِّـي بِـذِمَّـهْ حِكْمِكُـم مَـا يِـدَارُوْن
غِـرْتُـوا عَلِيْنَـا الفَجْـر قَبْـل الصَّـلاَةِ
وِحِنَّـا عَـدَدْنَـا خَمْسَـةٍ أو بَعَـدْ دُوْن
مِـنْ صِلْـبْ ابُـوي وبـاللُّـوازِم شِفـاةِ
مَـا هُـمْ فِـرِيـْقْ هَـدَيْهِـدٍ يُـوم يَـاتُـوْن
يَـا نَـافـدا اللِّـي مَـا يِضيِّـعِ وِصـاتـي
مـا يْسنِـد الأَ عِقْـبْ طَـاعِـنْ وَمَطْعُـونْ
شُـوٌ عَلَـى رَكَّـابَـةِ المِكْـرمَـات
وبِظْهُـورِهِـن يِـزوي شِبَـا كِـلْ مَسْنُـون
وِلِكِـدْ مَـلاَكِيْـد الْعَـدِيْـم الـزِّنَـاةِ
وِيَـاوَيْلكـم يَللِّـي بِـوَجْهِـهِ تِقِيْـقُـوْن!!
خِلِّـيْ عَشَـا للْجـوّعِ الْحَـايِمَـاتِ
مِنْ فِعْلِ ذِيْب اهْلَ الرَّمك عَنْه يِقفُون

وِيَـا شِيْـخْ لاَ تَسْمَـعْ كَـلاَمَ الْعِـدَاة
أَسْفَـه كـلام الْمِبْغِضَـة لَـو يقُـوْلُـون
أَطْلُـبْ لِحُكْمِـك بِـالسَّعَـدْ وَالثَّبَـات
بِجَـاه مَعْبُـودٍ لِبيتِـه يِحِجُّـوْن
لَعَـلْ مَـا يِكَنِّـكَ النَّـايحَـاتِ
يَاللِّي عَلَى عَورَات أهلْ نَجْدْ مَامُون

ولم ينس ذيب الابن البار أباه، فعندما حط رحالهم بعد المعركة، عمد إلى إبله، وعقر حائلاً منها، وأخذ يشوي من طيب لحمها لأبيه، ولجاره الدوسري، ويقدمه لهما، وهما يحتسيان القهوة، وكان هذا الدوسري صديقاً لشالح بن هدلان منذ عهد بعيد، وكان شالح لا يحب أن يفارقه، والصداقة بينهما قوية الروابط، وفي أثناء المعركة، عندما يكر فرسان الملك عبدالعزيز على ذيب، يصيح شالح بأعلى صوته، وينادي باسم أخيه الفديع، الذي مضى على وفاته أكثر من عشرين سنة، وينخاه، ولم يتكلم عن ذيب، وفروسيته الفذة.. وعندما انتهت المعركة، جعل الدوسري يلوم شالحاً، ويقول له كيف تنخى أخاك وهو ميت منذ عشرين سنة، ولا تنخى ابنك الذي أبلى بلاء حسناً، وهزم خيول الملك عبدالعزيز؟ فيجيبه شالح قائلاً: إن ذيب حتى الآن لم يلحق ما لحقه عمه، من الشجاعة.. لذلك فأنا سأبقى ذاكراً أخي الفديع في كل ملمة، إلى أن أقنع بشجاعة ابني ذيب، ويثبت لي أنه أكفأ من عمه، هذا ما يقوله شالح، أما أنا فأقول للقارىء، إن الذي دافع عن ظعينته وإبله، وحماها من فرسان الملك عبدالعزيز، إنه لا يعادله أي فارس من الفرسان في زمانه.

وهنا يطيب لي أن أذكر طرفاً من بر ذيب بوالده: إن بر ذيب بوالده شالح لم يسبقه أحد إليه، ولابد أن القارىء قد عرف بأن ذيباً قد ذبح لأبيه حائلاً من الإبل، ليشوي من لحمها له، ولم يثنه عن ذلك عناء المعركة، وما لحقه من الإجهاد.

والآن أحدث القارىء عن سيرته التي استقيتها من المعاصرين لذيب، كان ذيب لا ينام أبداً وأبوه لم ينم، وكان يجلب لأبيه الحليب من الإبل، وعندما يأتي به إليه ويجده نائماً يبقى واقفاً وواضعاً الإناء على يده وربما حام حول أبيه وذكر الله بصوت منخفض إلى أن يستيقظ أبوه، ثم يقبل جبينه، ويناوله الحليب، ولا يرضى أن أحداً غيره يقدم أي شيء من الغذاء، بل هو المسؤول الوحيد عن تقديم طعام أبيه، وخدمته، ويقال أنه عندما يرحل الظعن يركب مطيته، ويذهب أمام ظعينة أبيه، وعندما يصل الجهة القابلة للمنزل، يصطاد من الغزلان أو من الأرانب، أو من الحباري ثم يعده لأبيه قبل أن يصل وكذلك يعد له القهوة، وكان دائماً يحمل آنية طعام أبيه، وآنية القهوة على راحلته، وعندما يقبل الظعن يستقبل أباه ويهلي ويرحب به كأنه ضيف عزيز عليه، ويمسك بخطام راحلته وينيخها عند المحل الذي كان قد أعده لجلوسه، وعندما يترجل والده يقبل جبينه، ثم يجلسه تحت ظل شجرة قد اختارها، وإذا لم يجد شجرة يقال أنه يعمل مظلة من الأعشاب لتظل أباه من حرارة الشمس، إلى أن يعدوا بيوتهم، وعندما يجلس شالح يقدم له ابنه القهوة، وبعدها يقدم له لحم الصيد الذي اصطاده، ويقول لأبيه بهذه اللهجة تناول يا ابن هدلان، حياك الله، فيجيب شالح ابنه بارك الله فيك يا ذيب.

وذات يوم لم يصطد من الصيد شيئاً، وقد أقبل أبوه يتقدم الظعينة، وبقي ذيب حائراً متحسراً بماذا يقابل أباه وأخيراً استقر رأيه على أن ينحر مطيته (الأصيل) التي يعادل ثمنها خمساً من الإبل، وفعلاً أخفاها بين الشجر لئلا يراها والده ونحرها، وأخذ من طيب لحمها وطهاه بالإناء الذي عادة يقدم به لحم الصيد لوالده، وعندما وصل شالح واستقبله ابنه كعادته، قدم له الأكل، بعد أن صب له من القهـوة، وعندما تصاعدت رائحة لحم البعير عرف شالح أن هذا ليس بلحم صيد، فقال لابنه ما هذا يا ذيب؟ قال ذيب «شبب يابه» وهذه لغة قحطـان، أي أن هذا رزق من الله يا أبت، فكرر أبوه السؤال وكرر الابن الإجابـة، بأن هذا شبب يا ابن هدلان ثم عرف الوالد النتيجة، وقـال لابنه ذبحتهـا يا ذيب؟! فقال ذيب هي تفديك يا أعز والد وعوضها سيكون من حلال القوم آتي به إليك، ثم قال لأبيه: أنا لا أستطيع أن أستقبلك ما لم أقدم لك شيئاً من الأكل، أستقبلك به، وأقسمت على نفسي أن أستمر على هذه الحالة، إلى أن يتوفاني الله، فتأوه والـده ثلاث مرات، وقال: يا لهفي بعد فـراقـك يـا ذيـب.

لقد اشتهر ذيب ببره لوالديه، ووفائه مع أصدقائه، وعطفه على جيرانه، وكرمه الحاتمي..

وذات ليلة كان هو ووالده ساهرين، وكان والده يداعبه، ويلقي عليه بعض الأشعار فأنشده هذه الأبيات:

يَـا ذِيْـبَ أنَـا يَـابُـوكْ حَـالِـي تَـرَدَّى
وَانَـا عَلَيْـكْ مِـنْ الْمَـوَاجِيْـب يَـا ذِيْـب

تكْسِبْ لِيَ اللَّي لاقِحٍ عِقْب عَدَا
طِويلَة النُّسْنُوس حَرْشَا عَراقِيب
تِجِز ذَيْلٍ مِثْلَ حَبْل المَعَدَا
وتبْرى لحَيْرانٍ صِغَارٍ حَبَاحِيب
واشْرِي لَك اللَّي رَكْضَها مَا يِقَدا
مَاخِذٍ[1] لِقَى فِيها عُيُوب وَعذَارِيب
قَبَّا عَلَى خَيْل الْمِعَادي تِحَدَّى
مِثْل الْفَهَد تُوثب عَلِيهُم تَوَاثِيب
أنا اشْهَدِ انَّكْ بِاللَّوازِم تِسِدَّا
وَعزَّ الله إنَّك خِيْرةِ الرَّبْع بِالطَّيْب
يَاللَّي عَلَى ذِيْب السَّرَايا تَعَدَّا
لَو حَالْ مِنْ دُونَه عيال مَعَاطِيب
لِيثٍ عَلَى دَرْبَ الْمَرَاجِل مِقَدَّى
مَا فِيكَ يَا ذِيب السَّبَايَا عَذَارِيب

وبعد أن قال والده هذه الأبيات، بطريقة المزاح، أسرها الابن ذيب في نفسه. وعندما نام والده، واطمأن ذيب أنه قد أخذ في النوم، ذهب خفية وركب قلوصه، وذهب لبعض أصحابه من الشبان، وأمر عليهم أن يرافقوه، فشدوا مطاياهم وركبوا مع ذيب، وعددهم لا يتجاوز خمسة عشر شابًا، وكلهم يأتمرون بأمر ذيب، وبعد ذلك سألوا ذيباً إلى أين نحن ذاهبون؟ فقال إلى ديار القوم، وأشار إلى قبيلة عتيبة، لنكسب

(١) ما أحد وجد فيها عيُوباً.

منهم إبلاً لأهلنا، وقال: لابد أن آتي لوالدي من خيار إبل عتيبة، واستمروا بسيرهم، وبعد ثلاثة أيام قصدوا بئراً في ديار عتيبة ليستقوا منها الماء، ويسقوا رواحلهم، وهذه البئر تسمى «ملية» وهي تقع غرباً عن جبل ذهلان، بأواسط نجد، وعندما انحدروا إليها من جبل يطل عليها، رأوا عليها ورداً لعتيبة يستقون، فأراد ذيب ورفاقه أن يرجعوا لئلا يروهم فينذروا القبيلة بهم، وكان من السقاة صياد أخذ بندقيته، وتوجه إلى الوادي الذي انحدر منه ذيب ورفاقه، باحثاً عن الصيد، وعندما رأى ذيباً وجماعته اختفى تحت شجرة وأطلق عليهم عياراً نارِيًا، فأراد الله أن يصيب ذيباً إصابة مميتة.

لقد حلت الكارثة الكبرى على الشيخ الطاعن بالسن شالح بن هدلان، إنه فقد كل أمل في الحياة: فقد كل ركن على وجه الأرض، فقد الشجاعة الفذة، فقد الكرم الحاتمي، فقد الابن البار، فقد الابن المطيع، لقد خر ذيب صريعاً وودع الخيل وصهيلها، وودع الإبل وحنينها، وودع أباه الذي هو بحاجة إلى بره وعنايته، ترك ذيب شالحاً حزيناً، وودع قبيلة قحطان المجيدة، وودع سنانه ورمحه وبندقيته، ونقع الخيل وهزج الأبطال، ودع ذيب نجداً العزيزة ورياضها ودع غزلان الرئم والأرانب وطير الحباري التي كان يصطاد منها لوالده، لقد انقشعت هالة الفضل التي كانت تحيط الشيخ شالحاً بالحنان والبر والفضيلة التي ضربت أروع مثلاً بين الأبناء والآباء.

بعدما سقط ذيب على الأرض أناخ رفاقه مطاياهم وتسابقوا إليه وضموه إلى صدورهم، فوجدوه جسماً بلا حياة، وانهالوا عليه بالقبل،

وودعوه بدموعهم الساخنة، ثم وضعوه بكهف بجانب الوادي، وقفلوا راجعين إلى أهليهم.

أما الصياد الذي أطلق النار، فقد ظل مختبئاً تحت الشجرة، إلى أن رأى الركب قد ولى، فأتى إلى مكانهم ووجد الدم يلطخه، ثم عمد إلى ذيب وهو بكهفه، وعندما رآه وجده شاباً وسيم الطلعة، وفي خنصره الأيمن خاتم فضي، وكانت رائحة الطيب تعج منه، وكان لباسه يدل على أنه شخصية بارزة فرجع إلى جماعته الذين يستقون من البئر، فسألوه عن الرمية التي سمعوها عنده، فقال أن ركباً من الأعداء انحدر من الوادي وبعد أن رأوكم نكصوا راجعين، فأطلقت عليهم عياراً ناريًا قتل منهم شخصاً تبين لي أنه زعيمهم، وقد وضعوه في كهف بجانب الوادي، فقالوا وما دلك على أنه زعيم؟ فبين لهم أوصافه، ولباسه الذي عليه، وأن في خنصره خاتماً فضيًا، فقالوا هيا بنا لنراه، وكانوا من قبيلة برقا أحد جذمى عتيبة، وكان معهم فتاة قد جلا أهلها منذ سنة إلى قبائل قحطان، لأسباب حادثة وقعت بينهم وبين بعض قبائلهم من عتيبة، وعندما رأوا ذيباً بالكهف، ورأته الفتاة صاحت بأعلى صوتها، وقالت: ويحك هذا ذيب بن شالح بن هدلان، الذي كنا بجواره بالعام الماضي، فشتموها وقالوا ربما أن بينك وبينه صداقة، ولهذا السبب صحت بأعلى صوتك، فقالت: لا والله لم يكن بيني وبينه أي شيء من هذا. ولكن أكرمنا وأعزنا، وأجارنا، وكان لا يأتي من الفلا إلا ومعه صيد، ويأتي بقسمنا نحن جيرانه حامله بيده، وعندما يقترب من بيوتنا يغض نظره إلى الأرض، ثم يضع ما جاء به من الصيد ويدبر، دون أن

يرفع طرفه بامرأة من جيرانه، وهذه طريقته بالحياة، وعليكم أن تسألوا عن خصاله، وينبئكم عن ذلك من عرفه، فهو بعيد كل البعد عن الرذيلة.

ما أكبر المصاب على شالح، لما وصل رفاق ذيب وأخبروه بما حدث، لا شك أن خطب شالح عظيم، وأن وقع نبأ مصرع ابنه على قلبه أشد وأنكى من طعن الحراب، ولا شك أنه سيجرع ويلات الحزن، ومرارته، ومآسي الفراق ولوعاته..

وإذَا الْمَنِيَّـــةُ أنْشَبَـــت أظفَـــارَهـــا
أَلْفَيْـــتَ كُـــلَّ تميمَـــةٍ لاَ تَنْفَـــعُ

إنها كارثة كبرى، ليست على شالح فقط، بل على عائلة آل هدلان، وعلى قبيلة الخنافرة، وعلى قبيلة قحطان الكبرى: وقد قال شالح أشعاراً كثيرة بعد وفاة ابنه، وأول ما قال هذه القصيدة:

يَـا رَبْعَنَـا يَـاللِّـي عَلَـى الفِطَّـرَ الشِّيْـب
عَـزَّ الله إنَّـه ضَـاع مِنكُـم وِدَاعَـه
رِخْـوا عَلَى الطُّوْعَات مِثْلِ العَبَاسِيْب
وجِيْـُوا وخَلِّيْـُوا لِقَلْبِـي بِضَـاعَـه
خَلِّيْـُوا النَّـادِرِ بـدَارِ الاجَـانِيْـب
وَضَـاقَـتْ بِـي الآفَـاق عِقْـب اتِّبَـاعَـه
تِكَـدَّرنْ لـي صَـافِيـات الْمِشَـارِيْـب
وبَـالْعَـوْن شِفْـتَ الـذُّلْ عِقْـبَ الشَّجَـاعَـة

يَا ذِيبَ أنَا بُوصِيك لا تَأكِلَ الذِّيْب
كَــمْ لِيْلَــةٍ عَشَّــاكْ عِقْــبِ الْمِجَــاعَــة
كَــمْ لِيْلَــةٍ عَشَّــاك حِــرْشَ الْعَــرَاقِيْــب
وكَــمْ شِيْــخٍ قُــوْمٍ كَــرَّتْــهُ لَــك ذِرَاعِــه
كَفُّــه بْهُــنْدُوَانِــهْ شِنِيْــع المَضَــارِيْــب
ويِسقــي عَــدُوه بـالْـوغَـى سِــمْ سَــاعَــه
وِيضْحَــك لِيــا صَكَّــتْ عَلَيْه المَغَــالِيْــب
وِيلْكِــد عَلَــى جَمْــعِ الْعَــدُو بِـانْـدِفَـاعَـه
وِبِيِّــهِ لِجِيْــرانِــهْ بِشَيِّــدْ عَلَــى الطِّيْــب
وللضِّيْــفْ يَبنــي فــي طِـوِيْـل الـرِّقَـاعَـه
جَـرْحِيْ عَطِيْـبْ وَلا بقَـى لِيَ مِقَـاضِيْـب
وانْخَــتْ حَبْـل الـوَصْـل عِقْـب انْقِطَـاعـه
كَنِّــي بَعَــدْ فَقْــدِهِ بِحَــامِــي اللَّــواهِيْــب
وِكنِّــي غَــرِيْــبَ الــدَّارْ مَــالــي جِمَــاعَــه
مِنْ عِقْب ذِيْبَ، الخيْلِ عِزْج مَهَالِيْب
يَـاهْـل الـرَّمَنك مـا عَـاد فِيْهِـنْ طِمَـاعَـه
قَالُو تِطيْبْ وقِلْت: وِشْ لَوْن ابَا طِيْب
وطَلَبْــت مِــنْ عِنْــد الْكِــرِيْــم الشَّفَــاعَــه

وأردفها بهذه القصيدة، وعلى نفس البحر والقافية، وقد رويتها عن الأمير عمر بن سلطان أبا العلا وأكد لي أنه رواها عن والده سلطان الذي عاصر شالحاً وابنه ذيباً، وبهذه القصيدة الأخيرة لم يخف آلامه

ولواعجه، فجاوب الذئاب بعويلها، ثم رجع إلى خالقه وطلب منه الفرج، ثم لام نفسه، واعترف بأنه هو السبب بتحريض ابنه ذيب على غزوته المشؤومة، وبعد ذلك عزى نفسه بركوبه الهجن، وأنه يتقدم بها على أعدائه حتى ينيخها على مقربة من البيوت الكبار، ويتخطى الأطناب، ويكسب الناقة الحائل التي تهاوي الجمل، وتجعل منه خليلاً لها، وأخيراً أخذ يوصي جماعته بأن يختاروا (المناسب) الطيبة ليأتيهم أولاد طيبون نجباء وقال لهم: إن بنت الرديء تأتي بولد لا يهمه أكثر من نفسه، وأن يشبع بطنه، رديء الهمة ميت الأنفة، تافه الشخصية، وهذه هي القصيدة:

ذِيْب عَوْى وَانَا عَلَى صُوتِهِ اجِيْبْ
ومِنْ وَنَّتِي جَضَّعْ ضُوَارِي سِبَاعِهْ
عَزَّ الله انِّي جاهِلْ مَا اعْلَمَ الْغِيْب
والغيْب يِعْلَم بهْ حَفِيْظ الْودَاعَهْ
يَالله يا رَزَّاقْ عِكْف الْمَخَالِيْب
يَا مِحْصِي خَلْقِهِ بِبَحْرِهْ وَقَاعِهْ
تَفْرِج لِمنْ صَابَهْ جُروح مَعَاطِيْب
وِقَلْبِهْ مِن اللَّوعَات غَادٍ وِلاَعِه
إنْ ضَاقْ صَدْرِي لِذْتْ فُوْق الْمِصَالِيْب
مَانِيْبْ مَنْ يِشْمِت فَمَايِلْ ذِرَاعِه
صَارْ السَّبَبْ مِنِّي عَلَى مَنْقَع الطِّيْب
ونَجْمِي طِمَنْ بِالْقَاع عِقْب ارْتِفَاعِه

يَـاطُـوْلْ مَـا هَجَّيْتِهِـنْ مَـعْ لَـواهِيْـب
ولانِي بَـدارِي[1] كَسْـرَهـا مِـنْ ضِـلاعِـه
ويَـاطُـوْلْ مَـا نَـوَّخْتَهَـا تصْـرَخ النِّيْـب
وَرْن الْبيُـوت اللِّـي كبَـار رِبَـاعَـه
واضْـوِي عَلِيْهُـم كِنَّهُـم لِـيَ مَعَـازِيْـب
إليـا رَمَـى زِيْـن الْـوَسَـايِـد قِنَـاعَـه
أضْـوِي عليْهُـم واتَخَطَّـى الاطَـانِيْـب
وَآخِـذْ مَهَـاوِيـةِ الْجَمَـلْ بِـانْـدِفـاعـه[2]
أبَـانْـذِرْ اللِّـي مِـنْ رَبُـوعـي يَبَـا الطِّيْـب
لا يـاخِـذ إلاَّ مِـنْ بِيُـوت الشَّجَـاعـه
يِجـي وَلَـدهـا مْـدرّب كَنَّـهَ الـذِّيـب[3]
عـزّ لِبُـوهْ وكُـلٍّ مـا قَـال طـاعَـه
وبِنْتِ الرّدِيْ ياتِي وَلَدْها كَما الْهِيْب
فْبْـنِ لِبُـوه، وفَـاشِلَـه بِـالْجِمَـاعَـه
يَـاكِبِـر زُوْلِـهِ عِنْـدْ بِيْـتَ الْمَعَـازِيْـب
مِتْحَـرِّي متـى يِقَـدّم مِتَـاعِـه

وبقي شالح حزيناً كظيماً يسهر أيامه ولياليه، ولا يفارق نار قهوته،

---

(١) ولاني بداري: ولا أنا أداري من المداراة.

(٢) مهاوية الجمل: الناقة، وهذه الأبيات يرى بعض الرواة أنها للشاعر شليويح العطاوي.

(٣) مدرب: حاد شجاع. كنه: كأنه. لبوه: لأبيه.

وذات ليلة وهو ساهر مع أحزانه، كان شخص من قحطان يسمى الهويدي قد ضاع صقره، وأخذ يبحث عنه بالليل ويسأل رافعاً صوته كلما مر بنار قطين منادياً «من عين الطير» فعرفه شالح وسكت عنه أول مرة، ثم عاد إليه مرة ثانية ماراً ببيته، بعد أن مر بنيران الحي، وسأل عن طيره، ثم استمر بسؤاله ماراً بكل نار يراها، وعاد على شالح للمرة الثالثة، فناداه شالح والهويدي لا يعرف أن النار هي نار شالح، وعندما دعاه لكز هجينه بعقب رجله، وجاء مسرعاً ظنًّا منه أن المنادي سيبشره بصقره، وعندما أناخ هجينه، واقترب من المنادي، تبين له أنه الأمير شالح بن هدلان والد ذيب، الذي لازال يصارع أحزانه، فاعتذر الهويدي لشالح، وأقسم له بالله أنه لا يعرف أن هذه النار هي ناره، ثم قبل جبينه معتذراً، وطالباً السماح، فأذن له بالجلوس من حوله، وأخذ شالح يصب له القهوة، ثم قال هذه الأبيات:

إنْ كَـانْ تَنْشِـدْ يَـالْهُـوَيْـدِي عـن الطِّيْـرْ
الطِّيْـرْ والله يَـالْهُـوَيْـدِي غَـدَا لِـي

طِيْـرِي غَـدَاب مَعَسْكَـرَاتِ المَسَـامِيْـر
إنْ حَـلْ عِنْـد قطيْهِـنْ[1] الْجِفَـالِـيْ

إنْ جَـا نَهَـارٍ فِيْـه شَـرّ بـلاَ خِيْـر
وَغَـدَا لِهِـنْ عِنْـد الطّـرِيْـح اجْتُـوالِـيْ

إنْ دَبَّـرَنْ خَيْـل وَخَيْـلٍ مَنَـاحِيْـرْ
وَغَـدَنْ مِثْـل مَخَـزَّمَـاتَ الْجِمَـالِـيْ

(١) جمع قطاة: يقصد ظهور الخيل.

عَلَى الـرّمَـكْ صِيْـدهِ عِيَـالٍ مَنَـاعِيْـر
وشَـرّه عَلَى نَشْـر الحَـرِيْـب الْمُـوَالِيْ
بِضحَـك لِيَـا صَكّـتْ عَليـه الطَّـوابِيْـر
طِيْـرَ السّعـد قَلْبِه مِـنَ الْخُـوف خَـالِي
خَيَّـالِنَـا وانْ عَـرْجِـدَنّ المِظَـاهِيْـر
وزَيْـزُوْم عَبْـراتٍ طُـواهـا الْحِيَـالِـي
غِيْـثٍ لنـا وانْ جَـت لِيَـالـي الْمَعَـاسِيْر
وبِـالشّـح رِيـفٍ للضُّعُـوف الْهِـزالـي
يسْقِـي ثَـراه مـن الـرّوَايـغ مِـزَابِيْـر
تِمْطِـرْ عَلَى قَبْـرٍ سَكَـنْ فِيـهْ غَـالِي

لا شك أن طير شالح يصيد أفذاذ الرجال، كما قاله بأشعاره، أما طير الهويدي فهو لا يصيد إلا الأرانب والكروان.. رحم الله شالحاً وابنه ذيباً، لأنهما سجلا مفاخر قيمة لكل من يقطن نجداً.. إننا نودعهما بالرحمة ودعوات الغفران، ونشيعهما بما يشيع به الأبطال المغاوير، الذين أبقوا لهم ذكراً في الآخرين، شجاعة وكرماً وشمماً وطيب أحدوثة.

محدى الهبداني

مِحْدى الهبداني - نسبه حياته - فروسيته - شخصيته القوية - طموحه - شعره هجاؤه لقومه - ابتعاده عن قومه ولد سليمان - وشعره في ذلك - اغارتهم على الشوايا - حربه مع ابن قعيشيش - لجوؤه لابن سمير - شعره فيه - انتقاله إلى آل مهيد وآل غبين - صلته بالسيد حجو وتأليبه إياه - ثورة السيد حجو - الشعر في ذلك - رحيل محدى إلى الشيخ عبدالكريم الجربا وإكرام الجربا له - قصته مع الشمري في مجلس عبدالكريم - وفاء عبدالكريم معه وعدوله عن مهاجمة قوم محدى من أجله - عودته لجدعان بن مهيد بدعوة منه ورجاء للعودة - إنابته وحجه.. إلخ.



عدى الهيلاني

هو محدى بن فيصل الهبداني عاش إلى تاريخ ١٣٠٠ هجرية تقريباً، وهو من قبيلة آل فضيل التي يرأسها الشيخ ابن رشدان، وهي فخذ من أفخاذ قبيلة الجعافرة من ولد سليمان، (من ضنا عبيد) من بشر، وبشر هو ابن عناز بن وايل، وهو شقيق مسلم بن عناز الذي تتفرع منه قبيلة (ضنا مسلم).

نشأ هذا الشاعر وترعرع بين قبيلة ولد سليمان المشهورين بالشجاعة، وكثرة العدد، شيخها العواجي وعائلته، والعواجية لازالوا هم شيوخ هذه القبيلة، نشأ في وقت التطاحن بين قبيلته والقبائل المحيطة بها، وأمه (ذكر) بنت مثل العواجي الفارس المشهور، ووالده فيصل الهبداني ليس مرموقاً بين أفراد هذه القبيلة، ولكن ابنه (محدى) نشأ ثائراً وذكيًا وطموحاً، يطمع بالزعامة، ولكنه لم يلق مجالاً لزعامته، مع وجود أخواله الأبطال العواجية، وبعد أن لاحظ أخواله طموحه، وتدخله بالقبيلة، وتحريضه لهم، وترفعه عن مسلك أبيه.. ضغطوا عليه، لهذا لم يستطع أن يبرز بينهم، وضاقت به الأرض بما رحبت، وأخذ يتألم، ويقول الشعر محرضاً أقاربه من آل فضيل، وهاجياً لهم أحياناً، وقال قصائد كثيرة بهذا المعنى، لم أعرف منها سوى القليل ومنها:

هَنِيْكُـم يَـاهْـلَ الْقُلَـوبَ الْمَـرِيْحَـةْ

يَـالـدَّالِهِيْـنَ اللِّـي عَلَـى بَـرْكَـةٍ الله

هَنِيْكُـمْ بِقْلُـوبِكُـم مِسْتَـرِيْحَـةْ

ويَـالِيْـتَ قَلْبِـي كـلْ مَـا جَـاه بِنْسَـاه

يَنْسَـى هَـوَاجِيْـس الضَّمِيْـر الْمِشْيَحَـةْ

ويَـرضَـى عَلَى غَـوَال حَلْقِـهِ إلى ارْخَـاه

خَطْـوَ الْـوَلَـد يـرضـى العلـوم القبيحـةْ

ويَقفِـي ويَقْبِـل كـالْهَنُـوفَ المـرضَّـاه

وانَـا دِلِيلـي مَـا يِطيْـعَ النَّصِيْحِـه

يَـاتَـاسْ عَيَّـانِـي دِلِيلـي وَانَـا انْهَـاه

ثم قال هاجياً قومه:

يَا فَضِيْلْ يَا قُلُوبِ الْغَنَم مَا تَحَامُونْ

يَـا لِيْتَهَـا والله تْحَسَّـنْ لِحَـاكُـمْ

يَـا طُـولُكُـم يَـا عِـرْضُكُـم يُـوم تَـاتُـوْنْ

يَـا قِـلْ خَيْـراكُـم عَلَـى مِـنْ بَغَـاكُـمْ

إلِيَـا اجْتَمَعْتُـوا للْمَـراجِـل تِـدِيْبُـونْ

والنَّـاس عَـرَفُـوا طِيْبِكُـم مِـنْ رَدَاكُـمْ

الكُـلّ مِنكُـمْ دَائِمـاً يِتْبَـع الْهُـونْ

يَـالغَـنِ أبُـوكُـم كِيْـف تُـوخَـذْ نِسَـاكُـمْ

تِـرْضُـوْن بِـالـذِّلَّـةْ عَسَـاكُـم تَهَبُّـوْن

واشُـوْف بِـالـرِّجْلِيْـنِ كِـلٌ وِطَـاكُـمْ

يَـاقْضِيـلْ بِـالْـوَزْوز بغِيتُـوا تِبَـاعُـون
ويلقـى المـذَلَّـهْ خـائـف وان نصـاكـمْ
مـن عِقُـبْ فِعْـلَ الطِّيْـبْ قُمْتُـوا تَـدَانُـون
وانْتُـوا مِـن أوَّلْ مَـا يَقَـرّب حِمَـاكُـمْ

ثم قال هذه القصيدة متبرئاً من قومه:

لِيُتِنـي مِـن الصَّلْبَـان والاصِـل مَـا بِيْـهْ
لا سَـايِـل عَنِّـي وَلانِـي بِسـايِـل
اقْعِـد عَلَـى (مُقْـرٍ)[1] خَفِـيّ مُـوارِيْـهْ
بِـرَهْـراهَـةٍ مَـا يَـاصِلِـهْ كُـودْ حَـايِـل
مِـنِ الـوشـم رَوِيَـانٍ مَـعَ الصَّيْـف مِطْفِيـهْ
تَلْقَـى الخَصَـابْ مْكَـوَّمٍ لِلـزَّمَـايِـل
الـودْ عِـنْ دِخْـشٍ كِبَـارٍ عَـلابِيْـه
يِهُـوْش كِتْـبه بَـاشِـةٍ لِلقَبَـايِـل
مِتْبَـاركيـن بـالمُـولِـدْ بنـي خِيْـه
عَلَـى النُـزُولْ يِكَثُّـرونْ الضَّـوَايِـل
أنَـا انْ بَغَيْـت الصَّبْـرْ قَلَّـتْ مِشَـاحِيْـه
ونَفْسـي عَيُـوف ولا رضَيْـت الفِشَـايِـل
نَـوِيْـت اهُـومُ وكَـافِـل العَبْـدَ واليـه
والْبِعْـدْ طِـبٌّ لِلقُلُـوبِ الْغَـلايِـل

(١) المَقْر: هو المكان يستقر فيه الماء. من الجبل أو الأرض الصلبة.

فأجابته أمه (ذكر) اخت مشل العواجي بالقصيدة الآتية:

أشُـوف سِلْـم ابْلِيْـس (مِخـدَى) يِسَـويّـه
بِلْعَـب عَلَـى ظَهْـر اللَّعِيْـنِ القُـوَايِـل
عِـزّى لِنُـزْلٍ قَـام (مِخـدَى) يِشَظِّيْـه
لِعـب بِكُـمْ يَـا ذَاهِبِيْـن الْحَمَـايِـل
مِطَـاوع لِبْلِيْـس وابْلِيْـس مِغْـوِيْـه
لاَ تِتْبِعُـونَـه يَـا الْقُلُـوبَ الهَبَـايِـل
هَـذَا جِـزَا خَـالٍ يِعِـزُّه ويِغْلِيْـه
لاَ وَاحَسَـايِف قُـولـةٍ: يَـا بِـن وَايِـل!!

لقد قرر (محدى) أن يبتعد عن أخواله، وعن قبيلة (ولد سلمان) ورحل من نجد مع قسم من قبيلته آل فضيل الذين التفوا حوله، واتجه إلى قبيلة الفدعان من عنزة، لأن الفدعان أقرب قبائل عنزة (لولد سليمان) ودخل الأراضي السورية، وقد أنشأ هذه القصيدة:

يَـا رَكِـبٍ سِـرْ بـالـةٍ تِقْطَـعْ الْبِيْـدْ
حَمْـرا وَلاَ فَـوْقَـه رِدِيْـفٍ مَحَنْهَـا
أوّلْ نَهَـارهْ خَـلْ مَشْيَـه تِقَـادِيْـد
وَافْهَـقْ إلَـى الْبِـرْ ديْـن حَقْبِيْـك عَنْهـا
مِثْـلِ النَّعَـامـهْ يُـوْم تِقْفِـي مَـعَ الحَيْـدْ
أوْ تِقِـلْ[1] شِيْهَـانٍ دَنَـا اللَّيْـل مِنْهـا

(١) تقل: تقول.

تِلْفِـي لِمَـنْ جِيْشـهِ شُـوَاةِ المَعَـاوِيْـد

كـم عِــزْبَــةٍ ذَوْقْ رِبُــوعِــهْ لِبَنْهَــا

يَـا خَـالْ يَـاللِّـي مَـا بِفِعْـكْ مَنَـاقِيْـد

رِفَعْــتْ نَـاسٍ مَــا عَــرَفْنَـا لَحَنْهـا

لاَ اكْرَاد لا هُـمْ تِـرْك لا سَلْـم اجاوِيْـد

يِبُــون يِغْــزُون الْعَــرَب عَــنْ وِطَنْهــا

يَـا خَـالْ لُـوْلا نِصْـفَ رَبْعِـي لَهـامِيْـد

إنْ كَـان جَـاكـم صَـادِق العِلْـم مِنْهـا

اخْتَـرتْ عِـنْ دَار المهـوْنَـاتْ بـالْبِيْـد

وَخلَّيْــتْ دَارَ الــذُّلْ لِلّــي سِكَنْهَــا

دَارٍ بِــدارٍ وَلاَ عَلِيْنَــا تَحَــادِيْــد

وَارْزَاقْنَــا رَبُّ الخَــلايِــقْ ضمَنْهَــا

نِـرُوْحْ عَـنْ دارِ الْعَنَـا لـلاجَـاوِيْـد

لاهَــلْ بِيُــوتٍ مِــنْ تجَلْــوى زِينْهَــا

عِيَـالَ الْغِبيِّــن الْمِتْيخِيْــن المــوَارِيـد

عَلَـى ظِهُـوْرَ الخَيْـلْ يِـذْكَـرْ طَعَنْهَـا

إنْ جَــانَهَــارٍ فِيْــه فَهْــقٍ وِتــوْرِيْـد

يِسنــى عَلَـى كِـلِّ الْمُـوَارِدْ شِطَنْهَـا

ولما دخل الأراضي السورية قاصداً آل غبين قال هذه القصيدة:

الله مِــنْ قَلْــبٍ بِــدَا فِيْــه عَمْسِــي

يِمِيْـع لَـوْ بَـاسـه خَجَـرْ قِـرْطِيَـانـي

بِمِيْـغ مَيْمَـة شَمْـع مِـنْ حِـرّ شَمْسِـي
وَالاَّ الشَّحَـم مِـنْ فُـوْقَ جَمْـرٍ اصْهَيَـانـي
نِضْبِـخ مِكَـاظِيْـمٍ ويَـالْهَـمْ نِمْسِـي
وكَـنَّ الطَّعَـامَ مَلَـوَّثٍ دِيْـدِمَـانِـي
يَـا رَاكِـبٍ مِـنْ عِنْـدَنَـا فُـوْق عِنْسِـي
سِخْـوَان قَطَّـاع الفِيَـافـي عْمَـانِـي
عِنْـسٍ سَبْـرس بِـالسَّـوادِ الْـوَخَطِـي
قَطَّـاع دَوٍ هُـوْذِلـيْ شُـوسَحَـانِـي
هِـزْتِـهِ بِعُـودِ اللَّـوْزِ مِـنْ غيْـر لمْـس
ويَـامَـا قَطَـع مِـنْ نَـازِحِ السَّهْمِـدَانـي
قِطْعَـى قِطَـا وِمْـذَيَّـرَهْ حِـسْ وِنْسِـي
مِـن الـلأَلْ وَرْدْ دَيْـرَةِ الـرِّيْهَجَـانِـي
فُـوقَـهْ دِلالٍ نِشْـج مِـنْ كِـلْ جِنْسِـي
القِـرْمَـزانْ مْخَـالَـطٍ بـازْرَقَـانِـي
بِمِـدْ مِـنْ حِفْـرَةِ خِنِيْصِـر ويِمْسِـي
لأَهَـلْ بِيُـوتٍ شِيَّـدَتْ بِـالْبِيَـانِـي
يَـامَـا عَطَـوا مِـنْ سَـابِـقٍ قُـوْد خَمْسِـي
(خِبينَـات) يَعْطُـونَـه ولاَ بِـه مِثَـانـي
وانْ صَـار بِـالْفِـرْسَـان طَعْـنٍ وخَمْسِـي
مَـا مِثْلِهُـم يِـرْكَـب بَنَـاتِ الْحِصَـانـي

وفي أثناء طريقه هو ومن معه من قبيلة آل فضيل، صادفوا قبائل من

(الشوايا) الذين يربون الأغنام، في حماية الشيخ ابن قعيشيش، يأخذ على هذه القبائل الأتاوة، ويتكفل بحمايتهم من نائبات الزمن، وعندما رآهم (محدى) الهبداني وجماعته أرادوا نهب أموالهم لضعفهم، فأغاروا عليهم، وأخذوا أموالهم ومواشيهم، وعندما علم الشيخ ابن قعيشيش شيخ الخرصة من الفدعان، ثارت ثائرته، وأغار على (محدى) الهبداني وجماعته بفرسانه، ورجاله، وقصدهم تخليص الغنائم التي أخذوها من (الشويان) ولكن (محدى) وجماعته أبوا أن يسلموا ما غنموا فحصلت معركة بينهم وبين ابن قعيشيش هزم فيها ابن قعيشيش، هو وقومه، ثم انحرف (محدى) الهبداني وقبيلته عن قبيلة الغبين؛ لأن قبيلة الغبين أقارب قبيلة ابن قعيشيش، والجميع من قبيلة الفدعان من بشر الكبيرة، واتجه (محدى) وقومه إلى الشيخ محمد بن سمير الذي هو من قبيلة (ضنا مسلم) بن عناز، وقبل أن يصل إلى الشيخ ابن سمير أرسل إليه هذه القصيدة موضحاً فيها المعركة التي حصلت:

يَــا رَاكِبِيْــن مِقْــوْلِمَــاتَ الخَفَــافِــيْ
مَــا دَنَّقَــوا عَــنِ الْحَفَــا يِــرْقِعُــونَــهْ
يِلْفَــنَّ أخــو خــزنَــهْ زبُــون المِقَــافِــيْ
اللّــي بِــوَقْــت العِسْــرِ تِنْــدَى صِحُــونِــهْ
الــرّوْم جَتْنَــا جَــردَةٍ يَــا السّنَــافِــي
بِيُــوْن سِنْــرِ بِيُــوتِنَــا يِنْهَبُــونِــهْ
صَــاح الصِّيَاح وقَــال: مَــا مِــنْ عَــوافِيْ
وحَتَّــى جِــوَاب الْمَنْــعَ مــا يِــذْكِــرُونــهْ

صَكُّـوا عَلِيْنَـا نَـاهِضِيْـنَ الشَّـلافِـي
فـزْعـة وكِـلٍّ مِجَـرَّب يَـزْهَمُـونـهْ
وِصِخنَـا عَلِيْهُـم صِيْحَـةٍ مَـعْ كِشَـافِيْ
ولغبـونْ (صِبيَّـهْ) جِيْشِهُـم يِسْهَجُـونـهْ
الشِّيْـخ (ثـامِـرْ) مِـرْتِـكِ تِقـلْ غَـافِـيْ
يَـا حَيْـف سِلْبَـتْ جُـوْختِـه مَـعْ زِيُـونـهْ
(جَعَـافِـرَةْ) مَـا يِشْتَهُـون الْعَـوَافِـيْ
والشَّـرْ لَـو هُـوَ غَـايِـبْ يَخضْـرُونِـهْ
وَرْدَوا عَلِيْنَـا مَـارْ صِـرْنَـا عِيَـافِـي
مَـانَـا هَمَـاجْ ورَبْعَنَـا يَمْلِحُـونَـهْ
لا عَـاذْ مَـا نَـاخِـذْ مِـنِ الحَـقّ وَافِـي
اللِّـيْ تَحَلْـوَى النَّـاسْ مَـا يَـرْحَمُـونـهْ

وأتبع ذلك بقصيدة أخرى طالباً فيها من محمد بن سمير لجوءه إليه وحمايته وهي كالآتي:

دَنُّـوْا بِغِيْـدات الْمَمَـاشـي رِكَـابِـي
عَـرَنْـدسَـاتٍ يِقْطَعَـنْ الْمَحَـاوِيْـل
غَـرِوَاتْ لِيْـن اشْهَيْـل بيَّـنْ وِغَـابِـي
حتـى غَـدَا فُـوْقْ الابَـاهِـرْ زَهَـامِيْـل
يِـرَعَـنْ مِـنِ الـرِّبْلَـة ورِجْـلِ الْغُـرابِـي
بَـاطْرَافِهِـنْ تَلْقَـى الْخِزَامى تِقْـلْ نِيْـل[1]

(١) الربلة، ورجل الغراب، والخزامى: نباتات أثيرة عند العرب في الصحراء.

حَشُوا مَنَاكِبْ جِيْشِكُم بِالْعَقَابِي
قَلايْصٍ مَا لاَغَمَنَّ الْمَخَالِيْل
إنْ رَوَّحَنْ مع سِهلةٍ لهْ سَرَابِي
عَوصٍ بِشَاذِنْ رُوْسْ رُبْدَ الهَرَاقِيْل
لِمحَمَّدْ بِن سْمِيْرٍ رِيْف التَّعَابِي
بَدْرِ الدُّجَا، نَوَّارْ عِشْبِ الْهَمَالِيْل
لِصدِيْقه أحْلَى مِنْ هُتوف السَّحَابِي
ولِعْدَاهْ مَفْتُول الْحَدِيْدَ الزَّنَاجِيْل
يَا شِيْخْ لَوْ شَالَ الْجَمَل مِثْلَ مَابِي
أزْرَا بِليْهِيَّ الرَّحَايِلْ عَن الشِّيْل
ويَا شِيْخْ مِنْ دَبَّت عَلِيْه الدَّوَابِي
يَعَاف لَذاتِ الوَتَسْ والتَّعَالِيْل
إنْ حِطَّ بالغِلْيُونْ مِثْلَ الخِضَابِي
وصِبِيَّةٍ تِلْعَب بْوضْح الفَنَاجِيْل
عَدّه مِنَ الاونَاس خِلْو الْجَنَابِي
إنْ لافِه الدَّاكُوْك بالعَدلِ والْمِيْل
ويَا شِيْخ يَا مِدمِي لِرُوس الحِرابي
جِيْنَا لِكُم يَا كَاسِبِيْن النَّفَايْل
نَبِي جِنَابِكَ يَا نِزِيه الْجنَابِي
يَومَ الرِّفَاقَة صَار مِنْهُم غَرَابِيْل

فأجاره محمد بن سمير هو وقبيلته آل فضيل، وحماه من ابن

قعيشيش، ومكث فترة طويلة في جوار ابن سمير، إلى أن عفت عنه قبيلة الفدعان، بما فيهم آل قعيشيش والغبين، بعد أن أرسل هذه القصيدة لجدعان بن مهيد شيخ قبيلة (الولد) من الفدعان:

يَـا رَاكِـبْ حمْـرَا كِتُـوْم رْغَـاهَـا
مُنْشَـى ثِمَـان ايَّـامْ تَطْـوِيْـه مِشْـوَار
جِـدْعِيَّـةٍ قَطْـعِ الفَيَـافـي مِنَـاهَـا
تِشْـدِي لِشَـاحُـوْفٍ مَـع الشَّـطْ عَبَّـار
يَـا رسـل يَـاللّـي لايـلِـذ فـي قَـرَاهَـا
خَلَّـك مَـعَ اوَّلْ فَجَّـةِ الصّبْـحْ نَشَّـار
والْعَصْـرِ أبـو تِـزْكِـي مَحَـارِي مِسَـاهـا
لفضـى الْبِخِيْـل لِقَـالـيَ الـزَّاد دَمَّـار
عِينـي قَـرَتْ مِـنْ نَـومَهـا وِشْ بَـلاهَـا
كِـنَّ النُّـوْيِفِـجْ لايِفَـهْ عِقِـبْ ذَرَّار
قَـرَتْ وقَـزَّاهـا عَظَـايِـمَ بـلاهَـا
عُـوْجٍ نِمَضِّيْهِـن وَهِـنْ كَـارِهِـنْ كَـار
وكِبْـدي مِـن الرَّهـوْنـد بِخْلَـط عَشَـاهـا
أوْ تِقِـلْ يَفْـرَضْ مِـنْ مَعَـالِيْقَهَـا فَـار
عَلَـى نِجُـوعٍ فَـرَّقَ الله شَظَـاهَـا
نَـاخِـذْ بهـا حَـقٍّ ونَـذْرِي بِهـا جَـار
يَـا مْـدَبِّـرْ السَّلَقـا عليْـك الْتِقَـاهَـا
تِفْـرِجْ لِعَبْـدٍ تَـابِـهِ الْفِكْـرِ مِحْتَـار

يُـوم اخْـرِجُـوه وقِـرْبِتِـه قِـد مَـلاهـا

عِنْـدَك لَهـا يَـاوَالـي الْعَـرْشِ تِـدْبَـار

أطْلِبْـك نَفْسـي لا تْخَيِّـبْ رَجَـاهَـا

يَـا عَـالِـم بـاخـوالَهَـا وانْـتْ جَبَّـار

والـرُّوْح مِنِّـي مِسِعِـلاتٍ جِـذَاهَـا

حَـذْوة رِجْـلْ مَـا قَـاضبَـهُ كُـود مِسْمَـار

نَجْـدِ يْعَـزِّي عَـنْ غَشَـاهَـا صـذَاهـا

لُـوهِـي مِقَـرْ ابْلِيْـس فـي مـاضِ الاذْكَـار

نِـزْكِـضْ ومِـنْ صَـادِ الْجَـرادةِ شْـوَاهـا

وللنَّـارْ مِـنْ عَقْـبْ مِـنْ المَـالْ دِيْنَـار(١)

بعد ذلك دعاه شيوخ الفدعان آل مهيد وآل غبين، فرحل من عند ابن سمير شاكراً له ما لاقاه من حماية وإعزاز وإكرام، وتوجه لقبيلة الفدعان، لأنها أقرب الناس إليه، وبقي بين ابن غبين وابن مهيد، معززاً مكرماً إلى أن حصل بينه وبين ابن غبين بعض الخلاف، ويعود ذلك إلى نفسه الطموح، التي لا تقف عند حد، فقال القصيدة الآتية في آل غبين هاجياً لهم:

عَسَـاكْ يَـا دَارٍ بِـك الْجِيْـفِ تِلْـوِيْـنْ

عَسَى الْولي يَسْعَى لِسَاسِك بالاخرابْ

يْسفِـي جَنَـابِـك مِثْـل دَارٍ بِـدَارِيْـنْ .

سِهْسَـاه رمـلٍ مِـن سِمَهْـلات وتـرَابْ

---

(١) يروى هذا البيت والذي قبله لرشيد العلي من أهل الزلفي.

لاَ عَـاد مَـا نَـاخِـذْ وَفَـا حَقِّنَـا زِيْـنْ
الاَّ بِسَـلْ مِصَقَّـلَ الهنْـدْ وِحْـرابْ
عِسَـاكْ يَـا دَارَ الْمَـذَلَّـةْ تِخِيْبِيـنْ
وعَسَى الْولي بِسْعَى لِنَزْلِكَ بالاذْهَابْ
نَـاسٍ تَشِيْـلَ الْبُغْـضْ مَـا هُـمْ خَفِيـنْ
الْقَلْـبْ فِيـه الـرَّيْـبْ لَـوْ يَضْحَـكَ النَّابْ
يَا حْلِيْسِ وانْ ما شِفْت انَا شايِفٍ شين
أشُـوْفْ نَـاسٍ قـوم بهـدوم الاصحـاب
يا حليْس صاب القَلب ما تنظر العَيْن
شُـوْف البِغِيْـض بِنُـوْنَهـا تِقْـل مِشْهَـاب
إنْ كَـانْ رَبْعِـكْ مَـا لِحَقِّـكْ وِفِيِّـنْ
مِسْمَـارَهُـمْ بِيْخَـصْ بِـلا قَـازْ وِكْـلابْ
عَنْهُـمْ تَنَحُّـوا يَـا قِلُـوْبِ الْبَعَـارِيْـنْ
فِـي دِبْـرةِ الْخَـلاَّقْ فَتَّـاح الابْـوَابْ
عَـنَ الْمَهُـونـة نَجْعَـلَ النَّـاْرْ نَـارِيْـنْ
نِبْعِـدْ عَـنِ الاصْحَـابْ لِـدْيَـار الاجَنَـابْ

ثم انحاز عن ابن غبين كليًا إلى جدعان بن مهيد، وبقي صديقاً حميماً لجدعان بن مهيد، وكان هناك شخص من شيوخ الفلاحين يدعى السيد (حجو) بن غانم وله قرى كثيرة، وقبيلة كبيرة ورغم ذلك فهو يدفع «إتاوة» لجدعان بن مهيد، وكان السيد حجو على جانب من القوة بقبيلته كثيرة العدد، وحصل بينه وبين محدى الهبداني صداقة، وبعد أن رآه محدى دفع الأتاوة لجدعان بن مهيد، وهو على هذا الجانب من

القوة أبت نفسه الثائرة إلا أن يوغر صدر سيد حجو على ابن مهيد، وقال له: لماذا ترضى هذا الخنوع وهذه الذلة، وأنت رجل عربي، وعندك من العدد والعدة، ما يفوق ابن مهيد، وعندك القصور الشامخة، التي تستطيع فيها أن تحمي نفسك، بالسلاح وتعز قومك من دفع الأتاوة، وأتبع كلامه هذه القصيدة:

قُولَوْا لِـ(حَجُّو) رِيف هَزْل الرّكَايِبْ
عِنْدي لِهُم عَنْ لِمْسةِ الْخَشْم حِيْلهْ
قَصرٍ يشادي نَايفَاتَ الْجَذَايِبْ
ورِصَاصْ قِبَسٍ مُولَعٍ لَه فِتِيْلهْ
والاَّ اصْبُروا صَبْرٍ عَلَى غِيْزْ طَايِبْ
صَبْر الجْمَالَ اللّي ثَقَلْهَا تِشِيْلهْ
والاَّ ازْبنُوا للرّوْمْ شقْرَ الشّوَارِبْ
وفضُّوا عَنِ الوِيْلاَن طِرقا طَوِيْلهْ
ما يِترك الهَسَّات لَوْ قَال تَايِبْ
مَا طُوْل مَسْحُونِ الدّوى مَا عِبيْ لِهْ
انْتُم عَرَبْ مِنْ رُوسْ قُوْمٍ عَرَايِبْ
وشْ لَوْن تَرْضُون الْخَنَا والرّذِيْلهْ
هَذِيْ عَلَيْكُم يَالسَّنَافِيْ غَلاَيِبْ
وِشْ لُوْن تِرْضُون الرّدى والْفَشِيْلهْ
مِنْ مَالِكُمْ يُوخَذْ خِرَافْ وَحِلاَيِبْ
بَاخُونكُم يَا كَاسِبِيْن النَّفِيْلهْ

لُـوْ هُـمْ بِنـي عَمِّـيْ ولُـوْ هُـمْ قَـرايِـبْ
مَمْشـي الخَطَـا نِشُـوفْ بـهِ كـل عَيلِـهْ

بعد ذلك ثار السيد (حجو) وأعد عدته، وأطلق النار على رسل جدعان بن مهيد، الذين جاؤوا ليأخذوا الأتاوة، ورفض أن يستجيب لمطلب ابن مهيد، وبعد أن عرف جدعان بن مهيد أن السبب لذلك هو محدى الهبداني عرض أمره على موظفي الدولة العثمانية، الذين يحكمون البلاد آنذاك، وقال أن هذا رجل شرير، جاء من نجد ليفسد البلاد، فألقوا القبض عليه، وزجوه بالسجن، وبعد أن مكث مدة طويلة به، قال هذه الأبيات بالسيد حجو صديقه الحميم:

قُـولَـوْا لِـ(حِجُّـو) قَبْلْ يَنعَـى بنَّـا الـدُّوْدْ
حِيَّـه فَهِيْـمْ، الطِّيِّـة مَـا تِفُـوتِـهْ
يَـاالله يَـا خَـلاَّقْ يَـا خِيـرْ مَعْبُـوْدْ
يَـا مِظْهِـرِ ذَا النُّـوْنْ مِـنْ بَطِـن حُـوتِـهْ
تِـرْحَـمْ غَـرِيْـبٍ دُوْنَـه الْبَـابِ مَـرْدُوْدْ
تُـوَازَنَـتْ عِنْـدَه حَيَـاتِـه وَمُـوتِـهْ
أطْلبَـك تِـرزِقْنَـا بِبِشْـرِكَ عَـنِ الْكُـوْدْ
هَـذَا زِمَـانٍ شَيَّبْنـي وِقُـوتِـهْ
أشـوْف أنَـا بِـالنَّـاسِ حَـاسِـدْ، وَمَحْسُـوْدْ
ولِقِيْـت لـي نَـاسٍ تِضَيِّـع سِمُـوتِـهْ
العَـدْلْ ضَـاع وزَايِـد الحَيْـفْ مَـاجُـوْدْ
ومِنْ صَاح بِيِي الْحَقْ مَا سِمِعْ صُوتِهْ

فأخذ السيد (حجو) كمية من الذهب على غفلة، وراح للموظفين الأتراك ورشاهم، فأطلق محدى الهبداني من السجن، ولكن محدى بعدما حصل له من الشيخ جدعان بن مهيد ما حصل، أبت نفسه أن يسكن بينهم فقال هذه الأبيات بالشيخ محمد بن سمير صديقه القديم، الذي أجاره من آل قعيشيش في أول الأمر وهي كما يلي:

يَـا رَاكِـبْ سُمْـحِ الْمِـذَرِع مِـن الْقُـوْد
أشْعَـلْ طِـوِيْـلَ المَتْـنْ نَبْـه شْنَـاحِـي
يِشْـدِي لِهِيْـقٍ جَفَّلْـهْ حِـسّ بَـارُوْد
علِيْـهْ زغْـر مَنُـوْمَـلِ الْمِلْـح فَـاحِـيْ
وشْـدِيِّـده مِـنْ عَـاج والنَّطْـعْ مَـاهُـوْد
ومِفصّـلٍ بـاجْـوَاز رِيْـشِ الْمِـدَاجِـيْ
تِلْفِي (اَخُـو عَـذْرَا) مْـنَ الـرّبْـع مَقْصُـوْدْ
زَيْـنَ الْهَلِيـبْ اللّـي لَـه المَنْـع شَـاحِـيْ
قـلْ لِـهْ تَـرَى دِنْيـايْ مَـا تَـازّن العُـوْد
مَـرٍّ بِيَـاتْ وَمَـرّ كُـونَـه صِبَـاحِـيْ
وافْطَـنَ تَـرَى دِنْيَـاك خَـوّانـة عِهُـوْد
صَفَّـاقَـةٍ غـرقُـوْبَهَـا بِـارتِمَـاحِـيْ
ويَـا شِيْـخْ مَـا دَامَـتْ لِكِسْـرى ودَاوْد
كَـمْ دُوْر رَبْـعٍ كِيَّفُـوا بـه وَرَاحِـيْ
يَـامَـا صَبَـرْنـا يَـاخُـوْ عَـذْرَا على الْكُـوْد
نصْبِـرْ ولاَ نطْلُـب ايْـديْـنٍ شِحَـاحِـي

عِـزّي لِمَـنْ مِثْلِـي مْـنَ الْغَبِـنْ مَلْهُـوْد
وعَمَّـا تِـرِيْـدَ النَّفْـس يقْصِـرْ جَنَـاحِـيْ
مِـنْ يُـوْم بَـانَـنْ الْمَغَـاتِيْـر بِـالسُّـوْد
بِطَـلْ جَهَلْنَـا يُـوم بَـان الْـوِضَـاحِـيْ
ويَـا شِيْـخ يَـا مِبْعِـدْ عَنـا كِـلْ مَضْهُـوْد
يَـا مْـزَبَّنَـهْ وانْ ضَـاقِ فِيْـه البِيَـاحِـيْ
يَـامَـا لِجِيْنَـابِـك عَـنِ الْحِيْـف والـزُّوْد
يُـوْم انَّهـا قَلَّـتْ عليْنَـا المِشَـاحِـيْ
ولله مَـادَامِـي عَلَـى الْقَـاع مَـاجُـوْد
مَنْسَـاك يَـا طِيْـرَ السَّعَـدْ والفَـلاحِـيْ

ثم قال قصيدة أخرى بالشيخ عبدالكريم الجربا شيخ قبائل شمر بالعراق :

يَـالله يـا خَـلاَّقْ صِبْـحٍ بتَـرْ لِيْـلْ
بِـاذْنِـكْ عَسَـى تسْمَـعْ لِعَبْـدِك سَـوالِـهْ
تفْـزَع لِمَضْهُـوْدٍ وِطَـا رَاسِـهِ الشِّيْـلْ
مَـا بيْـنْ كَـافْ ونُـونْ تِنْعَـشْ حَـوالِـهْ
يَـا دَارِنَـا عِفْنَـاكْ مِـنْ زَايِـدْ الْمِيْـلْ
عَيْقَـهْ عَـدِيْـمٍ شَـافْ نَقْـصِ الْجَـلاَلِـهْ
يَـا دَارْ يَـا دَارِ الخَطَـا والتَّهَـاوِيْـلْ
حَقَّـكْ لِمَقْلُـوْلْ الـرِّفَـاقَـة نُـوالِـهْ
يَـا دارْ مَـا يَسْكِـنْ بـكْ إلاَّ قِـوِيّ حِيْـلْ
يَقْضِـي لِحَـاجَـاتِـه بْسِيْفِـهِ لِحَـالِـهْ

يَـا رَبِعِنَـا هَيَّـا نُـوِيْنَـا الْمَحَـاوِيْـلْ
نَـزوْخ عِـنْ دَارَ الْعَيَـا والضَّـلالِـهْ
سَمّـوا وطِيْعُـونـي عَلَـى الـزَّمْـلْ ونْشِيْـلْ
لَعَبْـدالْكَـرِيـم اللِّـي تِـذَكَّـر فَعَـالِـهْ
للشَّيْـخ نَطَّـاحَ الْـوِجِيْـهَ الْقَـابِيْـلْ
ومِـنْ صَكَّتِـهْ غِبْـرَ اللَّيَـالِـي عَنـالَـهْ
الـدَّارْ دَارْ وكـلْ دَارٍ بِهَـا كَيْـلْ
والـرِّزْق عِنْـد اللِّـي عِظِيْـم جَـلاَلِـه

ثم رحل إلى الشيخ عبدالكريم الجربا، والتجأ إليه فأكرمه الشيخ عبدالكريم إكراماً بالغاً، وذات يوم وهو جالس عند الشيخ عبدالكريم في مجلسه، وأهدي إلى الشيخ عبدالكريم جواد من الخيل أصيل وقبلها، وفي الحال قدمها إلى محدى الهبداني، وكانت جواداً من أحسن جياد العرب، فقام واحد من الجالسين من شمر إلى محدى الهبداني وقال له: أسألك بالله يا محدى الهبداني أن تخبرني أي من عبدالكريم الجربا، وجدعان بن مهيد أحب إلى نفسك؟ فقال محدى الهبداني: ويحك، لا تسألني بالله، فكرر عليه الشمري ثلاث مرات، ومحدى يتهرب منه، وبعد أن أكمل السؤال الثالث قال محدى: أقسم لك بما سألتني به أن (غليون) جدعان بن مهيد عندما ينفث منه الدخان، ويعطيني آخذه وأمزه يسوى عندي عبدالكريم الجربا وقبيلة شمر، وعندما سمع ذلك الشيخ عبدالكريم الجربا ثارت ثائرته، وقال للشمري الذي سأل محدى: أنا أحرم عليك أن تسكن منازل شمر، وإن علمت

أنك ساكن في منازل شمر سوف أقطع رأسك، وطرده من مجلسه، والتفت إلى محدى الهبداني، وقال له: أشكرك على ما قلت، ولو قلت غير ذلك لاستهجنتك. فأمر رجاله أن يحضروا خمسة عشر ناقة من الإبل الوضح، أي البيض، وقال هذه هدية مني لك، مع الجواد الأبيض، تقديراً لموقفك مع شيخك جدعان بن مهيد، الذي هو شيخ الفدعان، وبقي عند الشيخ عبدالكريم معززاً مكرماً. وذات يوم كان الشيخ عبدالكريم الجربا غازياً قبيلة عنزة التي هي قبيلة الهبداني، وكان محدى برفقته، وأثناء سيرهم لحق بهم شخص من شمر، على قلوصه، مبشراً عبدالكريم الجربا أنه رزق بمولود، فقال له بعض أصحاب عبدالكريم، اذهب وبشر محدى الهبداني، صديق الشيخ عبدالكريم بشره بابنه، وكان محدى متنحياً من طرف القوم، وعندما بشره الرسول، أجابه قائلاً: لا بشرك الله بخير، واسأل الله أن المولود الذي بشرتني به لا يبلغ سن الفطام، فقال البشير ويحك يا محدى لماذا تقول هذا بابن الشيخ عبدالكريم، فقال نعم أقول ذلك لأنني أخشى أن يترعرع وينمو وتكمل رُجولته ثم يكون مثل أبيه فيقضي على البقية الباقية من قبيلة عنزة، فضحك القوم من قول محدى الهبداني، ففي الكلمة نكتة وإعجاب، وعندما سمع الشيخ عبدالكريم الجربا كلام محدى الهبداني مع الذي جاء يبشره بالمولود ضحك كثيراً، وقال ما يقوله محدى الهبداني مقبول عندي، وقد دار الحديث هذا وهم في مواطن عنزة، وكانت قبائل عنزة قبل سنة تقطن هذه الأماكن، وصدفة أمر عبدالكريم الجربا على القوم بأن يخطوا الرحال، ويناموا ليلتهم، لأنهم كانوا آخر النهار، وعندما نزلوا لاحظ الشيخ عبدالكريم أن محدى

لم يقر له قرار، وكان يسير على قدميه من حول القوم وكأنه يبحث عن ضالة، فدعاه الشيخ عبدالكريم قائلاً له تفضل يا محدى لأن القهوة والشاي قد حضرا فأتى محدى عابس الوجه، تبدو عليه علامات التفكير والذهول، لاحظ منه ذلك الشيخ عبدالكريم، فقال: ما بك يا محدى؟ فقال لا شيء يا سكران المجانين، وكان هذا الاسم يطلق على الشيخ عبدالكريم عند قبيلة شمر، وقبيلة عنزة، فكرر عليه الشيخ عبدالكريم السؤال، فقال: يا سيدي هل تعرف هذه الأماكن التي نحن الآن بها، فقال: نعم أعرفها، قال إنها منزل عنزة بالعام الماضي، وهذه حدودهم، وكنت بالعام الماضي أقطنها معهم، وقد عرفت منزل كل شيخ منهم حولنا، فقال الشيخ عبدالكريم الجربا: وهل قلت شيئاً يا محدى بذلك؟ فقال نعم لقد قلت، فقال ما قلت؟ فأنشد هذه الأبيات:

يَـا دَارْ وِيْـنَ اللِّـي بِـك الْعَـامِ كَـالْيُـوْمْ
مَـا تِقِـلْ مَـرَّكْ عِقْـبْ خِبْـري نْجُـوْمِـيْ
خَـالِ جَنَـابِـكْ بِـسْ يلْعِـيْ بِـكَ الْبُـوْمْ
مَـاكِـنْ وَقَّـفْ بِـكْ مِـنِ النَّـاس دُوْمِـيْ
شِفْـتَ الـرّسُـوْمْ وصَـارْ بـالْقَلْـبِ مَثْلُـوْمْ
وهَلَّـتْ مِـنَ الْعَبْـرَة خَـرايِـب دِمُـوعِـيْ
وِيْـنَ الجَهـام اللِّـي بِـكِ الْعَـامِ مَـرْدُوْمْ
وظْعُـوْن مَـعْ قِـدْوَة سَلَفْهـا تِـزُوْعِـيْ
أهْـل الـرِّبَـاعْ مْـرَبَّـعْـهْ كِـلٍّ مَضْيُـوْمْ
واهْـلَ الـرِّمَـاح مْظَـافِـرِيْـن الـدِّرُوْعِـيْ

رَاحُـوا لِنَـا عِـدْوَانْ وَجِنَّـا لْهُـم قُـوْم
ولاَ ظَنَّـي عِقْـبَ التَّفْـرّقْ رِجُـوْعِـيْ
وانْ صَـاحْ صَيَّـاحٍ مِـن الضِّـدْ مَـزْحُـوْم
تِجِيْـكَ دَقْـلاتِ السَّبَـايَـا فْـزُوْعِـيْ
صِفْـرٍ بِكَـاظِمْـنَ الأعِنَّـةْ بِهِـنْ زُوْم
يخِلُّـنْ سَكْـرَانَ الْمِجَـانِيْـنْ يُـوْعِـيْ
يَـرْكَـبْ عَلِيْهِـنْ بـاللُّقَـى كِـلّ شِغْمُـوْم
فِـرَيْـس، والله مـا تَهـابِ الْجِمُـوعِـيْ
خَيَّـالْهُـمْ يَنْطَـحْ مـنِ الْخَيْـل حثلُـوم
يُـوْم الاسِنَّـةْ بِـالنَّشَـامَـى شْـرُوعِـيْ
وَيَـا شِيْـخ انَـا عِنْـدَك مَعَـزّزْ ومَحْشُـوْم
وِيمْضِـي عَلَـيّ الْعَـامِ كِنَّـهْ سُبُـوعِـيْ
لاَ شَـكَّ قَلْبِـي بِـالـوَفَـا صَـار مَـاسُـوْم
لِـرَبْعِـي وَنَـا يَـا شِيْـخْ مِنْهُـم جِـزُوْعِـي
وِعَينـي لِشُـوْف الْحِيْـفْ ما تِقْبَـل النُّوْم
والْقَلْـبْ يَجْـزَعْ بِيْـن هِـدْفَ الضَّلُـوعِـيْ
وَيَـا شِيْـخْ ابـا وَصْفْـكَ يَـا مِفْنِي الْكُـوْم
يَـالصَّـاطِـيَ القَطَّـاعْ حَسْـن الطَّبُـوعِـيْ
حِلْيَـاك حِـرٌّ يفنـي الصَّيْـدْ مَلْحُـوْم
مِتْفَهِّـق الجِنْحَـان حِـرّ قِطُـوعِـيْ
حِـرٌّ عَلَـم بِـالصَّيْـدْ مِـنْ غِيْـر تَعْلُـومْ
يِـوْدِع بْـداذْ الـرّيْـش شَـتّْ مِـزُوْعِـيْ

وعندما أكمل الهبداني قصيدته، قال الشيخ عبدالكريم اطمئن يا صديقي، إننا في الصباح راجعون إلى ديارنا لأنني لا أحب أن أجد قبيلة عنزة ويحصل بيني وبينهم اصطدام وأنت معي، لأنك منهم، ولأنك جار عزيز عندنا وإنني أقدر هذه الحمية فيك، ولا ألومك بما قلت بقومك، وعندما بلغ الشيخ جدعان بن مهيد ما حصل من سؤال الشمري في مجلس الشيخ عبدالكريم الجربا، وعن هذه القصيدة الأخيرة، التي قالها عند عبدالكريم الجربا، أرسل إلى محدى وفداً يدعونه ليرجع إليهم، وأن له كل ما يطلبه، وأنه سيبقى عندهم معززاً مكرماً، ولن يعصوا له أمراً، ولا توجه إليه إهانة، فاعتذر محدى من الشيخ عبدالكريم الجربا، واستأذنه للرحيل، فسمح له بعد أن أنعم عليه وأكرمه، ورجع إلى الشيخ جدعان بن مهيد شاكراً لعبدالكريم الجربا فضائله وكرمه وأخلاقه، وبقي عند جدعان طويلاً مكرماً معززاً إلى أن تذكر بلاده نجد وحن إليها، واشتاق أن يحج لبيت الله العتيق، ويزور مسجد نبيه الكريم، فاستأذن من الشيخ جدعان بن مهيد ورحل من بلادهم إلى بلاد نجد، مع قبيلته آل فضيل، ورجع إلى موطنه ومسقط رأسه نجد العزيزة وحج بيت الله وزار مسجد نبيه بعد أن قال هذه الأبيات:

يَـا الله يَـاللِّـيْ مَـا دِخِيْلِـكْ يِنْضَـامِـيْ
يَاللِّي عَفِيْتْ، وَخَل لِطْفَكْ عَلَى ايُّوْب

أطْلبْـك يَـا مِخيـي هَشِيْـمَ الْعِظَـامِـيْ
وَالـي وَلا غِيْـرَك ولِـيّ وَمَطْلُـوْب

يَــالله تَجْمَــعْ شَمْلِنــا بِــالتَّمَــامِــيْ
يَـاعَـاقِـلْ يُـوسُـفْ عَلَـى ابُـوهْ يَعْقُـوبْ
بِجَـاه (مِـنْ صَلَّـى) لِـوَجْهِـكْ وِصَـامِـيْ
تفْتَـحْ لِنَـا مِـنْ بَـابْ لِطْفِـك لِنَـا بُـوْب[1]
وِبجَـاه (مَـنْ) لَبَّـى وَلَبْـسَ الْحِـرَامِـيْ
ورِقَى عَلَى رَاس الْجِبَلْ قَاضِي النُّوْبْ
يَـا عَـالـمٍ بـاللّـي خَفَـى مِـنْ كَـلاَمِـيْ
تَبْهَـجْ فُـوادِ اللَّـي عَلَـى الْبِيْـتْ منعُـوْبْ
يَــالله يَــا مسقِــي كِبُــودٍ ظُــوَامِــيْ
مِـنْ مِـيّ (زَمْـزَم) نَـافِـلْ كـلّ مَشْـرُوْب
هَيَّــا ودَنُّــوْا لِــي رِكَــابٍ هْمَــامِــيْ
نِبِـيْ نِـزُوْر اللَّـي عَلَـى القَلْـب مَحْبُـوبْ
نِبِيَّــا نِضْفِــي عَلَيْــه السَّــلامِــيْ
وِحِنَّـا عَلِيْنَـا الحَـجْ فَـرْضٍ وِمَكْتُـوْبْ[2]

هذه ترجمة محدى بن فيصل الهبداني أستقيتها من الطاعنين بالسن من رجال قبيلة عنزة وغيرهم وكم بها من جوانب عامرة وفضائل معجبة.

---

(١) الدعاء بجاه مخلوق: بدعة، ولكون هذا معروفاً عند أكثر القرّاء الآن، وكون الشاعر يجهل ذلك ومحافظة على نص القصيدة، تركنا اللفظ بدون تغيير، والله يغفر للشاعر فقد عاش في البادية في ناحية لم ينتشر فيها العلم في عهده.

(٢) يقصد زيارة المسجد النبوي الشريف لأن شد الرحل للقبر المطهر ليس مشروعاً.

خَلَف الأُذْن

خلف الأذن ـ نسبه ـ فروسيته ـ شعره ـ الوضيحي مع خلف وشعر في ذلك ـ الشاعر ابن قويفل ـ خلف الأذن مع مشائخ قومه آل شعلان ـ حروب قبيلته مع ابن مهيد ـ قتل تركي بن مهيد ـ ابن مهيد من أبرز الشخصيات وأكرمها ـ الشعر في مقتل ابن مهيد ـ أسر محدى ـ شعر في ذلك ـ قتل مشائخ بني صخر ـ فهد بن هزاع وعداوته لخلف الأذن ـ قصة جواد خلف ـ خلافه مع النوري ـ شعره في ذلك ـ وفادته على سعود بن رشيد ـ قصته مع زامل وشعره فيه ـ قتله من قبل غزاة من شمر ـ لجوء ابن عدلان من شمر إلى خلف وإكرامه له وهو مقطوع الأيدي ـ إغارة آل زيد من آل شعلان قبيلة خلف على التومان من شمر وقتلهم فيصل بن سند الربيع زعيم التومان.. إلخ.



خلف الأذن

هو الفارس الصنديد، والشاعر المجيد، خلف الزيد الأذن الشعلان، من عائلة آل شعلان الكبيرة، رؤساء قبيلة الرولة المشهورة من عنزة، هذه العائلة تنقسم إلى أربعة أفخاذ، آل نائف والرئاسة متسلسلة فيهم إلى الآن، وآل مشهور، وآل مجول، وآل زيد الذين منهم خلف الأذن، وعائلة الشعلان مشهورة بين القبائل، وقد برز منهم عدد من الأبطال، كانوا مضرباً للأمثال بالشجاعة، وقد قال شاعر شمر بصري الوضيحي متحدياً معرضاً، هذه الأبيات وذكر فيها مجولاً والدريعي، مجول جد آل مدول، والدريعي جد آل مشهور، والأبيات كما يلي:

أبَـا اتمَنَّـى كَـانْ هِـي بِـالثّمَـانِـيْ
صَفَـرا صَهـاة اللُّـون قَبَّـا طلِيْعـيْ
وسِـرْوَالْ تُـوْمَـان وِمثْـل الشّطَـانِـيْ
ومْصقَّـلٍ مِثْـل الثّغَـب لَـه لِمْيعِـيْ
أبِـي لِيَـا لَحَـقَ الطَّلَـبْ لَـه غَـوانِـيْ
والْخَيْـلْ مِنْهَـا (مجْـوِل) و(الـدرِيْعـيْ
أرُدّهـا وإنْ كَـانْ ربِّـيْ هَـدانِـيْ
مـنَ الْمْعـرقـة يـاتِـيْ عَلَـى الخـدّ رِيْعِـيْ

أرِدْهَا لِغْيُونْ صافِيْ الثّمانِي
بِيضَ النُّحُوْرِ مِهْلْكات الرّضِيعيْ[1]
قَدّامْ شمّرْ مِثْلْ زَمْل الصَحَانِيْ
اللّي يِخَلْوْن المخَالفْ بِطِيْعيْ

وقد قدر للوضيحي أن يغزو مع (بنية) الجربا، شيخ شمر، يغزو قبيلة الرولة من عنزة، قبيلة آل شعلان التي منها مجول والدريعي، فقد أغار (بنية) هو وفرسانه على إبل للرولة، وأخذوها، ولحقهم الدريعي ومجول، كما تمنى الشاعر بصري الوضيحي، ومعهم فرسان من قبيلة الرولة، ليخلصوا الإبل من شمر، ففكوا الإبل، وراحوا يطاردون الجربا، وفرسان شمر، وقد حمي الوطيس بينهم، ويقال أن الدريعي بن شعلان ضرب فارساً من فرسان شمر بالسيف، وطار رأسه من على منكبيه، وعندما رآه الشاعر بصرى الوضيحي، دهش من هول الضربة، فولى هارباً، وترك قومه، وقد دافع أبطال شمر دفاعاً بطوليًا، وتخلصوا من فرسان الشعلان، وعندما وصل (بُنيّة) الجربا مضارب عشيرته، كان غاضباً على بصري الوضيحي، لما رآه من جبنه، وفراره.. فدعاه ليحقق معه وليؤنبه على فراره، وعندما سأله أجاب الوضيحي بهذين البيتين على بحر وقافية الأبيات التي قبلها:

أنَا بلايَة لأبِيِسْنَ القِطَانِيْ
اللّي يِخلوْن المخالِفْ بِطيْعيْ

---

(١) كناية عن صغر ثُديّهن.

مـنْ فُـوْقْ قـبّ مكْـرِمـات سمـانِـي
يِشـدْنْ شِيـاهِيْـن تخطَّـفْ مْـرَيْعِـي

وبعد أن سمع كلامه، حكم عليه أن يغسل جواده بالصابون ثلاث مرات، بين فرسان شمر، ليطهر جسمها، لأنه لا يستحق ركوبها، وكانت هذه الفرس من الخيل الخاصة (لبنية) الجربا، ثم قال فيهم أحد شعراء شمر المسمى ابن قويفل:

يـا مْـزنـة غـرَّا تقـافَـى رعَـدْهـا
تِمْطِـرْ علـى دار الـدّرِيْعِـي ونـايِـفْ
خلّـه علـى الـوِدْيـانْ تِـذْهَـبْ ولـدهـا
بِـدْيـارْ مِكـدِيْـنَ الْمْهَـارَ العَسـايِـفْ
تمْـلاَ الخَبـارِي لِلـدرِيْعـي يِـرِدْهـا
بِقْطْعَـان عجْـلات علـى الْمَـا، زَهـايِـفْ
يـا ذِيْـبْ يـا شـاكٍ مِـنِ الْجـوع عِـدْهـا
كـان انْـتْ لـرمـاح الشّمـالِيْـنْ ضـايِـفْ
تَلقـى الْعَشـا صفْـراً صِخِيْـفٍ جسـدْهـا
مِـنْ كـفّ سِتْـر مْعطـراتَ العطَـايِـفْ
وكـمْ سَـابِـقٍ بِـالْكـف عـاقـوْا جهـدْهـا
مِضْـرابَهـا بِـالْجُـوْف مـا هـو مْسَـايِـف
مِـنْ كـفّ شغْمُـوم ورَدْ مِـن هـدَدْهَـا
أو شَـايِـبٍ شيْبِـهْ مِـن الْخَيْـل هَـايِـفْ

كـمْ قـالِـةٍ قَفّـوا بِهـا مَـا بعـدْهـا
رَاحْ يِتْـولاهـا الـدّرِيْمِـيْ ونَـايِـفْ
حـالُـوا وراهـا ودُوْنَهـا هـم لِـدذهـا
وقـد عـوّضَـوا طِـلأبَهَـا بِـالْحسـايِـفْ
تنشّبـتْ محـدٍ[1] بِحلُّـلْ عَقَـدْهـا
ومِـنْ دُونَهـا يِـرْوُوْن بِيْـضَ الـرهَـايِـفْ

ثم قال فيهم ابن قويفل أيضاً هذه القصيدة وذكرهم جميعاً:

اللّـي يِكَفُّـونَ الشّـوارِبْ بـالايْمـانْ
هيبْـتْ يَـاحَـظٍ تَنَحيْـت عَنْهُـمْ
أَقْفَيْتْ عَـنْ رَبْعِـكْ عْيَـال ابِـنْ شِعْـلانْ
اللّـي كِمـا شَـلْ الـرُّوَايـا طمَنْهُـمْ
مـا يِنتِخْـون إلاّ بِعلْيَـا وعَلْيـانْ
وانّ حَـلّ ضَـرْبَ مْخَلّـصٍ جِيـزْ مِنهُـمْ
لَبّـاسـةٍ عنـد المِظـاهيـرِ شيْـلاَنْ
صـديـق عِيْنِـك مـا يِطيـح بِحضْنهُـمْ
نـزْل الخَـلاَ مـا هُـمْ قَـراقيْـن سكسَـانْ
مَـا سقْسقَـو[2] للْعَنْـزْ تَبْـغ ظعْنهـمْ

(١) محد: ما أحد.
(٢) السقسقة كلمة تُدعى بها المعزى: سِقْ. سِقْ ـ وتكرّر.

قطعـانُهـمْ وِانْ شـرَّقَـتْ تقـل غـزْلاَنْ
وانْ غـرَّبـتْ مثْـلَ الْبَـرد هـاكْ عَنْهُـم[1]
الْقلْـب مـا يَنسـى طـويْليْـن الايْمَـانْ
اللِّـي يِقـزُّونْ الْعـدُو عـن وطنْهُـمْ

وقد قيل في آل شعلان أشعار كثيرة، ولهم تاريخ حافل بالبطولات والكرم الفياض.

ونرجع إلى الشيخ خلف الأذن، فالمذكور عاصر ثلاثة من أبناء عمه آل نائف، الذين فيهم الرئاسة، وهم سطام الحمد، وفهد الهزاع، والنوري الهزاع، وقبل هؤلاء المشائخ، وفي مطلع شبابه كان قد أدرك آخر حياة الشيخ فيصل بن نائف الشعلان شيخ قبيلة الرولة، وغزا معه مرة واحدة، قتل فيها الشيخ العواجي، وكان هؤلاء المشائخ لم ينسجم معهم خلف الأذن، ودائماً والخلافات قائمة بينهم، والسبب لذلك هو شخصية خلف الفذة، وطموحه وشجاعته، فأبناء عمه الرؤساء يأمرون أحياناً بأوامر لا يستسيغها، ويرفضها، ولذلك فهم يحقدون عليه، وليس باستطاعتهم أن ينفذوا أوامرهم عليه بالقوة، لأنه لا يمكن أن يتجرأ عليه أحد، ثابت الجنان، وشجاع فذ، وصارم فتاك، ويلتف حوله أبناء عمه آل زيد، وكلهم أبطال، ومن ناحية أخرى فهم يحترمونه لهذه الخصال التي ذكرناها، ويذخرونه للملمات؛ لأنه برز بشجاعة، وتفوق بفروسيته، وجندل من أعدائه عدداً كبيراً، وكان لا يقتل إلا

---

(١) هاك عنهم: ينطق الكاف قريبة من مخرج السين. والمراد هناك هكذا عنهم.

الفارس الذي له شهرة، وقد قتل عدداً من شيوخ القبائل، وسوف نأتي بذكرهم، وبعد أن قتل هؤلاء المشائخ سمي بأبي الشيوخ، أي قاتل الشيوخ، ولازال معروفاً بنجد بهذا الاسم، فإذا قيل الشيخ خلف الأذن، أضافوا إليه أبا الشيوخ.

وفي عهد مشيخة سطام بن شعلان، أغار الشيخ تركي بن مهيد، شيخ قبيلة الفدعان، على إبل عائلة الزيد الشعلان، وهم غائبون عنها، وأخذ إبلاً كثيرة منهم، ومن ضمنها إبل ابن عم خلف الأذن، المسمى (عرسان أبو جذلة) آل زيد، وهذه الإبل مشهورة بنجد، وتسمى (الغلي) وألوانها وضح أي بيض، وقد تأثر عموم الشعلان لهذا الأمر، إلا أن الشيخ سطام بن شعلان رئيسهم يعارضهم بذلك؛ لأنه مصاهر للشيخ تركي بن مهيد، وزوجته تركية أخت الشيخ تركي بن مهيد، ولا يحب أن يقع بينه وبين أصهاره خلاف، ويود أن يفاوض تركي بن مهيد، ويحل القضية حلاً سلميًا، ولكن تركي بن مهيد رفض كل عرض عرضه سطام بن شعلان، وتأزمت القضية، وأصر خلف الأذن، وابن عمه عرسان أبو جذلة وبقية آل زيد على أن يأخذوا ثأرهم من ابن مهيد بالقوة.. وأخيراً انضم إليهم عموم آل شعلان، وانضم إليهم عموم مشائخ الرولة، وقد تحير في الأمر الشيخ سطام، لأنه يكره أن يهاجم صهره، الشيخ تركي بن مهيد، بصفته هو رئيسهم، وإن لم يعمل بذلك فليطلبوا من النوري بن شعلان أن يقودهم لمهاجمة تركي بن مهيد، وأخذ الثأر منه، واسترجاع الإبل المذكورة، ولابد من تنفيذ أحد الأمرين.. وعندما أتوا الشيخ سطاماً وعرضوا عليه ما قرروه، وعرف

أن الأمر جد، وكان الشيخ سطام من أدهى الرجال وأذكاهم، ومن أحذرهم وأحذقهم وكان مخفياً لأسراره.. وقد قال به ابن عمه محمد بن مهلهل بن شعلان قصيدة هذا بيت منها:

يمشي مع الضَّاحيْ ويخفي مُواطِيْهْ
ويكْمَى السحابَة وِانْتْ تُوْحيْ رَعَدْها[1]

بعد أن لاحظ تصميم عموم آل شعلان أبناء عمه، قرر أن يكون معهم، وأن يكون زحفهم بالصباح، وكان ابن مهيد على مقربة منهم، وأرسل شخصاً بصفة سرية لينذر ابن مهيد، ولكن ابن مهيد عندما وصل إليه الرسول وأخبره بكلام صهره سطام قال له ارجع إلى سطام، وأخبره بأنني لست ممن يقعقع له بالشنان.. فلن أبرح مكاني هذا حتى أردهم خاسرين، وكان شجاعاً ومقداماً، وقد سبق السيف العذل، وحصل الهجوم الكبير، من قبائل الرولة، وظهرت كراديس الخيل، وفي مقدمتهم فرسان آل شعلان، وأولهم النوري الهزاع، وخلف الأذن أبا الشيوخ، وحصلت المعركة، وحمي الوطيس، وكان تركي بن مهيد لابساً درعاً وخوذة، وقد وقف بالميدان موقف الأبطال، وعجز الفرسان أن يتغلبوا عليه، وقد اختار خلف الأذن تلاً عالياً ووقف عليه، على صهوة جواده، المسماة «خلفة» ولم يشترك بالمعركة، إلا بعد أن لاحظ عجز الفرسان عن التغلب على تركي بن مهيد، عندها انقض عليه، واختطفه من فوق ظهر الجواد، وترجل به على الأرض، وضربه بسيفه

(١) مبالغة في حفظ الأسرار وإلا فأي أثر لا يبين في الرمل وهل تخفى السحابة عندما يدمدم فيها الرعد؟ وتحمل الأشعار الشعبية من مثل هذا البيت أفانين شتّى.

(شامان) على أنفه، إلى أن طار أنفه، وتركه وراح يطارد بقية الفرسان، بعد أن قال لمن حوله من فرسان قبيلة الرولة: إن هذا تركي بن مهيد، وقصده من ذلك أن يقتله من كان حاقداً عليه، وقد تداعى عليه فرسان الرولة، وقتلوه وكان خسارة كبرى على قبيلة الفدعان، وهو من أشجع الرجال، وكان يضرب به المثل بالكرم الحاتمي، ويسمونه «مصوت بالعشا» أي إنه بعد المغرب يأمر أحد رجاله فيعلو مرتفعاً من حوله، ثم يرفع صوته منادياً، من كان يريد العشاء فليتفضل، هذه من خصال المرحوم الشيخ تركي بن مهيد، وبعد انتصار الشعلان، وقتلهم ابن مهيد، وأخذهم جميع أمواله، وأموال قبيلة الفدعان، واسترجاع الإبل (العلى)، إبل (عرسان أبو جذلة) ابن عم خلف الأذن قال خلف هذه القصيدة، مفاخراً بها، وملمحاً بها عن الموقف:

حنـا عصينـا شيخنَـا مـنْ جهَلْنـا
الشّيْـخْ شَيّـال الْحمُـول الثقيْلـة

وارْخَـصْ غـلاهُـم واشْتـرى بِـه زعلنـا
الله يمهِّـلْ بِـه سنيْـنِ طِـويْلـة

وانـا الحمِـدَ الله طَـارْ عنّـا فِشلْنَـا
جمَـلْ مِصبـه فـوْقَ رَاسَ الغَلِيْلـة

إنْ قِـدّم الْمَـركَـبْ وعِنْـدَه حَفلْنَـا
كَـمْ رَاسْ شِيْـخٍ عَـنْ كِتُـوْفـهْ نِشِيلْـهْ

هـذِي فْعُـوْل جْـدُودِنَـا هُـمْ واهْلنَـا
بـالسّيـف نِقَـدّي تَـايِهِيْـنَ الـذّلِيْلـهْ

مَـا نَنْعشِـقْ للْبِيْـض لُـوْ مـا فعلْنـا
ولا تِلْكِـدْ بِعْقُـوْبِنَـا كِـلْ اصِيْلِـهْ

وعندما علم محدى الهبداني الشاعر المشهور، بمقتل الشيخ تركي بن مهيد، وكان محدى الهبداني من أصدقاء والد تركي، الشيخ جدعان، قال هذه القصيدة يتوعد خلفاً الأذن بأخذ الثأر:

يـا خلـف الآذَانْ بـالِـك تَغبّـا
يِـذْكـرْ لِنَـا عِنْـدكْ قِعُـوْدٍ جِـلاَبَـهْ
بـالْحَـرْبِ عِنْـدي لَـك خمُـولٍ تُعَبـا
وِبِيْنـي وِبِيْنَـك يـالـرّوُيْلِـيْ طْـلابَـهْ
إنْ مـا خَـذيْنَـا الثَّـارْ وَالاّ نْهَبَّـا
وِيبقـى عليْنَـا عِقْـب تِـرْكِـي جَنـابَـه
نَصْبِـرْ ولا بِـدّ الْهبـايِـبْ تِهِبّـا
وِنجِيْـك فُـوْق القِحْـصْ مِثْـل الـذّيَـابـهْ
نـرِيْـدْ ثـارَ اللّـي بِيطْنِـك مْسَبّـا
شِيْـخَ الشُّيُـوخَ اللّـيْ عـزِيْـزٍ جِنـابَـهْ

فأجابه خلف الأذن بهذه القصيدة:

كـانَ انْـتْ يَـا مِحْـدَى لِعِلْمِـي تَنبّـا
عِيْـبٍ عَلَـى اللّـيْ مَـا يِثَمّـن جِـوَابـهْ
انشِـدْ وِتِلْقَـانِـي عَلَـى سَـرْجْ قَبّـا
مَـعْ سِـرْبـة الآذانْ وِالاّ الشّيـابـهْ

قــب لِعَضمِيْـنَ الشَّـوارِبْ تْـرَبِّـى
يَـامَـا غـدًا بِظْهُـورِهِـن مِـنْ طـلاَبَـةْ
كـمْ شِيْـخْ قُـوْمٍ مِـنْ طَعَنَّـا تِكَبَّـا
وعـدُوَّنَـا سِـمْ الأفـاعِـيْ شَـرَابَـةْ
أشْبِـعْ غيـالِـكْ جِعْـلْ قِبْلِـك يْهَبَّـا
شـاعِـرْ نَـوَر تَلْعَـبْ عَلَـى أبُـو عَتَـابِـةْ
لَـوْ أنْـتْ مِـنْ حضـنَ الـرَّمَـك مـا تْشَبَّـا
مِـنْ عِـذْرَةِ السـاجُـوزْ واللّـي رِبـابَـةْ

ومن الصدف الغريبة أن محدى الهبداني، غزا قبيلة الرولة مع غزية من قبيلة الفدعان، وهاجموهم، وأخذوا منهم عدداً من الإبل، وهبت قبيلة الرولة لتخليص إبلهم، وفعلاً هزموا فرسان قبيلة الفدعان المغيرين، وخلصوا إبلهم، وأسروا عدداً من فرسان الفدعان، ومن بين المأسورين (محدى) الهبداني، أسره أحد فرسان الرولة، وأخذ جواده منه، وكان محدى الهبداني صديقاً للشيخ محمد بن سُمير شيخ قبيلة (ولد علي) من عنزة، وبعد أن علم بذلك خلف الأذن، أرسل إلى محمد بن سمير هذه القصيدة:

يـا رَاكِبِيْـن أكْـوَارْ حِيْـلٍ عَـرامِيْـس
يقْطَعْـنْ مِيْـدْ مْسـاهِمَـاتَ الْحِـزُومِـيْ
حِيْـلٍ تِـذِبْ أكْـوَارهـا بِـالنَّسَـانِيْـس
يَـا حِلْـوِ مِـرواح النَّضَـا عِقْـبْ نـوْمِـيْ

إنْ رَوَّحَــن مِثْــلَ الحمَــامَ الْمِمــارِيْــن
رِكَّــابِهِــن مَــا يْستِضِيْــفٌ الْهَــدْوِمِــيْ
صِبْـح أزبَـع فـي غِيْبَـة الجِـنْ وابِكْيَـن
بِلْفِــنّ لِبِيّــوت الــرّفَــاقــهْ لِــزُومِــي
بِلْفــنّ مِحمّــد زَبْــنْ خِيْــل المَــراوِيْــس
الــوايلــي زَبْــن الحصَــانَ الْعُــزُومِــيْ
قِـل لِـهْ تَـرى حِنّـا خَـلِيْنـا النّـوامِيْـس
بِسْعُــود مــوْلانــا قــويّ الْعِــزُومِــيْ
وِتْجَارتِكْ يَا شِيْخْ ضاعتْ مِنَ الْكِيْس
تفَــرّقَــت لِمِنْقَطِيــنَ الْخــرُومِــيْ
ورَاحَــنْ عْلَيْمــات الْهَبَيْــدِي بِسَــابِيْــس
خَلّــوْه بِقيَــاعِ الشَّجَــرْ يِقِــلْ بُــومِــيْ
كَيْـفَ الـوَهَـمْ يَـرْمِـيْ عَـرُوْدَ الْقَـرانِيْـس
مــا بِـهْ صُــوَاب وعَــاجِــزٍ لاَ يِقُــومِــيْ
عَــاقُــوه ربْـع يِبِغْــدُون المنَــاطِيْــس
أهْــل الْمهــار مْنَــزَّحِيْــن الْخُصُــومِــيْ
وانْ جَــا نهــارٍ فِيْــه جـدْعَ المَــلابِيْــس
يــا بِنْـتْ عَـنْ مِثْلـه هــاك الْيُوم شُـوْمِـيْ

وحيث أن الخلاف بين خلف الأذن والشيخ سطام بن شعلان لازال قائماً، وبالرغم مما بينهم من جفوة، فعندما حصل بين الشيخ سطام بن شعلان، وبين مشائخ بني صخر خصام أدى إلى أن زحف عليهم

سطام، بقبائل الرولة من الأراضي السورية، وكان مشائخ بني صخر مع قبائلهم بأراضي البلقا، والسبب لذلك أن آل فايز رؤساء بني صخر، أخذوا إبل النيص عبد ابن شعلان، بطريق الغدر، ومشائخ بني صخر كانوا أعداء ألداء للشيخ خلف الأذن، فقد أعجبه تصميم ابن عمه سطام على زحفه على بني صخر، وكان به شيء من تحقيق رغبته وقد حصلت المعركة بين آل شعلان وبني صخر وهزم بنو صخر وشردوا عن بلادهم، وبعضهم هرب إلى جهات الغور، وفي هذه المعركة قتل خلف الأذن عدداً من مشائخ بني صخر، ومن المعروفين منهم الشيخ طه، والشيخ مناور، والشيخ سطعان، وقد قال خلف الأذن بهذه المعركة قصيدتين، الأولى أثنى فيها على الشيخ سطام بن شعلان، رغم ما بينهما من الجفوة، ولكنه كان راضياً عنه، لأنه شفى غليله من أعدائه آل فايز، وآل زبن رؤساء بني صخر، وهذه القصيدة الأولى:

عيَّا الفهدْ، ما كلّ الاشْوار طاعَهْ
قصَّارْ مِنْ شَارِبْ خصِيمِهْ لِيا زَادْ
منْ صَافي البَالُوْد فِيْه القِطاعَهْ
مِفْراصْ بُولاد الدّوَلْ هُم والأكْرادْ
علْمَانْ زاع، وسمّح الله ذِرَاعَه
قَواطَرْ يِهِزّ الرّيْش مِنْ غِيْرْ قوادْ
بيْن (الفِديْن) وبِيْنْ (بُصْرى) مِزاعِهْ
فضبٍ عَلَى شبلي، وعَشمٍ على طرَادْ

نبـيْ نـدوزْ اغـويـسْ راع البِيَـاعـهْ
إنْ جَـوْ مْـن الْكـزوهْ عَلَـى الْمـلْـخ مـدّاذْ
يَـا غـوَيِّـس لَـكْ عنْـديَ بـالايـامْ سَـاعَـهْ
يُـوم يِعيـفْ سـابِقـكْ كِـلّ الافْـواذْ
اللّـي نحـرْ (خـورَان) حَـطّ الـرّتـاعـه
واللـي تِقلـع مِـنْ وَرا (الهِيشْ) مِـنْ غـاذْ
أبـا الظّهُـوْر اللّـي يحَفْـظَ الْـودَاعـهْ
مِثْـل صِبـاح ازمنـخ والطـرْشْ مـا قَـاذْ
سِـرنـا عَلَـى نَـزْلٍ تَـلافَـخ رِبَـاعِـهْ
للطّـرْش قهّـارٍ ولِلّلْـم جَـلاذْ
بـاوْلاذْ عـمٌ كـل ابُـوهُـم جِمَـاعَـهْ
عَـاداتَهُـمْ بِـالْكـوْنِ ضكّـات الاضْـداذْ
كـمْ سـابِـقٍ جتْنـا بِـالايْـدِيْ قْـلاعـهْ
وكـمْ راس شِيْـخ طـاخْ بِسيُـوفَ الاوْلاذْ
وِقْطعَـانِهُـم صـارتْ لِـربعِـي طِمـاعـهْ
وقِمنـا نَعَـزِّل بيْنِنَـا شقْـح الاذْواذْ

أما القصيدة الأخرى، فقد ذكر فيها مقتل الشيوخ من بني صخر، وقال: إنكم يا بني صخر شجعان، وكرماء ولكنكم تمتازون (بالبوق) والغدر والخيانة، وهذه صفات غير محمودة بين العرب، ثم قال: إن جديكم فرج، وأسعد، عثر حظهم وما أفادوكم رغم أنكم تتباركون بهم، وهاهم شيوخكم قتلى على الأرض، ولم ينجدكم أجدادكم، وهو

يقصد من ذلك أن بني صخر كانوا يعقرون العقائر على قبور أجدادهم ومنهم فرج وأسعد، ويتباركون بهما، ويدعونهما بالملمات أن يفرجوا كربهم، ويستنصرون بهم على أعدائهم، وهذا شرك ولا شك فالمعين هو الله سبحانه وتعالى، وهذه هي القصيدة:

يَا زمِيْح لَوْلاَ البوْقْ مَا انتمْ رِدِيَّيْن
بِذبْح العدِيْمْ وصبْكُم لـلادَامِيْ
يا رمِيْخ وِضْح النَّيْصْ ما عَقَّبْن شِيْن
هِنْف الخشـوْم ونـابِيـات السّنـامِيْ
بنيتْ بيُوْت الحَرْبْ حد (اللّبـايِنْ)
وِشفْح تنـازَى بِـالمِشـاتي مِظـامِيْ
وثـارَ الـدَّخـنْ مَـا بيـنْ كِـلّ القِبيْلِيْـن
بِمْـزْربـط بِكْسـر مِتِيْـن العِظـامِيْ
وجِبْنا حِليّ الرِّيْش زِيـنْ عَلَى زيْـن
وبِنْـتَ الشُّيُـوخ تِصبـدْغـهْ بِـالخِـزامِيْ
وطـه ومنـاوِر والشُّيُـوخَ المسمَّيْـنْ
ذبَّـاخهُـم مـا هُـو بحـال الاثـامِيْ
يَـا ذِيْـبْ صـوّتْ للنشُـوْر المُجْيِيـن
ازع الشيُـوخ مجـدّعـهْ بِـالكَـزامِيْ
وفـرَج مـع اسْعـدْ لا يعُـوْهُـم شيـاطِيْن
ويـا زمَيْـخ حـظّ اجْـدودكـم بـانْخدامِيْ

جوكمُ هل (الْعلْيَا) عِيَال الشّمالِيْن
فُوْق الْمَهَارِ مْشوراتِ الْعسامِيْ
يامَا فِجوْا غِرَّاتْ بذْوِ عزِيْزيْنْ
وِيامَا وِقْع بِنْحُوْرهُمْ مِنْ غْلاَمِيْ
عَلَى طرادَ الضّدْ يَا زمِيْخ قاسِيْن
وِمكلِّلِيْن اسْيُوفهنم بِالْهوامِيْ
دِجْنَا بِوسْط اذْيارِكُمْ يا مِسَاكِيْنْ
وِمنَّا تِقَلَّدْتُمْ قِلُوب النّعامِيْ[1]
تِقلّعوا لِلْغُوْر يَمّ العداوِيْنْ
وعْيُونكُم مِنْ همّنا ما تنامِيْ

وبعد هذا لم يترك شيوخ بني صخر خلف الأذن، بل أخذوا يتربصون به، لعلهم يأخذون ثأرهم منه؛ لأنه ذبح عدداً من شيوخهم، وكان من عادة الشعلان إذا رحلوا من نجد إلى الأراضي السورية، لا يمشون مجتمعين بل كل عائلة منهم يكون معهم قسم من قبيلة الرولة، وكان من عاداتهم أن أول من يتقدم بالمسيرة هم عائلة آل مجول، ومعهم قسم من الرولة، ثم عائلة المشهور ومعهم قسم منهم، ثم عائلة آل نائف الرؤساء ومعهم قسم منهم، ثم عائلة آل زيد، ومعهم قسم منهم، وهذه العائلة هي عائلة خلف الأذن، وكان شيوخ بني صخر بقيادة

---

(١) كناية عن الذل، ومنه البيت المشهور:
أسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر

الشيخ طراد بن زبن، قد فهموا عنهم هذه الطريقة في المسير فكمنوا في موقع قرب آبار ميقوع، المنهل المعروف في وادي السرحان لأخذ الثأر من خلف الأذن، وقد استنجد طراد بن زبن بفرسان قبيلة السردية، بقيادة الشيخ الجنق، ومعه الشيخ شلاش بن فايز، وشلاش المذكور شجاع مقدام، ويسمى الضمان أي أنه يضمن إبل قبيلة بني صخر من الأعداء، إذا كان حاضراً عندها، وعندما قرب خلف الأذن من الماء المذكور، في طريقهم إلى سورية، سبقتهم الإبل لتشرب وكان الشيخ خلف على إثرها بالظعينة، ومعه أبناء عمه آل زيد، ومن معهم من قبيلة الرولة، وكان كل واحد منهم على هجينه مستجنباً جواده، آمنين وهم يتقدمون الظعائن، وقد مروا بنسر قشعم، نازل على الأرض، وعندما قربوا منه راح يمشي على رجليه عاجزاً عن الطيران، من الجوع فالتفت إليه خلف الأذن، وقال كم أتمنى لو يكون معركة، قرب هذا النسر العاجز عن الطيران، من شدة الجوع، ليعتاش من القتلى، ليطير، فضحك رفاقه، وبعد مضي دقائق من كلام خلف، أشرفوا على آبار ميقوع، وإذا بالخيل قد أخذت إبلهم، وحالت بينهم وبين الإبل، فنزلوا عن هجنهم، وراحوا يلبسون دروعهم وركبوا خيولهم، وأغاروا على الفرسان الذين أخذوا إبلهم وتبين لهم أنهم من بني صخر، وآل سردية غرمائهم المشهورين، وقد حمي الوطيس، ودارت رحى المعركة بضراوة، وكان يوماً عبوساً، وبعد عناء طويل، خلص الشعلان إبلهم من العدو، وراحوا يطاردونهم، إلى أن قتل خلف الأذن الشيخ شلاش، ثم قتل الشيخ الجنق، أما الشيخ طراد فقد نجا، لأن جواده كان سريعاً جدًا، فلاذ بالفرار، وعجز الشعلان عن اللحاق به، وقد غنموا خيولاً

كثيرة، وقد انتصروا انتصاراً رائعاً على بني صخر، وأعوانهم ثم قال خلف الأذن هذه القصيدة بعد انتصارهم:

الله يـــاكُـــوْن جــرى عِنـــدْ ميقُـــوْعْ
كُـــوْنٍ يِنَشــرْ بِـــهْ غيَـــاراتْ واقمــاشْ
يُـــوْمْ الْتهِيْتَــا نلْبِـــس الْجُـــوْخْ وِدْرُوْع
واعْرِضْ لنا الطَّابُوْر مِن دُوْن الادباش
المنْــع يــا ركّــابــة الخيْــلِ مَــزْقــوْعْ
مِن نِيْشْ بـاطْراف الْمِزَارِيْـغْ مَا عَاشْ
كــمْ راس شيْـخ مِــنْ تَـرَاقِيـهْ مَشْلُـوْعْ
وأوّلْ سعــدْنَـا وطيــةِ الْحُمُــرْ لِشــلاَشْ
والْجنـق أخَـذْ مِـنْ رايـب الـدّم قِـرْطُـوعْ
مِـنْ عِقْـب شِـرْبه للقهـاوي على فْـرَاشْ
خِللّي عَشـاً لِمْهـرْفـل الـذِّيْـبْ مَجْـدُوع
والضِّبْعـةَ العَـرْجَـا تِـدُوْرْ بِـهِ اضْـراش
والشـايِـبْ اللّـي قَفْـونَـا يِشْكِـي الْجُـوعْ
لُو هُو حَضرْنا نَفضَ الريْش واغْتَاشْ
زِنْـزُومُهُـم عِقْـبَ الصَمَـالـة غـدَا طُـوْعْ
عِقْـب الْهَـدِيْـر اسْتفْـرَ الـذِّيْـلْ وانحَـاشْ
وانـا علـى اللّـي تكْسـر الـذّيْـل مَـرْفُـوْعْ
تِشْوْش وِانْ سمْعَت مع الخيْلْ شُوْباش

لقد تحققت أمنية الشيخ خلف الأذن، حينما تمنى أن تقع معركة،

حتى يأكل منها النسر القشعم، وفعلاً قد سقطت الضحايا على الأرض، وما أكثرها، ومن بينها بعض الشيوخ.

أما الشيخ طراد بن زبن فهو لم ييأس من أخذ الثأر، وقد تابع عدوانه على قبيلة الرولة، ويقال أنه غزا وهاجم الرولة في أراضي الحماد، بالقرب من حرة عمود الحماد، التي تقع شرقاً من وادي السرحان، وصادف أن غارته في صباح أحد الأعياد، وقد هزمه الرولة، وأثناء رجوعه صادفه النوري بن شعلان، وخلف الأذن، ومعهم عدد من الفرسان، فطاردوه، وقتلوا وأسروا قسماً كبيراً من الفرسان، أما طراد فقد نجا في المعركة الأولى، وقد قال بهذه المناسبة خلف الأذن هذه القصيدة:

يـالله يـالمطْلُـوبْ يَـاعـادِل الصـاغ
إنْ كـانْ عِنْـدِك لـلأجَـاوِيْـد ثـابَـهْ
إنَّـكْ تْمشّينـا علـى دِرْبَ الاشنَـاغ
يـاللّـي لَـداع الْخِيْـرْ مـا صَـكّ بـابَـهْ
الضِّـرْمْ يِعبـالـهْ عـن السّهـر مِقْـلاع
حتـى تنـام الْعيـن مـا هـي طـلابـهْ
يـاطْـرادْ حلّـوا بِـك مـوارِيْـث هـزّاع
عـايـدت قُـوْم وعـايِـدُوْك الشّيـابـه
صِغِيْـرهُـمْ لُـوْ هُـو علـى الـدّيْـدْ رضّـاع
سنـهْ شِطِيْـرْ يِكْسِـر العظْـمْ نـابـه
يـاطْـراد راجيـتْ بِـك طِـوِيْـلاتَ الابـواع
والشّيْـب حـلْ بِسِـرْبِتِـك والتهـى بـه

ووردوْا هـل العلْيـا كِمـا وِرْد الاقْطـاع

على غـدِيْـرٍ مـا كِفـاهُـم شـرابـهْ

ذِيْب المْحَيْضِر مِخصب عِقْب ما جَاع

مِكيِّـف يِلعـب على ابُـو عتـابـه

يِسُـونْ جِـلْ ابكـارْنـا شِقـح الأقطـاع

وشـرْهـوا عَلى هـاك الْبِيُـوت المَهـابـهْ

وِصِخنَـا عليْهُـمْ صِيْحَـةٍ تْبـرِي الاوْجـاع

وصـارتْ قـلايِعهُـمْ بـالايـدِيْ نِهـابـه

وطِـراذْ عِقْـبِ سيُـوفِنـا صـار مطْـواع

ضـاعـتْ عـزُوِمـه عِقْـب هـاك الصعـابـه

يـامـا عَملنـا الطيْـبْ لا شَـكَّ بِـهْ ضـاع

مـاشِي عَلَـى درْبِ الـردا والْخيـابـهْ

وأردف خلف الأذن قائلاً هذه القصيدة:

حِـرٌّ شلْـع مِـنْ راسٍ عـال الطُّـويـلاتْ

للصيـدة اللّـي حـطَّ خمْسـهِ وراهـا

غـزَّ الْمخـالِـبْ بِـالثنـادِيْ السمِيْنـاتْ

وتَـلَّ القِلُـوب وبِـالضَّمـايِـز فَـراهَـا

يِلعَـنْ أبُـوهَـاكَ الْـوَجِيـهَ الـرَّدَيَّـاتْ

أبْـرَدْ مِـنِ الـزَّرْقـا علَى صِقْـعِ مـاهـا

وِلنْخُـور أبُـو جبْهـه كِبِيْـر الْمِطِيْـرَاتْ

رجـلٍ قِطـعْ مِـنْ شِقَّتِـه واكْتِسـاهـا

بـايـغ مِنيِمـهْ بِـالثمـنْ لِلحُـويطـاتْ
مْـنَ العِيْـب وافِـر لِحيتِـه مـا حمـاهـا
وابْـنْ جْـرَيِّـدْ مـن هـل الْمقعـدِيـاتْ
مـا حـاشَـتْ الصَّفْحـه لِعيـنِ ثُـواهـا
يـاطْـراذْ مـا حيّـت ذُوْد النصيْـراتْ
حيـثْ سُـواعـدْ لِخيتـكْ مـنْ رداهَـا
أجيْـكْ بـاللِّـي يـذركـون الجمـالاَتْ
رَبْـعٍ مْعَـاديْهُـمْ طـوَالٍ خطـاهـا
إلـى تنـادوْا بينِهُـمْ بـالمِشـاراتْ
كـمْ قـالِـة وَقْفَـوا علَـى مِنْهـاهـا
شعْلانْ فـاجُـوكـم علَـى الْخيْل عجْلاتْ
فـوْق الْمِهـار اللِّـي تِسـاعَـلْ حِـذاهـا

وبعد هذه المعركة، لم تقم لطراد وجماعته قائمة، خاصة مع قبائل الرولة.

وبهذه الفترة تولى الشيخ فهد بن هزاع شقيق النوري، بعد أن توفي الشيخ سطام بن شعلان، وورث كراهية خلف الأذن عن سطام، وقد حصل بين خلف الأذن وجماعة من الرولة خلاف، استفحل إلى أن قتل خلف منهم اثنين، ولم يستطع غرماؤه أن يتجرأوا عليه، ويأخذوا ثأرهم منه، عجزوا عن ذلك، وأخيراً توسط الشيخ فهد الهزاع على أن يدفع خلفه دية لأقارب المقتولين، واشترط فهد أن يدفع علاوة على الدية جواده «خلفه» وقبل خلف أن يدفع ديتين، ولكنه رفض أن يدفع فرسه

«خلفه» ولاحظ خلف من ابن عمه فهد ميلاً مع غرمائه، وأنه لم يشترط دفع الفرس «خلفه» إلا ليأخذها هو لنفسه، عندما حصل ذلك وهم بالأراضي السورية، أمر خلف جماعته آل زيد، بأن يرحلوا لنجد، وبعد أن تحرك ظعنهم من سورية إلى نجد، ركب جواده «خلفه» بعد أن لبس لباس الحرب، وجاء إلى بيت الشيخ فهد الهزاع، وكان فهد جالساً في مجلسه، فوقف على جواده أمام البيت، وارتجل هذه الأبيات، موجهها إلى الحارس المقرب للشيخ فهد، وهو (أبو دامان) وقال:

الْبــدوُ عنَّــا شــرَّقــوا يــابُــو دامــانْ
وكــلّ مــن النفْــرة تِقَضــى حــوالِــهْ
إنْ جيْـت ملْعُـوْنَ الْكِـذْيـد ابـن جَـدْلاَنْ
إنْ مــا رضــي والله فــلاتــي بِحــالِــهْ
أدخــل علَــى الله يــومْ مَكْنُــونَهــا بــانْ
ورزقِـيْ علـى اللّـي سـامكـات جبـالِـهْ
مـانيْـب أنَـا وِلْـد الْحـدبْ وابْـن ضبَّـانْ
اللّـي بِتـالُـونـهْ علَـى شـانْ مـالِـهْ
ربعـي هــل الْعليــا طِـويلِيْـن الايْمــانْ
أهــل النَّقــا والطِّيْــب إنْ جــا مِجــالِــهْ
مَعْهُــمْ بنــي عمّــي عِيــالْ ابــنْ شِعْــلانْ
يَــامَــا كلــوا مِــنْ عيــنْ قــالَــة وقَــالــه
نهُــوْد الــزُّراج لِيْــا غشــي الجــوّ دخّــان
إنْ ضيّمــتْ وِضــح العشــايِــر عِيــالَــهْ

(خلفـه) بِمَـدِّيْهـا مـع اوْلادْ جِنْعـانْ
اللّـي يَعـرْفُـون الثّنـا والْجِمَـالِـهْ
بَـاغ عليْهـا يُـوم رُوغَـاتَ الأذهـانْ
وكـلٌّ هفـا بِـه فِعْـل جـدّه وخـالِـهْ
ألْكِـد عليْهَـا واجْعـلَ الْعِمـرِ مـا كَـان
والشّيْـخ وانْ شـافـنْ بِصِبيـهْ جِفـالـهْ
أنـا عَلَـى (خَلْفَـه) وبِـالْكَـفْ (شـامـانْ)
وكـم راسْ شيْـخٍ عَـنْ تـراقِيْـهْ شَـالِـهْ

قال هذه القصيدة ليس مبالياً، ثم لحق بظعينته، وقد سكت الشيخ فهد كأن شيئاً لم يكن.

هذه من نوادر خلف الأذن وما أكثرها، وعندما عرف غرماء خلف أنه تجرأ على الشيخ بهذه القصيدة، وعرفوا أن الحق ليس بالسهل تحصيله من خلف، أرسلوا له صاغرين، وطلبوا منه أن يدفع دية رجالهم، بالطريقة المتبعة بين قبائلهم، وتنازلوا عن طلبهم للجواد «خلفه» فدونها خرط القتاد.

وفي بعض الأيام مرضت جواده (خلفه) وأخذ مدة لم يستطع ركوبها، فأنشد بها هذه الأبيات:

أنَـا بـرْجَـوي الله وَرَجَـوي الْغَبيّـهْ
أنـا عَلَـى رِكْبَـه غَثِيْـشٍ رعـا كِبْـسْ
وبـالْكَـفْ مِـن صَنْـعِ الْهَنَـادي قضِيّـهْ
عَلَيْـهْ مِـنْ دَمّ الْمِخـالِـفْ تِقِـلْ دِبْـس

أجـي مـع أوّلْ سِـربـةٍ مِـرحضيّـهْ
وَاصيـر بِنْحُـورِ النّشـامَـى لِهُـمْ جِبْـن
قِـدام رَبْـعٍ كـل ابُـوْهُـم دِنيّـهْ
الْكِـدْ مَـلاكِيْـدٍ لِفـارِس بنـي عَبْـسن
الله عَلَـى يُـومٍ ضحـاه اغْشِـويّـهْ
عَـج السّبَـايـا فـي نهَـارِه تِقـلْ قِبْـسن
قلْبِـي عليْهُـمْ وارِداتٍ دِليّـهْ
والْكبْـدْ مِـن ضيْـم الـرّفَـاقـهْ بَهـا يِبْـسن

ولابد للقارىء أن يلاحظ آخر بيت في القصيدة حيث يقول:

قلبِـيْ عليْهـم وارِداتٍ دِليّـهْ
والْكبـدْ مِـنْ ضِيْـم الـرّفـاقـة بْهـا يِبْـسن

فهو بذلك يشير إلى الشيخ فهد، لأنه يشعر بحيفه عليه، ولذلك فهو يحس بالضيم منه، لقد طالت الكراهية والجفوة بين فهد الشعلان، وابن عمه خلف الأذن، إلى أن أخذ خلف يبتعد عن الشيخ فهد، حتى تولى الشيخ النوري الشعلان رئاسة قبائل الرولة، .واستمر الخلاف والكراهية بينه وبين خلف الأذن، وعندما رأى خلف أن الشيخ النوري بن شعلان يبتعد عنه ولا يأخذ الرأي منه قال هذه القصيدة:

يـا شِيْـخْ يـا شِيْـخ الشّيُـوخ ابِـنْ شعْـلانْ
عِنْـدك صِلِيْـب الـرايْ مـا تِشْتِشِيْـرِهْ
خمْسِيْـن سيْـف مـا بِسِـدْنْ بِشَـامَـانْ
خلّـهْ لِعَجّـاتِ السّبـايـا ذِخِيْـره

إنشِـــد هـــل الْعــادات ذرْبيْـــن الايْمـــانْ
وِيخْبـــرْك عنِّــي مِـــن يَعــرْفَ السّــرِيْــرة
إنْ ثـــار عَـــج الْخِيْـــل فـــي كِـــل ميْـــدان
تِلقـــى عِلـــومِـــيْ يـــابْـــن عمـــي كِبِيْـــره
أقْلِـط عَلَـى الفـــارِسْ بِـرُوْغـَـات الاذْهـــان
والخُـــوْض غِبّـــات البحـــور الخطِيْـــرة
أشِيـــلْ رَاســـه مِـــن مِـــزابِيْـــرَ الامْتـــانْ
ولا عـــاذْ يِـــذْكـــر كِـــل شـــره وخِيْـــره
السَّيْـــفْ يِشْهـــدْ لِـــي ويشهـــد لِـــي الـــزان
وِيِشْهَـــد بِفِعْلـــي مِـــنْ سَكـــنْ بِـــالْجـــرِيْـــره
مـــا يِخْتِفِـــيْ فعْـــلٍ تِقفـــاهْ بِـــرْهَـــانْ
والعَيْـــن مـــا شَـــافَـــتْ بليّـــا نِظيْـــره
رَبْعـــي هـــلِ العَلْيـــا الْيـــا ثـــار دَخّـــانْ
مِثْـــل الـــزّمـــوْل اللّـــي تِقـــاصـــفْ هـــدِيْـــرة
إن ردّدَوا بـــــالْكـــــونِ عليـــــا وعليّـــــان
حـــرِبْهِـــمْ تِـــرْجـــعْ عِلُـــومِـــه ضعِيْـــرة
ربْـــعٍ عَلَـــى جِـــرْد الـــرّمـــكْ شـــانهُـــمْ شـــانْ
ويِـــرْعُـــون بِخْـــدُودْ النّمـــشْ كِـــلّ دِيـــرة

وقد تطور الخلاف حتى أن أحد أبناء خلف .الأذن المسمى ذياباً أطلق النار على النوري ابن شعلان والأسباب هي كما يلي:

ادعى الشيخ النوري أن خلف الأذن تعدى على شيء كان بوجهه،

وأخذ يطالب خلف الأذن بإرجاعه، وخلف أصر على العصيان، ثم جاء النوري ومعه جماعة على خيولهم جاء إلى خلف وهو في بيته، ولم يكن عنده أحد من أبنائه، أو أبناء عمه، وقد وصل إليه النوري بدون أن يشعر به، وغير متأهب له، فوقف النوري على جواده، بالقرب من خلف، وأخذ يوبخ خلفاً ويتهدده، وكان ابنه منتحياً بعيداً عن البيت، ولكنه عندما رأى الخيل واقفة بالقرب من بيت أبيه، ولاحظ أن الرجال الذين على ظهورها لم يترجلوا وأنهم مسلحون فقد ارتاب منهم وجعل البيت بينه وبين أهل الخيل، متقياً به، وأسرع إلى أن دخل البيت من خلفه، وتناول بندقيته، وسمع توبيخ النوري الشعلان لوالده، وكان والده بغاية من الحرج فظهر عليهم من البيت وعندما أبصره والده ناداه ناخياً له، وقال اذبح الرجال يا ذياب، فأطلق النار على النوري مصوباً البندقية إلى جبينه، ولكن الطلقة أصابت عقال النوري من فوق رأسه، فولى النوري على جواده مسرعاً، واتبعه رفاقه، ومر بخيل خلف الأذن وأولاده، وهن يرعين بعيداً عن البيت، فأخذهن وذهب بهن، وعندما أراد ذياب أن يلحق بالنوري مسلحاً، قال له أبوه لا تلحق بالنوري، لأننا لا نحب مداماة أبناء عمنا، ويمكن أن نسترجع الخيل بطريقة أسهل من هذه، وعندما وصل النوري إلى بيوته، أرسل بعض خدامه بالخيل التي أخذها من خلف إلى خيوله، لترتع معهن، وكان ذياب بن خلف قد لاحظ ذلك عن بعد، وعندما رأى خدم الشيخ النوري ذهبوا بالخيل، تقدم قبلهم وأخذ لهم الطريق الذي يمكن أن يسلكوه، هذا وهم لم يشعروا به، وعندما قربوا منه رفع رأسه إليهم، وقال: هل تعرفونني؟ قالوا: نعم أنت عمنا ذياب، وكان مشهوراً بالشجاعة،

وبإصابة الهدف، فقال لهم أقسم عليكم بالله، أن تنزلوا مع مؤخرة الخيل مرغمين، وإذا حاول أحد منكم أن ينزل مع جنب الجواد، فسيلقى منيته، فاعتمدوا أوامره، ونزلوا مع مؤخرة الخيل وذهب بها لوالده خلف، وبعد هذه المشكلة، ابتعد خلف عن النوري، وبقي أكثر من ثلاث سنين لم ير النوري ولم يجتمعوا بمنزل وقال هذه القصيدة:

الْبـــارِحَـــهْ والعِيْـــنْ حيـــت تِغفّـــي
عَيـــتْ تِـــذوْق النـــوْم لا وَاغلِيْلَـــهْ
النـــارْ شبـــت مـــا لِقـــت مِـــن يِطَفّـــي
أوْجِـــسْ علَـــى كبْـــدِي ســـواة الْمليْلـــه
تِبَيّنـــت مـــا عـــاذْ فِيْهـــا تخفّـــيْ
ومـــن ربعنـــا شفْنـــا بـــالايّـــامِ حيلـــهْ
خســـرانْ مـــنْ يَتْبَـــعْ رِفيْـــق مُقفـــي
والْقلـــب يجفـــلْ كـــلْ مَـــا شـــافْ ميلـــهْ
مـــا ينْفـــع الخـــايِـــفْ كثيـــر التخْفـــي
واللّـــي قســـم للْعَبْـــدْ لازم يِجِـــي لـــهْ
كـــمْ ســـرْيِـــةٍ خلّيْتهـــا تستخفّـــيْ
وارويْـــت عطْشـــان السُّيُـــوف الصقيْلـــهْ
واقلـــط علَـــى اللّـــي بِيْـــن ربْعـــه مْشفـــيْ
والْخيْـــل مـــنْ فْعَلـــي تـــزايـــدْ جِفيلـــهْ
يَـــالله لا تْقطـــعْ مْـــرادي بِشفّـــي
صفْـــرا صهـــاة اللـــوْنْ تنهـــضْ شليلـــهْ

ومحضّـــرٍ صَنْـــع الْمَجَـــمْ مـــا يعفّـــيْ
الـــرّاس مـــنْ فـــوْقَ المنـــاكـــب بِشِيلـــهْ
ومـــــزرّجٍ يَــــالْقـــــرمْ يصلـــــخْ لِكفّـــــي
منقّيْـــهْ مـــن سبـــع الْكعـــوبِ الطّـــوِيلـــهْ
مـــعْ رَبْعَـــةٍ بِـــالْبيْـــت دائـــم تهفّـــيْ
بِجُـــوزٍ لِلـــرّبـــع الشّـــامـــى مقبْلـــهْ
وِذلالْ مَـــا عَنهِـــنْ سنـــا النـــارْ كفّـــيْ
حميْلهِـــنْ بـــالْبِيْـــت مثـــل التثيْلِـــهْ
وذَودٍ مَغـــاتيْـــرٍ علَـــى الْحُـــوْض صفّـــيْ
بِيـــنَ الابـــاهِـــر خطّطـــوْهِـــن بِنِيْلِـــهْ
مـــعْ بِنْـــت عـــمٍّ أصلهـــا مـــا يِهفّـــيْ
إن درْهـــم الْمظْهُـــور فـــانـــا دِخِيْلـــهْ

وفي آخر أيام خلف الأذن ذهب إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز بن رشيد أمير حائل ليزوره، ويتعرف به، وكان سعود بن رشيد حديث السن، وكل الأمور بحايل يديرها الأمير زامل بن سبهان المعروف، وقد أكرم آل رشيد خلف الأذن الشعلان، إكراماً جيداً، وصدفة جاء شاعر من إحدى القبائل زائراً لابن رشيد، وعندما كان ابن رشيد في مجلسه، وعنده زامل السبهان، وكان خلف الأذن بين الجالسين، وكان الشاعر الذي جاء لابن رشيد أيضاً جالساً معهم، وكان زامل السبهان هو كل شيء لابن رشيد، وهو الذي يتكلم بالمجلس، التفت زامل السبهان إلى خلف الأذن، وقال نحب أن تساجل هذا الشاعر، لنعرف مقدرتك يابن

شعلان بالشعر، فغضب خلف الأذن، واعتبر هذه إهانة له من زامل، لأنه يرى نفسه أكبر وأرفع من أن يساجل شاعراً في مجلس ابن رشيد، خاصة وأن هذا الشاعر ليس بمستواه، فقام من المجلس، وأرسل هذه القصيدة لزامل يهجوه فيها، ويطلب إحضار هجينه ليسافر إلى بلاده وقومه بالشمال، وقد حاول ابن رشيد كثيراً أن يسترضي خلف، ولكنه رفض وأصر، والقصيدة كما يلي:

زَامِل يِنشُدْني وانا وِنْن وِنّي
هَبَيّتْ يَا هرجٍ بِلَيّا لِبَاقَهْ
الشّيْنْ شِيْن وماكَر الشّيْنْ شَيني
عدُوّ جدْ، ولاَ بِقَلْبك صِداقَهْ
الله يخُونَك كَانْ ما تِشتهيْني
لَو تَحَكِيْ لِيْ بِالْعلُومِ الدّقاقَهْ
خَدِيْتْ مثلْ نعايِد الْقَرْيتِيني
لاجِبْت خِيْر ولا تبعت الرّفَاقَهْ
أنا بلاَيَهْ مِنْ صِدِيقٍ بِطِيْنِي
بِفْمَا تصَفّقْني عَلَى خيْز فَاقَه
لِنجَالْ طِيْنْ ولا نْتَ لِنجَالْ صِينِي
تَبْركْ مبَارِنكَ الْجمَلْ وانتَ نَاقَهْ
ازْخصْ لَنَا وِارْسلْ لِسَنحَهْ تِجيني
اخْتَاقْ عَبْدِ مِشتِهِيْنْ فْرَاقَهْ

وبعد مدة غير طويلة كان خلف الأذن نازلاً في أطراف الحرة التي

بين الحماد ووادي السرحان، وعندما كان نائماً في بيته هاجمهم غزاة من قبيلة شمر في منتصف الليل، وقبل أن يعلموا أطلقوا عدداً من العيارات النارية على خلف في فراشه داخل بيته، فقتل هو وزوجته وهما نائمان، وكان مريضاً وقد طعن بالسن. . وهكذا انطوت صفحة (أبا الشيوخ)، الفارس المغوار خلف الأذن، وكان هذا في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وكان خلف الأذن رحمه الله مشهوراً بالكرم، وحسن الضيافة، وإكرام الجار، وقد أثنى عليه الشيخ عجلان بن رمال الشمري بهذه القصيدة وبين فيها أن جار خلف دائماً عزيز مكرم وهي كما يلي:

يَـا رَاكـبٍ حَمْـرا عليْهـا الْهَتيمـي
حِـطّ القِطيْمِـي فُـوْق سـاقِـهْ وِدارَه
حَمْـرا تضِيْـم الـدوْ مـا تستضِيْمِـيْ
تَلْقـى العَتـاري حَـاشْيـات عِـذارَه
مَشْتـاه مِـنْ (حـذْقَا) إلى (امْ الصَّـريمِيْ)
ومِـرْبَـاعهَـا (اللبَّـهْ) تِقَطِّـف قـرَارَهْ
تمْشي مِـن (المـرْكُوْز) وَقْـت الجِهْيمِيْ
والظُّهـر حـط زعُـوْن (كَبْـدِ) يِسَـارَهْ
حمْـرا وِكـنْ ظْـلالَهـا لَـه جِـرِيْمِـيْ[1]
تَخطِّـفْ (الثَّـايَـهْ) بِتَـالـي نهـارهْ

---

(١) كأن ظلالها حدو لها.

مِلْقَاكْ صِيَّادَ الشُّيُوخ الْعَدِيمِي
إن ضَيعَتْ شِفْحَ الْعَشَايِر خَوارَه
اللِّي قِصِيرة كِلّ يُوم حَشِيمِي
مَا يِقْهَر الرَّحْلي إلى جا مدَارَه
والضِّيفْ عِنده فِيْ جِنَانَ النَّعِيمِي
يِلْقَى الْكَرامَة قَبْل يِبْدِي خبَارة
وِانْ صَارْ بِالمَشْتَى لَيالِ الصَّرِيمِي
ذَبَّاحْ نَابِيَة الْقِرَا مِنْ بكَارة
وحُوْقَ الْعَدِيمْ وَلا يَهاب الْغَرِيمِي
كَمْ فَارسٍ اهْفَاهْ مَا وخِذْ ثَارة
حِيالَ الشُّيُوخْ مْنَوّخينَ الْخصِيمِي
بِزِيْنْ طَبْعِه عِقْب هالك الصطارة
وقَبٌ إلى جَا الصُّبْح جَالِه رهِيمِي
عَلِيْهنَ اللِّيْ يدْحمُوْن السمَارَة

وعائلة الزيد مشهورة بالكرم وإعزازهم لجارهم، وقد التجأ عندهم شخص من شمر يقال أن اسمه ابن عدلان وهو مبتور اليدين، ويقال أن الذي بترهما هو أحد حكام آل الرشيد، وبقي جاراً لهم فترة طويلة، وكان مستجيراً بالشيخ خلف الأذن، وأخويه ضامن وشاهر، وقد أعزوه، وأقسموا على أنفسهم أن يقوموا بإطعام جارهم بأيديهم، وعندما يحضر الطعام لجارهم يأتون بملعقة ويناولونه طعامه، ويشاركونه بأكله، وقد أشار إليهم الشيخ (عجلان بن رمال) في قصيدته

المذكورة أعلاه: ومما يبدو لي أن نهاية حياة خلف الأذن تشابه نهاية حياة الشاعر الكبير أبي الطيب المتنبي، والمكان الذي قتل به خلف الأذن قريب من الموقع الذي قتل به المتنبي، وفي مقتلهما نوع من التشابه، إلا أن خلفاً الأذن يمتاز بالشجاعة، وحسبما فهمته من الرواة أن عدد المشائخ الذين قتلهم الشيخ خلف الأذن بحومة الوغى كما يلي:

الشيخ (تركي بن مهيد) من القدعان.
الشيخ (شلاش) بن بخيت بن فايز من بني صخر.
الشيخ (الجنق) شيخ قبيلة السرديه.
الشيخ (مناور) من شيوخ بني صخر.
الشيخ (طه) من شيوخ بني صخر.
الشيخ (سطعان) بن زبن من شيوخ بني صخر.
الشيخ (دريبي) من الزبن.
وشيخ من آل هذال.
والشيخ العواجي.

حيث قال أحد شعراء الرولة المسمى (مغب الدريعي) هذه القصيدة بالمعركة التي حصلت بين الشعلان، والعواجي (بنقرة الحيران) وكان قائد الشعلان فيصل بن شعلان وبهذه المعركة قَتَل الشيخ خلف الأذن العواجي والقصيدة:

حِـرٍّ شلـغ يُـوْمَ الْبُـواشِـق مخـامِيْـز
هَـذَلَ الْمَنـاكِـبْ مِنفهِـلٌ الْحجَـاجِـيْ

شهزْ مِن الْوديانْ وَاشنَدْ مَع (الشَّيْر)
وفي (نقرة الجيْران) صَادَ الْعُواجِيْ
أيْمنْ مِكَاسِبيه وُطَا (الجُوف) و(ضُويْز)
وايْسَرْ مِكَاسِبِيْه وطنّ (النَّبَاجيْ)
بشرِقِيْ جِبال (حُنيْم) جِبْنَا الْمغاتِيْر
وِضْح تَلاصح كنَّها عظمْ عاجِيْ
راجُو بِروس الشُّلْف مِثْلَ الْمصافِيْر
وعلَى صنَنْهمْ مِحملَ الخَيْلْ راجِيْ
واذْلَى خَلَف فِيْهُم كَما يَدلِي الطَّيْز
وصاد الْعواجِيْ في مِشَار العَجاجِيْ
راجتْ عليْه معسْكرات الْمِسامِيْز
قِبٌ تعلّوهِن فهُود الزّراجِي

ومن أجل ذلك سمي بأبي الشيوخ.

ولم يترك آل زيد الشعلان أقارب خلف الأذن ثأرهم، فعندما علموا أن التومان من شمر قتلوا خلفاً، ذهبوا إلى الأمير نواف بن النوري الذي كان مضطلعاً بشؤون قبائل الرولة، ويخلف والده النوريه بقيادة القبيلة، ذهبوا إليه وطلبوا منه أن يقودهم إلى مهاجمة شمر، لأخذ ثأر الشيخ خلف الأذن، وفعلاً أجاب نداءهم، والتف حوله قبائل الرولة، وغزا من أراضي الحماد قاصداً مهاجمة قبائل شمر، الذين يقطنون بالقرب من منهل (الدويد) المعروف، وفعلاً أغار على قبائل شمر هناك، وكان يرأسهم فيصل بن سند الربيع، من مشائخ قبيلة التومان شمر، وقد أخذ

الشعلان إبلهم، وقتل قريطان بن شاهر الزيد، الذي هو ابن أخي الأذن، قتل فيصلاً بن سند الربع زعيم التومان، وغنم جواده، وأخذ إبله، وكانت هي إبل والده من قبله سند الربع المعروف، وبهذه المعركة شفى آل زيد غليلهم وثأروا للشيخ خلف الأذن.

هكذا حدثنا الرواة من الرولة ومن عنزة وشمر عن حياة هذا البطل المغوار والشاعر المبدع.. وهكذا طويت صفحة مشرقة حية من نماذج فرسان العرب المعلمين.

الفهارس

١ – الموضوعات العامة
٢ – إيضاح بعض الكلمات العامية
٣ – تصحيحات
٤ – الأعلام (الرجال والنساء)
٥ – العشائر
٦ – الأمكنة

١ ـ فهرس الموضوعات العامة

* الأهداء ٥
* مقدمة عن الكتاب وعن مؤلفه بقلم عبدالله بن خميس ٩
* مقدمة المؤلف ٢٣
١ ـ سعدون العواجي ٣٥
* طرف عن حياته وشهرته ٣٥
* رئاسة ابنيه عقاب وحجاب ٣٩
* منازعة شامخ العواجي سعدون على رئاسة القبيلة ٤٠
* انتزاع الرئاسة منه، وأشعاره في ذلك ٤٠
* استنجاده بابنيه حجاب وعقاب شعراً ٤٤
* مسارعة ابنيه لنجدته ٥٢
* وصولهما ليلاً وإيراد إبل أبيهما الماء قبل إبل خصمه ٥٣
* الخصم يلقي نفسه في البئر عندما شاهد عقاب ابن سعدون ٥٤
* عودة الرئاسة لسعدون ٥٥
* سعدون يرغم التمياط الشمري على الرحيل عن (بيضانثيل) ٥٥
* قصيدته في ذلك ٥٥

* غرام عقاب العواجي ٥٧
* قصيدته الدالية في محبوبته (نوت) ٥٧
* قصيدته اللامية فيها ٥٨
* قصيدته النونية ٥٩
* قصيدته البائية ٦٠
* قصة نومان الحسيني وضياع صقره ٦١
* زواج عقاب بمحبوبته ٦٢
* جلاء شمر عن ديارهم بعد انتاصر العواجي عليهم ٦٤
* قصيدة سعدون في انتصاره على التمياط ٦٤
* وقعة (ظفرة) لشمر على العواجي وقبائله ٦٦
* قصيدة لشاعر شمر رشيد بن طوعان في وقعة (ظفره) ٦٦
* مجاولة بين أبا الوقي الشمري وعقاب العواجي ٦٨
* افتخار شعراء شمر مبيريك التبيناوي بأخذ سيف عقاب ٦٩
* اتفاق سعدون العواجي ومجول بن شعلان على الإغارة على قبيلة حرب ... ٧٠
* قصيدة شيخ حرب ابن فرهود يحذر ابن شعلان وسعدوناً ويتوعدهما ٧١
* سعدون يجيب على القصيدة ٧١
* قصيدة بائية لسعدون في حرب ٧٣
* غانية تفقد خليلها في إحدى معارك سعدون مع شمر فيجيبها سعدون شعراً .. ٧٥
* قتل حجاب وعقاب ابني سعدون على يد فرسان من شمر ٧٦
* قصيدتان لمبيريك التبيناوي شاعر شمر عن قتل ابني سعدون ٧٨
* قصيدة رشيد بن طوعان من شعراء شمر في قتلهما ٧٩
* سعدون العواجي يرثي ولديه بقصيدة حالية ٨١
* قصيدة فائية لسعدون في رثائهما ٨٢
* قصيدة ميمية يشكو فيها سعدون لصديقه فقده ابنيه ٨٤
* سعدون يتولى تربية حفيديه ابني عقاب وحجاب لأخذ ثأرهم ٨٦

* الجد يختبر حقيديه بنظم قصيدة عن الثأر ٨٦
* ابن عقاب يفوز بجائزة الجد وقصيدته ٨٦
* شاعر شمر يرد على القصيدة ٨٧
* سعدون العواجي ينجد السويلمات على شمر ٨٨
* ابن عقاب العواجي يثأر لأبيه وعمه ويقتل هايس القعيط ٨٩
* سعدون يمدح حفيده لأخذه بثأره ٨٩
* وفود غنيم الربضا على ابن رشيد ٩٠
* تحريض ابن طوعان الشاعر ابن رشيد لأخذ الثأر من الربضا ثم قتله ٩٠
* آل بُريك جماعة هايس القعيط من الدواسر ٩١
٢ ـ ساجر الرفدي:
* نسبه وطرف عن حياته ٩٧
* أخواله يقتلون أخاه ٩٨
* ساجر يجلو عن أخواله ٩٨
* ساجر يأخذ بثأر أخيه ٩٨
* ابن رشيد يحرض عبدالله الفيصل على الرفدي وابن مجلاد بقصيدة ٩٨
* قصيدة ساجر عن جلائه عن نجد ٩٩
* قصيدة ساجر يصف فيها غزواته ١٠٠
* شاعر يمدح ساجراً ١٠٢
* خلاف بين أسرة آل شعلان فيلتجىء أحدهم بساجر ١٠٤
* ساجر يهب لنجدة سطام آل نايف الشعلان ١٠٤
* ساجر يستنجد بابن هذال شيخ العمارات لنصرة آل نايف الشعلان على آل مشهور الشعلان ١٠٥
* مجاولات مع آل مشهور ينتصر فيها ساجر ١٠٥
* إغارة ساجر على إبل ابن رشيد وأخذها ١٠٦
* ساجر يصف غارته على ابن مشهور بقصيدة فائية ١٠٨
* الشاعر سليمان اليمني يمدح ساجراً ويذكر بعض وقائعه ١٠٨

* الخلاف بين ساجر وشيخ الخرصة من الفدعان ١١١
* قصيدة لساجر يتوعد فيها شيخ الخرصة ١١٢
* تألب شيوخ السبعة ضد ساجر ١١٣
* شاعر من أعداء ساجر يثني على بطولته ١١٤
* ساجر يتوعد ضنا عُبيد (السبعة والفدعان) ١١٥
* انتصار ساجر على ضنا عبيد ١١٦
* سليمان اليمني شاعر ساجر يصف وقعته مع (ضنا عبيد) ١١٦
* قصيدة ساجر الميمية في (ضنا عبيد) ١١٩
* ساجر يحذر ابن هذال شيخ العمارات ١٢٠
* قصيدة لساجر بعدما كبر يصف الدنيا ١٢١
* حماية ساجر لجاره ١٢٣
* سبب إطلاق لقب «أصحاب الشهويهات» على قوم ساجر ١٢٤
* ساجر يصف نفسه بقصيدة ١٢٥
* من وفاء ساجر قصته مع الشاوي ١٢٦
٣ ـ شالح بن هدلان:
* طرف من ترجمة حياته ١٣١
* أخوه القديع ١٣١
* تفاني القديع في خدمة شالح ١٣٢
* القديع يصف أخاه شعراً ١٣٢
* شالح يجيب ١٣٤
* الحمدة يغيرون فيقتلون القديع ١٣٨
* تربية ابنه ذيب لأخذ الثأر من قاتلي عمه ١٤٤
* قتل عُبيد بن تركي بن حميد ثأراً له ١٤٥
* ضيف الله بن تركي يرثي أخاه ويتوعد قحطان ١٤٥
* شالح بن هدلان يجيب ضيف الله ١٤٦
* شالح يغاضب قبيلته ويرحل إلى الدواسر ١٤٧

* قصيدة لشالح يوضح فيها سبب رحيله ١٤٧
* ذيب بن شالح يغير مع الدواسر على عتيبة ١٤٨
* شجاعة ذيب وأخذه فرساً أصيلاً معروفة تدعى (العزبة) ١٤٩
* شالح يصف تلك الفرس ١٥٠
* ذيب يتحدى عتيبة ويرعى في مراعيها ١٥١
* شالح يرثي ذيباً وهو حي ١٥٢
* محمد بن هندي يحذر من الإغارة على إبل ذيب ١٥٣
* بين ذيب وفرسان الملك عبدالعزيز ١٥٤
* ذيب يقتل فهد بن جلوي ١٥٤
* الملك عبدالعزيز يعفو عن ذيب لشجاعته ووفاته ١٥٥
* شالح يخاطب الملك عبدالعزيز بقصيدة ١٥٦
* طرف من بر ذيب بوالده ١٥٨
* شالح يداعب ذيباً بقصيدة ١٥٩
* ذيب يغزو عتيبة ١٦٠
* قتل ذيب غيلة من قبل جماعة من قبيلة عتيبة ١٦٢
* شالح يرثي ذيباً ١٦٣
* مرثاة أخرى في ذيب ١٦٤
* حزن شالح على ابنه ١٦٦
* قصيدة عندما سمع منادياً يبحث عن صقره ١٦٧
٤ ـ محدى الهبداني: ١٦٩
* جانب من ترجمة حياته ١٧٣
* تحريضه لقبيلته لطلب الرفعة ١٧٤
* هجوه قبيلته لرضاهم بالضعة ١٧٤
* قصيدته حينما تبرأ من قومه ١٧٥
* رحيله مع قسم من قبيلته من نجد ومجاورته للفدعان في سورية ١٧٦
* قصيدته في رحيله ١٧٦

* قصيدته في مدح آل غُبين ١٧٧
* إغارة محدى على الشوايا ١٧٨
* خلافه مع الفدعان والتجاؤه إلى ابن سمير شيخ ضنا مسلم ١٧٩
* قصيدتاه في مدح ابن سمير ١٧٩
* إجارة ابن سمير له ١٨١
* عفو الفدعان عنه ومدحه لشيخهم جدعان بن مهيد ١٨٢
* إقامته عند ابن غبين وابن مهيد ١٨٣
* مدحه آل غبين ١٨٣
* انحيازه إلى جدعان بن مهيد ١٨٤
* قصيدته يحرض حجو على عدم الطاعة لابن مهيد ١٨٥
* عصيان حجو وعدم دفعه الأتاوة لابن مهيد ١٨٦
* حبس محدى من قبل الدولة بسعي ابن مهيد ١٨٦
* قصيدته في صديقه حجو ١٨٧
* حجو يسعى لتخليصه من السجن ١٨٧
* قصيدة يمدح بها عبدالكريم الجربا ١٨٨
* التجاؤه إلى الجربا شيخ شمر ١٨٩
* نزول شمر في بلاد عنزة قبيلة محدى وتأثره من ذلك ١٩٠
* قصيدة محدى في وصف منازل قومه ١٩١
* قومه يرسلون إليه فيعود إليهم ١٩٣
* نزوله على جدعان بن مهيد ١٩٣
* حجه وزيارته وشعره في ذلك ١٩٤
٥ ـ خلف الأذن: ١٩٥
* طرف من تاريخ حياته ١٩٩
* شاعر شمري يعرض بشيوخ قبيلة خلف ١٩٩
* الرولة تغزو قبيلة الشاعر الشمري وتهزمهم ٢٠٠
* خلف يجيب ذلك الشاعر ٢٠١

* قصيدة ابن قويفل في مدح مشايخ الرولة ٢٠١
* آل شعلان وتاريخهم الحافل بالبطولات ٢٠٣
* شيوخ آل شعلان الذين عاصرهم خلف الأذن ٢٠٣
* حقد آل شعلان على خلف ٢٠٣
* آل مهيد ـ آل شعلان ٢٠٤
* خلاف بين خلف وبين تركي بن مهيد ٢٠٤
* الشيخ سطام بن شعلان ٢٠٤
* محاولة آل زيد لأخذ الثأر من ابن مهيد ٢٠٤
* محمد بن مهلهل الشعلان يحرض على آل مهيد ٢٠٥
* قبائل الرولة بزعامة النوري تهاجم آل مهيد ٢٠٦
* قتل الكريم تركي بن مهيد ٢٠٦
* قصيدة خلف الأذن في قتله ٢٠٦
* غزو محدى قبيلة الرولة وأسره ٢٠٨
* محدى يرسل بقصيدة إلى محمد بن سمير شيخ ولد علي ٢٠٨
* الخلاف بين الأذن والشيخ سطام بن شعلان ٢٠٩
* عداء بني صخر لخلف ٢٠٩
* خلف يقتل عدداً من مشايخ بني صخر ويفتخر بذلك شعراً ٢٠٩
* قصيدة لخلف في بني صخر ٢١٢
* شيوخ بني صخر يتربصون لخلف ٢١٤
* معركة بين بني صخر وبين آل شعلان ٢١٥
* خلف يقتل بعض شيوخ بني صخر ٢١٥
* خلف يصف الواقعة شعراً ٢١٥
* طراد بن زبن يغزو الرولة ٢١٦
* شجاعة خلف وقتله بعض شجعان بني صخر ٢١٦
* قصيدته في وصف تلك الوقعة ٢١٦
* قصيدة أخرى ٢١٧

- خلاف بين خلف وبين فهد الهزاع الشعلان ٢١٨
- خلف يقتل اثنين من الرولة ٢١٨
- ابن شعلان يطلب من خلف جواده في دية القتيلين فيأبى ٢١٩
- رحيل جماعة خلف من سورية إلى نجد ٢١٩
- خلف يعاتب فهد الشعلان شعراً ويلحق بقومه ٢١٩
- خلف يصف فرسه لما مرضت ٢٢٠
- تولي النوري رئاسة الرولة ٢٢٢
- الخلاف بين النوري وبين خلف ٢٢٢
- خلف يعاتب النوري بقصيدة ٢٢٢
- الخلاف يصل إلى تصادم يصاب فيه النوري ويستولي على خيل خلف ٢٢٢
- ذياب بن خلف يرجع الخيل قسراً ٢٢٤
- مجافاة خلف للنوري ثلاث سنوات ٢٢٤
- خلف يصف ما بينهما ٢٢٤
- وفود خلف على سعود بن عبدالعزيز الرشيد ٢٢٥
- شاعر في مجلس ابن رشيد يستثير خلفاً ٢٢٥
- هجو خلف لزامل السبهان وسببه ٢٢٦
- قتل خلف ٢٢٧
- الشيخ عجلان بن رمال الشمري يمدح خلفاً ٢٢٧
- عائلة خلف مشهورة بالكرم والوفاء ٢٢٨
- بعض المشايخ الذين قتلهم خلف ٢٢٩
- الشاعر مغب الرويلي يصف قتل العواجي على يد خلف ٢٣٠
- آل زيد قبيلة خلف تأخذ بثأره ٢٣١

٥ - إيضاح معاني بعض الكلمات

(كثير من القراء من غير أهل نجد قد يصعب عليهم فهم كثير من الكلمات الواردة في هذا الكتاب وهذا بيان قد يوضح أغلبها، وسيلاحظ القارىء بأن كتابة كثير من كلمات الكتاب لم تُراع فيها الطريقة الإملائية، بل جرت حسب النطق، وما يتطلبه الشعر من اللحن، فيرجى ملاحظة هذا).

(أ)

الأجراد جمع جرد وهي الفلاة الواسعة

أحشم بحشمتهم: أكرم بإكرامهم.

اضرب على الكايد: اقتحم الصعاب.

أنخثْ: فقدت.

ألعي مُلاعي الوُرْق: انوح نوح الحمام.

إلى: بمعنى: إذا ـ تتكرر كثيراً.

اللي: الذي ـ تتكرر كثيراً.

اليا: إذا، ويقال فيها: إلى. ليا.

انحر: اقصد، وهي فصيحة.

انكس: ارجع.

(ب)

بلأس: واشي وجاسوس.
بالعون: استعمال يحمل معنى القسم - أي والله.
بْعاد معاديك: بعيدة عدواتك على الأعداء.
بَلاَية: بلائي، مصيبتي وما أخشاه.
البلهاء: من أسماء الإبل المعروفة.

(ت)

تايه: تائه.
تحسّن لحاكم: تحلق لحاكم، وكان حلق اللحى عقوبة يجازى بها المجرمون.
تْحَورف: تستعد.
تزوع: تسير.
تشادي: تشابه.
تقهويت: شربت القهوة.
تكالت: تدافعت.
تودرْ: ابتعد وفيها معنى الزجر.

(ج)

الجازي: صفة من صفات الظباء.
جرودهم: جموعهم.
جَنَبْها: حرسها.

(ح)

حَبْس الظعن: حصن الظعن.
حرش العراقيب: الإبل.
حقلنا: رقصنا للحرب.

حمراكم: غيرتكم وإنفتكم.
حميلهن بالبيت: الحميل رواسب القهوة وهو ما ينفيه السيل ومنه الحديث: «كما تنبت الحبة في حميل السيل».
حمو: شدة الحرارة.
حنا: نحن.

(خ)

خانة الدنيا: فائدتها.
خايع: الخايع النبات الملتف.
خبل: ناقص العقل.
خرايمه: جمع خريمة وهي مجرى السيل الملتف بالشجر.
خُلْج: جمع خلوج وهي الناقة تفقد ولدها.
خَلفة: فرس خلف الأذن.

(د)

الدحش: الخب اللئيم.
دَلّه: سلا، ومنه ادله: اسلو وأسر.
دَلّي: جعل.
دُوعي: أحد.
الديدحان: نبت زهره أصفر.

(ذ)

ذرنوح: حشرة سامة يستخرج منها مادة سامة تسمى باسمها.

(ر)

ربد الهراقيل: النعام.
ربعنا: رفاقنا.

الرمك: جمع رمكة: الخيل.
رواي: هو من يأتي بالماء.

(ز)

الزلم: الناس.
الزول: الشخص.

(س)

ساموح: قلق وألم.
سباياك: خيلك.
السّبيب: ذيل الفرس.
السناعيس: نخوة شمر.
سُمُو القبايل: عموم القبائل.

(ش)

شاف: رأى.
شايف شين: راء شيء وتلك لهجة سكان شمال الجزيرة العربية.
شبّاب ضو المنارة: النار يوقدها في المرتفع لضيوفه.
شبب يابه: أي الصيد شبب يا أبي، ولعله مأخوذ من الشبب: الثور الوحشي الذي انتهى شبابه وبلغ قوته وتمامه.
شبوحه: جمع شبح.
شدة بالي: إشغال فكري.
شلفا: رمح قصير.
شمشول: قليل.
شملا: اسم إبل لقبيلة حرب.
شوفته: رؤيته.
شِين: شيء.

(ص)

الصابور: الطابور وزناً ومعنى.
الصطارة: الحنق والشراسة.
صديق بطيني: صديق داخلي يظهر الصداقة ويخفي سواها.
الصمانين: الحجارة الناتئة.

(ط)

الطرش: النعم.
طلعه بعيد: اطلاعه ومدى نظره.

(ع)

عاضبت: تلكأت.
العتاري: جمع عتري، مؤخر الرأس.
العديم: المعدَم المثل.
عرجدن المظاهير: التمّت الظعائن.
عرود القرانيس: الصقر المسن.
العزّبة: فرس ذيب بن هدلان.
عسّاس: رائد.
عشير: حبيب.
عِكف المخاليب: كناية عن الصقور.
عَلْيا: اسم ناقة مشهورة تجمع على العُلى وعليات وهي لآل شعلان.
العياسيب: اليعاسيب جمع يعسوب ذكر النحل.
عيرات النضا: الإبل القوية الصلبة.

(غ)

الغلامين: الغلمان.

(ف)

الفراريع: الذين يحولون بين المتضاربين.
القطر الشيب: جمع فاطر، الإبل المذللة المروضة زمناً طويلاً على السير.
فِلأت: تنابلة لا يقومون بواجب إخوانهم.
فلحا: اسم بنت فرس عقاب.

(ق)

قذني: انني.
قُذيلته: تصغير قذلة لمة شعره.
القرانيس: جمع قرناسة من الصقور ما نسل ريشه وخرج له ريش جديد.
قُرّح الخيل: جمع قارح وهو المتكاملة سنه.
قرّطن: القين.
قَرّت عيني: سهرت.
قصيره: جاره.
القلاعة: الفرس يقتل فارسها وتؤخذ.
قوطر: انهزم.

(ك)

كراديس السبايا: دفعات الخيل.
كرُّته: طرحته.
كِنّه: كأنه.

(ل)

لابة: جماعة.
لا شك: تستعمل بمعنى لكن.
لانيب: لا أنا بفاعل كذا، وبعضهم يقول لاناب.

لآلي: لعله من الآل وهو السراب وهو يكثر في شدة الحر.
لدها: عوقها.
لمسة الخشم: كناية عن الذلة
لوح: جبل.
ليا: إذا. مثل: اليا.
لَيْن تسمع: إلى أن تسمع.
ليهْ شالت: لماذا درجت.

(م)

مار: لكن.
المحاوم: الأمكنة التي يحومون حولها.
المداريع: لابسو الدروع.
مساري: جمع مسرى وهو السير في الليل.
مُسَيِّر: زائر.
مصطور: نزق لا ينام على ضيم.
مصلوح: فائدة.
معسكرات المسامير: يعني الخيل.
المظاهير: جمع مظهور الإبل تحمل الظعائن والأمتعة.
المغاتير: اسم يطلق على الإبل البيض الألوان ويقابلها: المجاهيم: السود.
ملفاك: مقصدك.
ملهوفة الحشا: ضامرة البطن.
ممرور: ابيّ.
مناتلات المصاريع: الخيل تجاذب الأعنة.
المناعير: الرجال الكمل.
المنع: الأسر بعد الاستسلام وانقاذ المأسور من القتل.

(ن)

النادر: نادر المثل.
نبي: نبغي مثلها: نبا.
النثيلة: تراب البئر أو نحوها.
النسناس: الخفيف السريع من الإبل.
النشامى: الكرماء الشجعان واحدهم نَشمي.
نشوف: نرى.
النويفج: داء يصيب العين.

(و)

وُجيه: وجوه يقال: لوجيه الخفرات أي فعلت هذا من أجلهن، ولوجيه المداريع أي لأجل وجوه لابسي الدروع من الفرسان.
وِدَارَة: بُعْداً له.
الوسم: من فصول السنة، وفيه تجود الأرض بالنبات إذا أمطرت.
وش لون يامن: كيف يأمن.
الولاعة: الشيء الهامد يسرع فيه الاشتعال.
ونَّات قلبي: أنات قلبي.

(هـ)

هبّة الريح: كناية عن الغنائم.
الهبيدي: محدى الهبداني تصغير تحقير.
هدتك: انطلاقتك.
الهداريم: الهذيان.
الهراقيل: النعام.
هَل: أهل يسقطون الهمزة تسهيلاً للنطق.
الهُمَّلالي: المداعبة للشعر، أو نوع من اللعب.

الهيق: ذكر النعام.

(ي)

يانا فدا اللي: أنا فداء الذي.
يُخلّون: يتركون.
يدحمون السمارة: لا يهابون ما أمامهم.
يرضى على غوّال حلقه إلى ارخاه: يرضيه من عدوه أن يسلم من شره.
يزايمني: ينوء بحملي.
يسند: يرجع.
يشدي: يشابه.
يطرم: يترك الكلام من الكبر والغطرسة.
يلكد: ينطلق ويغير على الأعداء.
يهملج: ينام.